كتاب

كليله ودمنه

ترجمة في قديم الزمان من اللغة البهلويّة الى العربيّة

عبد الله

بن المقفّع الكاتب المشهور

طبعة ثالثة



طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيّين

سنة ١٨٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هو بكلّ شيء عليم . وبنوره يهتدي الأنام الى الحكمة والتقويم * امّا بعد فهذا كتاب من افخر الكتب العربيّة وابدعها . قد ذهب اهل الفضل في مدحهِ كلّ مذهب . وهو من اقدم ما تزيّنت بهِ خزائن الكتب الادبيّة . لانّهُ منذ مبادئ انتشاء العلوم عند العرب قد نُقل من لُغةٍ اعجميّةٍ على يد عالِمٍ شهير اسمهُ عبد الله بن المقفّع الكاتب * فدونكهُ ايها القارئ اللبيب . اعكف على قراءتهِ بكلّ شوق وانصباب . فانك تجد فيهِ فوائد كثيرة لغويّة وبيانيّة وادبيّة وحكميّة وسياسيّة قلّما توجد في غيرهِ من المصنّفات الحديثة .

هذا فضلاً عمّا يوتيكهُ من اللذّة

في قراءتهِ وتملّي

بدائعهِ

*

الباب الاوّل

مقدّمة الكتاب ترجمة عليّ بن الشاه الفارسي

قدّمها بهنود بن سحوان ويُعرَف بعليّ بن الشاه الفارسيّ. ذكر فيها السبب الذي من اجلهِ عمل بيدبا الفيلسوف الهنديّ راسُ البراهمة لدبشليمَ ملِك الهندِ كتابَهُ الذي سمّاهُ كَليلةَ ودِمنةَ وجعلهُ على أَلْسُنِ البهائمِ والطير صيانةً لغَرَضهِ فيهِ من العَوامّ. وضنًّا بما ضمّنهُ عن الطَّغام. وتنزيهًا للحكمة وفنونها. ومحاسِنها وعيونها. اذ هي للفيلسوف مَندوحة. ولخاطرهِ مفتوحة. ولمحبّيها تثقيف. ولطالبيها تشريف * وذكر السبب الذي من اجلهِ انفذ كِسْرى انوشيرَوان بن قُباد بن فيروز ملك الفُرس بِرْزَوَيْهِ راسَ الاطبّاءِ الى بلاد الهند لاجل كتاب كليلة ودمنة. وما كان من تلطُّف

برزويه عند دخولهِ الى الهند حتى حضر اليهِ الرجل الذي استنسخهُ لهُ سرًّا من خزانة الملكِ ليلاً مع ما وجد من كُتُب علماء الهند * وقد ذكر الذي كان من بعثة برزويه الى مملكة الهند لاجل نقل هذا الكتاب • وذكر فيها ما يلزم مُطالعهُ من إتقان قراءتهِ. والقيامِ بدراستهِ. والنظرِ الى باطن كلامهِ. وأنَّهُ إن لم يكن كذلك لم يحصُل على الغاية منهُ. وذكر فيها حضور برزويه وقراءة الكتاب جهرًا * وقد ذكر السببَ الذي من اجلهِ وضع بَزَرْجَمْهِرُ بابًا مفردًا يسمَّى باب برزويه المتطبّب. وذكر فيهِ شان برزويه من اوّل امرهِ وآنِ مولدهِ الى أنْ بلغ التاديبَ واحبَّ الحكمة واعتبر في أقسامها. وجعلهُ قبل باب الاسد والثور الذي هو اوّل الكتاب *

قال عليّ بن الشاه الفارسيّ: كان السبب الذي من اجلهِ وضع بِيدبا الفيلسوف لدَبْشَليم مَلِكِ الهند كتابَ كليلة ودمنة أنّ الاسكندر ذا القَرْنين اليوناني لمّا فرِغ من امر الملوك الذين كانوا بناحية المغرِب سار يريدُ ملوك المشرِق من الفُرْس وغيرهم. فلم يزَل يحارب مَن نازعهُ. ويواقع مَن واقعهُ. ويسالم مَن وادعهُ. من ملوك الفرس وهم الطبقة الاولى. حتّى ظهر عليهم وقهر مَن ناواهُ وتغلّب على من حاربهُ. فتفرّقوا طرائق. وتمزّقوا خرائق. فتوجّه بالجنود نحوَ بلاد الصين. فبدأ في طريقهِ بمَلِك الهند ليدعوَهُ الى طاعتهِ. والدخول في مِلّتهِ وولايتهِ * وكان على الهند في ذلك الزمان مَلِكٌ ذو سَطوةٍ وباس. وقوّةٍ ومِراس. يقال لهُ فُور * فلمّا بلَغهُ إقبالُ ذي القرنين

نحوَهُ تأهّب لمحارَبتهِ . واستعدَّ لمجاذَبتهِ . وضمَّ اليهِ أطرافَهُ وجَدَّ في التألّب عليهِ وجمع لهُ العُدّة . في اسرعِ مُدّة . من الفيِلَة المعَدّة للحروب . والسِباعِ المُضراةِ للوثوب . مع الخيول المُسرَجة والسيوف القواطع . والحِراب اللوامع * فلمّا قَرُب ذو القرنين من فور الهنديّ وبلغهُ ما قد اعدَّ لهُ من الخيل . التي كأنّها قِطَعُ الليل . ممّا لم يلقهُ بمثلهِ احدٌ من الملوك الذين كانوا في الاقاليم . فتخوّفَ ذو القرنين من تقصيرٍ يقعُ بهِ إنْ عجّل المبارَزة * وكان ذو القرنين رجلاً ذا حِيَلٍ ومكايدَ مع حُسْنِ تدبيرٍ وتجرِبة : فراى إعمالَ الحيلةِ والتمهّل . واحتفر خندقاً على عسكرهِ . واقام بمكانهِ لاستنباط الحيلةِ والتدبيرِ لامرهِ . وكيف ينبغي لهُ ان يُقدِمَ على الايقاع بهِ *

فاستدعى بالمنجّمين . وامرهم باختيارِ يومٍ موافِق تكون لهُ فيهِ سعادةٌ لمحاربة مَلِكِ الهند والنُّصرةِ عليهِ. فاشتغلوا بذلك* وكان ذو القرنين لا يمرُّ بمدينةٍ الاّ اخذ الصُنّاع المشهورين من صُنّاعها بالحِذقِ من كلّ صِنف. فأَنتجت لهُ هِمّتهُ ودلّتهُ فِطنتهُ أَن يتقدَّم الى الصُنّاع الذين معهُ أَنْ يصنعوا خيلاً من نُحاسٍ مجوَّفه . عليها تماثيلُ من الرجال على بكَرٍ تجري. اذا دُفعت مرّت سِراعًا * وامر اذا فرغوا منها أَنْ تُحشَى أَجوافُها بالنِّفط والكِبريت. وتُلبَس وتُقدَّم امامَ الصفّ في القلب . ووقتما يلتقي الجمعان تُضرَم فيها النيران. فانّ الفِيَلة اذا لفّت خراطيمَها على الفُرسان وهي حاميةٌ ولّتْ هاربةً * واوعز الى الصنّاع بالتشمير والانكماش والفراغ منها * فجدّوا في ذلك وعجّلوا *

وقَرُب ايضاً وقتُ اختيار المنجّمين . فاعاد ذو القرنين رُسُلَهُ الى فور بما يدعوهُ اليهِ من طاعتهِ . والإذعانِ لدولتهِ. فاجاب جوابَ مُصِرٍّ على مخالفتهِ. مقيمٍ على محاربتهِ * فلمّا رأى ذو القرنين عزيمتهُ . سار اليهِ بأُهبتهِ . وقدَّم فورُ الفِيَلَةَ امامهُ . ودفعت الرجالُ تلك الخَيْلِ وتماثيل الفُرسان * فاقبلت الفِيَلَةُ نحوَها ولفّتْ خراطيمَها عليها * فلمّا احسّت بالحرارة . القت مَن كان عليها . وداستهم تحت ارجلها . ومضت مهزومةً هاربةً لا تَلوِي على شيءٍ ولا تُمِرُّ باحد الّا وطئتهُ * وتقطّع فورُ وجمعهُ . وتبعهم أَصحابُ الاسكندر وأثخنوا فيهم الجِراح . وصاح الاسكندر : يا مَلِكَ الهند أبرُزْ الينا وابقَ على عُدّتك وعِيالك . ولا تحمِلْهم على الفَناء . فانهُ ليس من

المُرُوءة أن يَرْمِيَ الملك بعُدَّتهِ في المهالك المتلفة . والمواضع المجحِفة . بل يَقيهم بمالهِ ويدفع عنهم بنفسهِ . فابرُزْ اليّ ودعِ الجُندَ . فايُّنا قهر صاحبَهُ . فهو الاسعد * فلمَّا سمع فورٌ من ذي القرنين ذلك الكلام . دعتهُ نفسهُ للاقاتهِ طمعًا فيهِ . وظنّ ذلك فُرْصةً . فبرز اليهِ الاسكندر . فتجاولا على ظَهرَيْ فَرَسيهما ساعاتٍ من النهار ليس يَلقَى احدهما من صاحبهِ فُرْصةً . ولم يزالا يتعاركان * فلمَّا اعيا الاسكندر امرَهُ ولم يجِد لهُ فُرصةً ولا حيلة . اوقع ذو القرنين في عسكرهِ صَيحةً عظيمةً ارتجَّت لها الارض والعساكر . فالتفت فور عندما سمع الزعقةَ وظنَّها مَكِيدةً في عسكرهِ * فعاجلهُ ذو القرنين بضربةٍ امالتهُ عن سَرْجهِ . وتبعهُ بأُخرى فوقع الى الارض * فلمَّا رأت

الهند ما نزل بهم وما صار اليهِ ملكهُم . حملوا على
الاسكندر . فقاتلوهُ قتالاً احبوا معهُ الموت . فوعدهم
من نفسهِ الاحسان . ومنحهُ الله اكتافهم . فاستولى على
بلادهم وملّك عليهم رجلاً من ثِقاتهِ . واقام بالهند
حتّى استوثق لهُ ما اراد من امرهم واتّفاقِ كلمتهم * ثمّ
انصرف عن الهند . وخلّف ذلك الرجل عليهم .
ومضى متوجّهاً نحوَ ما قصد لهُ * فلمّا بَعُدَ ذو
القرنين عن الهند بجيوشهِ . تغيّرتِ الهندُ عمّا كانوا
عليهِ من طاعة الرجل الذي خلّفهُ عليهم . وقالوا :
ليس يصلحُ للسياسة . ولا ترضى الخاصّةُ والعامّة ان
يملّكوا عليهم رجلاً ليس هو منهم ولا من اهل بيوتهم .
فانّهُ لا يزال يستذلّهم ويستقلّهم . واجتمعوا ليملّكوا عليهم
رجلاً من اولاد ملوكهم * فملّكوا عليهم ملكاً يقال لهُ

دَبْشَليم . وخلعوا الرجُلَ الذي كان قد خلّفهُ عليهم الاسكندر* فلمّا استوثق لهُ الامر واستقرّ لهُ المُلْك . طَغَى وبغى . وتجبّر وتكبّر . وجعل يغزو مَن حولَهُ من الملوك . وكان مع ذلك مؤيّدًا مظفّرًا منصورًا . فهابتهُ الرعيّة* فلمّا رأى ما هو عليهِ من المُلك والسّطوة . عَبث بالرعيّة واستصغر امرَهم وأساءَ السيرةَ فيهم . وكان لا يرتقي حالهُ الّا ازداد عتوًّا . فمكث على ذلك بُرهةً من دهرهِ* وكان في زمانهِ رجلٌ فيلسوفٌ من البَرَاهمةِ فاضلٌ حكيمٌ يُعرَف بفضلهِ . ويُرجَع في الامور الى قولهِ . يقال لهُ بِيدَبا* فلمّا رأى المَلِكَ وما هو عليهِ من الظُّلم للرعيّة . فكّر في وجه الحيلة في صَرفِهِ عمّا هو عليهِ وردِّهِ الى العدل والإِنصاف . فجمع بذلك تلامذتَهُ وقالَ : اتعلمون ما اريد أَنْ

اشاوركم فيهِ . اعلموا أنّي أطلتُ الفكرة في دبشليم وما هو عليهِ من الخروج عن العدل ولزوم الشرّ ورداءة السيرة وسوء العِشرة مع الرعيّة . ونحن ما نروض انفسنا لمثل هذه الامور اذا ظهرت من الملوك الاّ لنردّهم الى فعل الخير ولزوم العدل * ومتى اغفلنا ذلك واهملناهُ . لزم وقوعُ المكروه بنا وبلوغُ المحذورات الينا اذا كنّا في انفس الجهّال اجهلَ منهم وفي العيون عندهم اقلّ منهم * وليس الرأي عندي الخلوّ عن الوطن . ولا يسعنا في حكمتنا ابقاؤهُ على ما هو عليهِ من سوء السيرة وقبح الطريقة . ولا يمكننا مجاهدته بغير ألسنتنا * ولو ذهبنا الى أن نستعين بغيرنا . لم تتهيأ لنا معاندته . وإنْ احسّ منّا بمخالفتهِ وإنكارِنا سوء سيرتهِ . لكان في ذلك بوارُنا * وقد تعلمون أنّ

مجاوَرة السَّبُع والكلب والحيَّة والثور على طيب الوطن ونَضارة العيش. لَغَدْرٌ بالنفس. وأَنَّ الفيلسوف لَحقيقٌ أَنْ تكون هِمَّتُهُ مصروفةً الى ما يُحصِن بهِ نفسهُ من نوازل المكروه ولواحق المحذور ويدفع المَخُوفَ لاستجلاب المحبوب * ولقد كنتُ اسمع أَنْ فيلسوفًا كتب لتلميذهِ يقول: إِنَّ مجاوَرةَ رجالِ السوء والمصاحبةَ لهم كراكب البحر. هو إِنْ سلِم من الغرق. لم يسلم من المخاوف. فاذا هو اورد نفسهُ مَوارِدَ المهلَكات ومَصادِرِ المَخُوفات. عُدَّ من الحَمير التي لا نفسَ لها * لانَّ الحَيَوانات البهيميَّة قد خُصَّت في طبائعها بمعرفة ما تكتسب بهِ النفعَ وتتوقَّى المكروه. وذلك أنَّنا لم نَرَها تُورِد انفسَها مَورِدًا فيهِ هَلَكتها. وأنَّها متى اشرفت على مَورِدٍ مُهلِكٍ لها. مالت

بطبائعها التي رَكَّبت فيها شَحًّا بانفسها وصيانةً لها الى النفور والتباعد عنهُ * وقد جمعتكم لهذا الامر. لانكم أُسرتي ومكانُ سِرّي وموضعِ معرفتي. وبكم أَعتضِد. وعليكم اعتمِد * فانَّ الوحيدَ في نفسهِ والمنفرد برأيهِ حيث كان فهو ضائعٌ ولا ناصر لهُ. على أَنَّ العاقل قد يبلُغ بحيلتهِ ما لا يبلغ بالخيل والجنود *

والمَثل في ذلك أَنَّ قُنبرةً اتَّخذت أُدحيَّةً وباضت فيها على طريق الفيل. وكان للفيل مَشرَبٌ يتردَّد اليهِ. فمرَّ ذاتَ يومٍ على عادتهِ ليَرِدَ مورِدَهُ. فوطِئ عُشَّ القُنبرة وهشم بيضَها وقتل فِراخها * فلمَّا نظرت مَساءَها. علمت أَنَّ الذي نالها هو من الفيل لا من غيرهِ. فطارت فوقعت على راسهِ باكيةً. ثمَّ قالت: ايها الملك. لمَ هشمتَ بيضي وقتلتَ فِراخي

وانا في جِوارك . أَفعلتَ هذا استصغارًا منكَ لامري واحتقارًا لشاني * قال : هو الذي حملني على ذلك * فتركتهُ وانصرفت الى جماعة الطير . فشكت اليها ما نالها من الفيل * فقلن لها : وما عسى أَنْ نبلُغَ منهُ ونحن طيور * فقالت للعقاعق والغِربان : أُحِبُّ منكنَّ أَنْ تصِرنَ معي اليهِ فتفقأْنَ عينيهِ . فانّي احتال لهُ بعد ذلك بحيلةٍ اخرى * فاجابوها الى ذلك وذهبوا الى الفيل . فلم يزالوا ينقُرون عينيهِ حتّى ذهبوا بهما . وبقي لا يهتدي الى طريق مَطعَمهِ ومشرَبهِ الّا ما يُقمهُ من موضعهِ * فلمّا علمت ذلك منهُ . جاءَت الى غديرٍ فيهِ ضفادعُ كثيرةٌ . فشكت اليها ما نالها من الفيل * قالت الضفادع : ما حيلتنا نحن في عِظَم الفيل . واين نبلُغ منهُ * قالت : أُحِبُّ

منكنّ أن تصرن معي الى وهدةٍ قريبةٍ منهُ فتنقّوا فيها وتضجّوا . فانهُ اذا سمع أصواتكم . لم يشكّ في الماء فيهوي فيها * فاجابوها الى ذلك واجتمعوا في الهاوية . فسمع الفيلُ نقيق الضفادع وقد اجهدهُ العطش . فاقبل حتّى وقع في الوهدة . فاعتطم فيها . وجاءت القُنبرة ترفرف على راسهِ وقالت : أيّها الطاغي المغترُّ بقوّتهِ المحتقر لامري . كيف رايتَ عِظَمَ حيلتي مع صِغَر جُثّتي عندَ عِظَم جُثّتك وصِغَرِ همّتك *

فليُشِرْ كلُّ واحدٍ منكم بما يسنحُ لهُ من الرأي *

قالوا باجمعهم : ايّها الفيلسوف الفاضل والحكيم العادل . انت المقدَّم فينا والفاضل علينا . وما عسى أنْ يكون مبلغُ راينا عند رايك وفهمنا عند فهمك .

غيرَ أنّنا نعلَمُ أنَّ السِّباحة في الماء مع التمساح تغريرٌ. والذنبُ فيهِ لمن دخل عليهِ في موضعهِ. والذي يستخرج السمَّ من ناب الحيَّة فيبتلعهُ ليجرّبهُ على نفسهِ فليس الذنب للحيَّة. ومَن دخل على الاسد في غابتهِ لم يأمَنْ وثبتهُ * وهذا المَلِك لم تفزِعهُ النوائب. ولم تؤدّبهُ التجارب. ولسنا نأمن عليك ولا على انفسنا سطوتهُ. وإنّا نخاف عليك من سَوْرتهِ ومبادرتهِ بسوء اذا لَقِيتَهُ بغير ما يحبّ * فقال الحكيم بِيدبا: لَعَمري لقد قلتم فاحسنتم. لكنَّ ذا الرأي الحازم لا يدَعُ أنْ يشاور مَن هو دونهُ او فوقهُ في المنزِلة. والرأي الفردُ لا يُكتفَى بهِ في الخاصّة ولا يُنتفَع بهِ في العامّة * وقد صحّت عزيمتي على لِقاء دَبشليم. وقد سمعتُ مقالتكم وتبيّن لي نصيحتكم والإشفاق عليَّ وعليكم.

غيرَ أنّي قد رايتُ رأيًا وعزمتُ عزمًا. وستعرِفون حديثي عند الملك ومجاوبتي ايّاهُ. فاذا اتّصل بكم خروجي من عندهِ. فاجتمِعوا اليَّ * وصرفهم وهم يَدعُون لهُ بالسلامة *

ثمّ إنّ بيدَبا اختار يومًا للدخول على الملك. حتّى اذا كان ذلك الوقت. القى عليهِ مُسُوحَهُ وهي لِباسُ البراهمة. وقصد بابَ الملك وسأل عن صاحب إذنهِ. فأُرشد اليهِ. وسلّم عليهِ. واعلمهُ وقال لهُ: إنّي رجلٌ قصدتُ الملكَ في نصيحةٍ * فدخل الآذِنُ على الملك في وقتهِ وقال: بالباب رَجلٌ من البراهمة يقال لهُ بِيدبا. ذكَرأنّ معهُ للمَلِك نصيحةً. فأذن لهُ. فدخل ووقف بين يديهِ وكَفَر وسجد لهُ. واستوى قائمًا وسكت * وفكّر دَبشَليم

فِي سكوتِهِ . وقال : إِنَّ هذا لم يقصُدْنا إِلَّا لامرين . إِمَّا أَنْ يلتمس منَّا شيئًا يُصلح بِهِ حالَهُ او لامرٍ لَحِقهُ فلم يكن لهُ بِهِ طاقة * ثمَّ قال : إِنْ كان للملوكِ فضلٌ في مملكتها . فإِنَّ للحكماءِ فضلاً في حكمتها اعظمَ . لانَّ الحكماءَ اغنياءُ عن الملوك بالعِلم . وليس الملوك باغنياءَ عن الحكماءِ بالمال * وقد وجدتُ العِلمَ والحياءَ إِلفينِ متآلفين لا يفترقان . متى فُقد احدُهما لم يوجد الآخر . كالمتصافِيَيْن إِن عُدِم منهما احدٌ لم يطِب صاحبهُ نفسًا بالبَقاءِ بعدهُ تأسُّفًا عليهِ * ومَن لم يستحيِ من الحكماءِ ويكرِمهم ويَعرِفْ فضلَهم على غيرهم ويصنْهم عن مَواقِفِ الوهنة وينزِّهْهم عن المواطِنِ الرَّذلة . كان ممَّن حُرم عقلَهُ وخَسِر دُنياهُ وظلم الحكماءَ حقوقَهم وعُدَّ من الجهَّال *

better عقبلة for rhyme with دنياه (De Sacy)

ثمَّ رفع راسهُ الى بِيدَبا. وقال لهُ : نظرتُ اليك يا بيدبا ساكتًا لا تَعرِضُ حاجتَك ولا تذكُرُ بُغيتَك. فقلتُ إنَّ الذي أسكتَهُ هَيبةٌ سوَّرتهُ او حِيرةٌ ادركتهُ * وتاملتُ عند ذلك من طولِ وقوفك. وقلتُ : لم يكن لبيدبا أن يطرُقَنا على غير عادةٍ الَّا لامرٍ حرَّكهُ لذلك. فانهُ من افضل اهل زمانهِ * فهلَّا نسالهُ عن سبب دخولهِ. فان يكن من ضَيمٍ نالهُ. كنتُ اولى مَن أخذَ بيدهِ وسارع في تشريفهِ ونقدَّم في البلوغ الى مُرادهِ وإعزازهِ * وإنْ كانت بغيتهُ غَرَضًا من أغراض الدنيا. امرتُ بإرضائهِ من ذلك في ما احبَّ * وإنْ كان من امر المُلك ومما لا ينبغي للملوك أنْ يبذِلوهُ من انفسهم ولا ينقادوا اليهِ. نظرتُ في قَدَرِ عقوبتهِ على أنَّ

مِثلَهُ لم يكن ليجترئَ على إِدخال نفسهِ في باب مسئلة الملوك * وإِنْ كان شيئًا من امور الرعيَّة يقصدُ فيهِ أَنْ أَصرِف عِنايتي اليهم .نظرتُ ما هو. فانَّ الحكمآء لا يُشيرون الاَّ بالخير. والجُهَّال يشيرون بضِدِّهِ : وانا قد فسَحتُ لك في الكلام *

فلمَّا سمع بيدبا ذلك من الملك .أَفرَجَ عنهُ رَوعَهُ. وسرَى عنهُ ما كان وقع في نفسهِ من خوفهِ . وكَفَر لهُ وسجد * ثمَّ قام بين يديهِ . وقال : اوَّلُ ما اقول : أسألُ الله تعالى بقآءَ المَلِك على الابد . ودوامَ مُلكهِ على الامد . لانَّهُ قد منحني المَلِك في مقامي هذا محلاً جعلهُ شرفًا لي على جميع مَن بعدي من العلمآء . وذِكرًا باقيًا على الدهر عند الحكمآء * ثمَّ اقبل على الملك بوجههِ مستبشرًا بهِ . فرِحًا بما بدا لهُ منهُ .

وقال: قد عطف الملك عليَّ بكرمهِ وإحسانهِ. والامر الذي دعاني الى الدخول على الملك وحملني على المخاطرة لكلامهِ والإقدام عليهِ. نصيحةٌ اختصصتهُ بها دونَ غيرهِ. وسيعلم من يتّصل بهِ ذلك أنّي لم اقصّرْ عن غايةٍ في ما يجب للمولى على الحكمآء * فإنْ فسح في كلامي ووعاهُ عنّي. فهو حقيقٌ بذلك وما يراهُ. وإنْ هو القاهُ. فقد بلغتُ ما يلزمني. وخرجتُ من لَوْمٍ يلحقني *

قال المَلِك: يا بيدبا تكلّمْ مهما شئْتَ. فإنّني مُصْغٍ اليك ومُقبِلٌ عليك وسامع منك. حتّى استفرغ ما عندك الى آخرهِ. واجازيَك على ذلك بما انت اهلهُ * قال بيدبا: إنّي وجدتُ الامورَ التي اختصّ بها الانسان من بينِ سائر الحَيَوانات اربعةَ اشيآء.

وهي جِماعُ ما في العالم . وهي الحِكمةُ والعِفّة والعقل والعدل . والعلمَ والادبَ والرَّوِيَّةَ داخلةَ في باب الحِكمة . والحِلمَ والصبرَ والوَقار داخلةَ في باب العقل . والحياءَ والكَرَم والصيانة والأَنَفة داخلةَ في باب العِفّة . والصِدْقَ والإِحسان والمراقبة وحُسْن الخُلْق داخلةَ في باب العدل . وهذه هي المحاسن . وأَضدادها هي المساوئ * فمتى كَمَلت هذه في واحد . لم تُخرِجهُ الزيادةُ في نعمةٍ الى سوءِ الحظِّ من دنياهُ ولا الى نقصٍ . ولم يتأَسَّف على ما لم يُعِن التوفيقُ ببقائهِ . ولم يُحزِنهُ ما تجري بهِ المقادير في مُلكهِ . ولم يُدهَش عند مكروه * فالحِكمةُ كنزٌ لا يفنى على إِنفاق . وذخيرةٌ لا يُضرَب لها بالإِملاق . وحُلّة لا تَخلَق جِدّتُها . ولَذّةٌ لا تُصرَمُ مُدّتُها * ولَئِنْ كنتَ

عند مُقامي بين يدَي المَلِك امسكتُ عن ابتدائهِ بالكلام. فانَّ ذلك لم يكن منّي الّا لهيبتهِ والإجلال لهُ * ولَعَمْري إنَّ الملوك لَأَهلٌ أَنْ يُهابوا لاسيَّما مَن هو في المنزلة التي جَلَّ فيها المَلِكُ عن منازل الملوك قبلَهُ * وقد قالت العلماءُ: الزَم السكوتَ فانَّ فيهِ سلامةً. وتجنَّبِ الكلامَ الفارغ فانَّ عاقبتهُ النَّدامة *

وحُكي أَنَّ اربعةً من العلماء ضمَّهم مجلسُ مَلِكٍ. فقال لهم: ليتكلَّمْ كلٌّ بكلامٍ يكون اصلاً للادب. فقال احدهم: افضلُ خَلَّةِ العالِمِ السكوت * وقال الثاني: إنَّ من انفعِ الاشياء للانسان أَن يَعرِفَ قَدرَ منزلتهِ من عقلهِ * وقال الثالث: أَنفعُ الاشياء للانسان أَنْ لا يتكلَّمَ بما لا يَعنيهِ * وقال الرابع:

أَرْوَحُ الامور على الانسان التسليمُ للمقادير * واجتمع في بعض الزمان ملوك الاقاليم من الصين والهند وفارسَ والروم . وقالوا : ينبغي أَنْ يتكلّم كلُّ واحد منّا بكلمةٍ تُدوَّن عنهُ على غابر الدهر * قال ملك الصين : انا على ما لم اقُلْ اقدرُ مني على ردِّ ما قلتُ * قال ملك الهند : عَجِبتُ لِمَن يتكلّم بالكلمة . فان كانت لهُ . لم تنفعهُ . وإن كانت عليهِ . أَوبقتهُ * قال ملك فارس : انا اذا تكلّمتُ بالكلمة . ملكتْني . واذا لم اتكلّم بها . ملكتُها * قال ملك الروم : ما ندِمتُ على ما لم اتكلّم بهِ قطُّ . ولقد ندمتُ على ما تكلّمتُ بهِ كثيرًا . والسكوت عند الملوك احسن من الهَذْر الذي لا يُرجَى منهُ الى نفع . وافضل ما استظلّ بهِ الانسانُ لِسانهُ * غير أَنَّ الملك (اطال

الله مدّتهُ) لمّا فسّح لي في الكلام واوسع لي فيهِ.
كان اولى ما ابدأ بهِ من الامور التي هي غَرَضي أَنْ
يكون ثمرةُ ذلك لهُ دوني وأَن اختصَّهُ بالفائدة قبلي.
على أَنَّ العقبى هي ما اقصدُ في كلامي لهُ. وانّما نفعهُ
وشرفهُ راجعٌ اليهِ. واكون انا قد قضيتُ فرضاً
وجب عليَّ *

فاقول ايها الملك: إِنّك في منازلِ آبائك
وأَجدادك من الجبابرة الذين أَسّسوا المُلك قبلك
وشيّدوهُ دونك. وبنَوُا القِلاع والحصون. ومهّدوا
البلاد. وقادوا الجيوش. واستجاشوا العُدّة. وطالت
لهم المُدّة. واستكثروا من السِلاح والكُراع. وعاشوا
الدهور. في الغبطة والسرور. فلم يمنعهم ذلك من
اكتساب جميلِ الذِكر. ولا قطعهم عن ارتكاب

الشكر. واستعمالِ الإحسان الى مَن خوّلوهُ. والارفاق بمن ولوهُ. وحُسنِ السيرة في ما تقلدوهُ. مع عِظَم ما كانوا فيهِ من غرّة المُلك وسكرة الاقتدار * وإنك ايها الملك السعيد في جَدّهِ. الطالعُ كوكبُ سعدِهِ. قد ورثتَ ارضَهم وديارَهم وأموالهم ومنازلهم التي كانت عُدّتهم. فاقمتَ في ما خُوّلتَ من المُلك وورِثتَ من الأموال والجنود. فلم تقُم في ذلك بحقِ ما يجب عليك. بل طغَيتَ وبغَيتَ وعتَوتَ وعلَوتَ على الرعيّة. وأسأتَ السيرةَ وعظُمت منك البليّة * وكان الأولى والاشبهُ بك أنْ تسلُكَ سبيل أسلافك. وتتبع آثارَ الملوك الذين قبلَك. وتقفو محاسِن ما ابقوهُ لك. وتقلعَ عمّا عارُهُ لازم لك وشَينهُ واقعٌ بك. وتحسِنَ النظرَ برعيّتك. وتسُنّ

لهم سَنَن الخير الذي يبقى بعدك ذِكرُهُ . ويُعقِبُك الجميلَ فخرُهُ . ويكون ذلك ابقى على السلامة . وأدوَم على الاستقامة * فانّ الجاهل المغترّ مَن استعمل في اموره البطر والأمنيّة . والحازم اللبيب مَن ساس المُلك بالمداراة والرِّفق * فانظر ايها الملك ما القيتُ اليك . ولا يثقُلنّ ذلك عليك . فلم اتكلّمْ بهذا ابتغاءَ غَرَضٍ تجازيني بهِ ولا التماسَ معروفٍ تكافئني فيهِ . ولكنّي اتيتك ناصحًا مشفقًا عليك *

فلمّا فرِغ بيدبا من مقالتهِ وقضى مناصحتهُ . ارعب قلب الملك . فاغلظ لهُ في الجواب استصغارًا لامرهِ . وقال : لقد تكلّمتَ بكلامٍ ما كنتُ اظنُّ أنّ احدًا من اهل مملكتي يستقبلني بمثلهِ . ولا يُقدِم على ما اقدمتَ عليهِ . فكيف انت مع صِغر شانك وضعف

مَتْنك وعَجْز قوّتك * ولقد اكثرتَ إعجابي من
إقدامك عليّ وتسلّطك بلسانك في ما جاوزتَ فيهِ
حدّك . وما اجد شيئًا في تأديب غيرك ابلغَ من
التنكيل بك . فذلك عِبرةٌ وموعِظةٌ لمن عساهُ
أنْ يبلُغ ويروم ما رُمتَ انت من الملوك اذا اوسعوا
لهُ في مجالسهم . ثمّ امر بهِ أنْ يُقتَل ويُصلَب * فلمّا
مضوا بهِ في ذلك . فكّر في ما أُمر بهِ . فأحجم عنهُ .
ثمّ امر بحبسهِ وتقييدهِ * فلمّا حُبس . أنفذ في طَلَب
تلامذتهِ ومَن كان يجتمع اليهِ . فهربوا في البلاد
واعتصموا بجزائر البحار . فمكث بيدبا في محبَسهِ ايّامًا
لا يسأَلُ الملكُ عنهُ ولا يلتفت اليهِ . ولا يجسَر احدٌ
أنْ يذكُرهُ عندهُ . حتّى اذا كان ليلةٌ من الليالي .
سهِد الملك سهادًا شديدًا فطال سَهَرهُ . ومدّ الى

الفَلَك بصرهُ. وتفكّر في تفلّك الفلك وحركات الكواكب * فأغرق الفِكرَ فيهِ. فسلك بهِ الى استنباط شيءٍ عَرَض لهُ من امور الفَلَك والمسئلة عنهُ. فذكر عند ذلك بيدبا وتفكّر في ما كلّمهُ بهِ. فارعوى لذلك وقال في نفسهِ: لقد اسأتُ في ما صنعتُ بهذا الفيلسوف. وضيّعتُ واجب حقّهِ. وحملني على ذلك سُرعةُ الغضب * وقد قالت العلماءُ: اربعةٌ لا ينبغي أنْ تكون في الملوك: الغضب فانّهُ اجدر الاشياء مَقتًا. والبُخل فانّ صاحبهُ ليس بمعذور مع ذاتِ يدهِ. والكَذِب فانّهُ ليس لاحدٍ أن يجاورهُ. والرِفق في المحاوَرة فانّ السَّفَه ليس من شانها * وإنّي آتي الى رجلٍ نَصَح لي ولم يكن بَلاغًا. فعاملتهُ بضدّ ما يستحقّ وكافأتهُ بخلاف ما يستوجب. وما

الرفث؟ - Obscenity (ASS)

(الغي) بلاغ؟ * foolish talker (ASS)

كان هذا جزاءهُ مني . بل كان الواجب أنْ اسمع
كلامهُ وأنقاد لِمَا يُشير بهِ * ثمَّ انفذ في ساعتهِ من
ياتيهِ بهِ . فلمَّا مَثُلَ بين يديهِ . قال لهُ : يا بيدبا
الستَ الذي قصدتَ الى تقصير هِمَّتي . وعجزتَ رأْيي
في سيرتي بما تكلَّمتَ بهِ آنفًا * قال لهُ بيدبا : ايُّها
الملك الناصح الشفيق . والصادق الرفيق . انَّما نبَّأتُك
بما فيهِ صَلاحٌ لك ولرعيَّتك ودَوام مُلكك لك *
قال لهُ الملك : يا بيدبا أَعِدْ عليَّ كلامك كلَّهُ . ولا
تدَعْ منهُ حرفًا الاَّ جئتَ بهِ * فجعل بيدبا ينثر
كلامهُ والملك مُصغٍ اليهِ . وجعل دَبْشَليم كلَّما سمع
منهُ شيئًا . ينكث الارض بشيء كان في يدهِ * ثمَّ
رفع طَرْفَهُ الى بيدبا وامرهُ بالجلوس . وقال لهُ : يا
بيدبا إِنّي قد استعذبتُ كلامك . وحَسُن مَوْقِعهُ

من قلبي . وانا ناظرٌ في الذي اشرتَ بهِ وعاملٌ بما امرتَ * ثمَّ امر بقيودهِ فحُلَّت . والقى عليهِ من لباسهِ وتلقَّاهُ بالقبول . فقال بيدبا : يا ايُّها الملك إنَّ في دونِ ما كلَّمتك بهِ نهايةً لمثلك * قال : صدقتَ ايُّها الحكيم الفاضل . وقد ولَّيتك من مجلسي هذا الى جميع اقاصي مملكتي * فقال لهُ : ايُّها الملك . أعفِني عن هذا الامر . فانِّي غيرُ مضطلعٍ بتقويمهِ . فأعفاهُ عن ذلك * فلمَّا انصرف . علم أنَّ الذي فعلهُ ليس برأي . فبعث فردَّهُ . وقال : إنّي فكَّرتُ في إعفائك في ما عرضتهُ عليك . فوجدتهُ لا يقوم الاَّ بك . ولا ينهض بهِ غيرك . ولا يضطلع بهِ سواك . فلا تخالفني فيهِ . فاجابهُ بيدبا الى ذلك *

وكان عادةُ ذلك الزمان اذا استكتبوا وزيرًا

أَنْ يَعقِدوا على راسهِ تاجًا . ويُركَّبَ في اهل المملكة ويُطافَ بهِ في المدينة * فأمر الملك أَن يُفعَل بيدبا ذلك . فوُضع التاج على راسهِ . ورُكِّب في المدينة . ورجع فجلس بمجلس العدل والإِنصاف ياخذ للدنيء من الشريف . ويساوي بين القويّ والضعيف * وردَّ المَظالم . ووضع سَنَن العدل . واكثر من العَطاءِ والبَذل * واتَّصل الخبرُ بتلامذتهِ . فجاءُوهُ من كلّ مكان فَرِحين بما جدَّد الله من جديدِ رأيِ المَلِك في بيدبا . وشكروا الله تعالى على توفيق بيدبا في إِزالة دَبشَليم عمَّا كان عليهِ من سوءِ السيرة . واتّخذوا ذلك اليومَ عيدًا يعيّدون فيهِ . فهو الى اليومِ عيدٌ عندهم في بلاد الهند *

ثمَّ إِنَّ بيدبا لمَّا خلا فِكرهُ من اشتغالهِ بدبشليم.

نفرّغ لوضع كُتُب السياسة ونَشِط لها . فعَمِل كُتُباً كثيرةً . فيها دقائقُ الحِيَل * ومضى المَلِك على ما رسم لهُ بيدبا من حُسْن السيرة والعدل في الرعيّة . فرَغِبت اليهِ الملوك الذين كانوا في نواحيهِ. وانقادت لهُ الامور على استوائها . وفرحت بهِ رعيتُهُ واهلُ مملكتهِ * ثمَّ إنَّ بيدبا جمع تلامذتهُ . فأَحسن صِلَتهم . ووعدهم وعداً جميلاً . وقال لهم : لستُ اشكُّ أنَّهُ وقع في نفوسكم وقتَ دخولي على الملك أَنْ قُلتم إنَّ بيدبا قد ضاعت حِكمتهُ وبَطَلت فِكرتهُ . اذ عزم على الدخول على هذا الجبّار الطاغي * فقد علمتم نتيجة رأْيي وصِحّة فِكري . وأنّي لم آتهِ جهلاً بهِ . لاني كنتُ اسمع من الحكماء قبلي تقول انَّ الملوك لها سكْرة وكذلك الشّباب . فالملوك لا تُفيق من السُّكرة الاّ بمواعظ

انعقدت

كسكرة الشراب

العلماء وادب الحكماء * والواجب على الملوك أنْ
يتعظوا بمواعظ العلماء . والواجب على العلماء تقويمُ
الملوك بألسنتها . وتاديبُها بحكمتها . وإظهارُ الحجّة
البيّنة اللازمة لهم ليرتدعوا عمّا هم عليهِ من الاعوجاج
والخروج عن العدل * فوجدتُ ما قالتِ العلماء
فرضًا واجبًا على الحكماء لملوكهم . ليوقظوهم من سِنة
سَكرتهم . كالطبيب الذي يجب عليهِ في صناعتهِ
حِفظُ الاجساد على صِحّتها او ردُّها الى الصحّة *
فكرِهتُ أنْ يموت أو اموت ولا يبقى على الارض الاَّ
مَن يقول أنّهُ كان بيدبا الفيلسوف في زمان دَبشَليمَ
الطاغي . فلم يرُدّهُ عمّا كان عليهِ * فانْ قال قائلٌ :
إنّهُ لم يمكنهُ كلامهُ خوفًا على نفسهِ . قالوا : كان
الهربُ منهُ ومن جِوارهِ اولى بهِ . والانزعاجُ عن

comm. (ed.)

الوطنِ شديد * فرأيتُ أَنْ أَجُودَ بحياتي . فأكون قد اتيتُ فيما بيني وبين الحكماء بعدي عُذرًا . فحملتها على التغرير والظفر بما اريدهُ . وكان من ذلك ما انتم مُعاينوهُ * فانهُ يقال في بعض الامثال أنهُ لم يبلُغْ احدٌ مرتبةً الّا بإحدى ثلاثٍ . إمّا بمَشَقّةٍ تنالهُ في نفسهِ . وإمّا بوضيعةٍ في مالهِ . او وَكْسٍ في دِينهِ * ومَن لم يركَبِ الأَهوال . لم ينَلِ الرغائب * وإنَّ الملك دَبْشَليم قد بسط لساني في أَنْ اضع كتابًا . فيهِ ضُروب الحكمة . فليضعْ كلُّ واحدٍ منكم في ايّ فنٍّ شاءَ . وليَعرِضهُ عليّ لانظُر مِقدارَ عقلهِ واين بلغ من الحِكمة فهمًا * قالوا : ايها الحكيم الفاضل واللبيب العاقل . والذي وهَبَ لك ما منحك من الحكمة والعقل والادب والفضيلة . ما خطَر هذا بقلوبنا

ساعةً قطّ. وانت رئيسنا وفاضلنا. وبك شرفنا. وعلى يدك انتعشنا. ولكن سنجهد أنفسنا في ما امرت * ومكث الملك على ذلك من حُسن السيرة زمانًا. يتولّى ذلك لهُ بِيدَبا ويقوم بهِ *

ثمّ انّ المَلِك دَبْشَليم لمّا استقرّ لهُ المُلك وسقط عنهُ النظر في امور الاعدآء بما قد كفاهُ ذلك بِيدبا. صرف هِمّتهُ الى النظر في الكُتُب التي وضعتها فلاسفةُ الهِند لآبائهِ وأجدادهِ. فوقع في نفسهِ أنْ يكون لهُ ايضًا كتابٌ مشروح يُنسَب اليهِ. تُذكَر فيهِ ايّامهُ كما ذُكر آباؤهُ وأجدادهُ من قبلهِ * فلمّا عزم على ذلك. علم أنّهُ لا يقوم بذلك الاّ بِيدبا. فدعاهُ وخلا بهِ وقال لهُ: يا بيدبا إنّك حكيم الهند وفَيلسوفها. وإنّي فكّرتُ ونظرتُ في خزائن الحكمة

التي كانت للملوك قبلي. فلم أرَ فيهم احدًا الاَّ وقد وضع كتابًا يُذكر فيهِ ايامهُ وسيرتهُ وينبي عن ادبهِ واهل مملكتهِ. فمنهُ ما وضعتهُ الملوك لانفسها وذلك لفضل حكمةٍ فيها. ومنهُ ما وضعتهُ حكماؤها * واخاف أنْ يلحقني ما لحِق اولئك ممَّا لا حيلة لي فيهِ ولا يوجدَ في خزائني كتابٌ أُذْكَرُ بهِ بعدي وأُنسَبُ اليهِ كما ذُكر من كان قبلي بكُتُبهم * وقد أحببتُ أنْ تضع لي كتابًا بليغًا تستفرغ فيهِ عقلَك. يكون ظاهرهُ سياسةَ العامَّة وتاديبَها. وباطنهُ أخلاقَ الملوك وسياستَها للرعيَّة فيسقُط بذلك عنّي وعنهم كثيرٌ ممَّا نحتاج اليهِ في معاناة المُلك. واريد أن يبقى لي هذا الكتاب بعدي ذِكرًا على غابر الدهور * فلمَّا سمع بيدَبا كلامهُ. خرَّ

لهُ ساجدًا . ورفع راسهُ وقال : ايها الملك السعيد جَدّهُ . علا نجمك . وغاب نحسك . ودامت أيامك . إنّ الذي قد طُبع عليهِ المَلِك من جُودة القريحة ووفور العقل حرّكهُ الى عالي الامور . وسمَتْ بهِ نفسهُ وهِمّتهُ الى اشرف المراتب منزِلةً وابعدِها غايةً . وادام الله سعادة الملك . واعانهُ على ما عزم من ذلك . واعانني على بلوغ مرادهِ : فليأمرِ الملك بما شاء من ذلك . فاني صائرٌ الى غرَضهِ مجتهدٌ فيهِ برايي * قال لهُ الملك : يا بيدبا لم تزَلْ موصوفًا بحُسن الراي وطاعة الملوك في امورهم . وقد اختبرتُ منك ذلك . واخترتُ أنْ تضع هذا الكتاب وتُعمِلَ فيهِ فِكرك . وتُجهِدَ فيهِ نفسك بغاية ما تجد اليهِ السبيل . وليكُنْ مشتملاً على الجدّ والهزل واللهو

والحكمة والفلسفة * فكفر له بيدبا وسجد وقال: قد
أجبتُ المَلِكَ ادام الله ايامَهُ الى ما امرني بهِ.
وجعلتُ بيني وبينهُ أجَلاً * قال: وكم هو الاجل.
قال: سَنَة. قال: قد أجّلتُك. وامر له بجائزةٍ سنيةٍ
تُعِينهُ على عمل الكتاب * فبقي بيدبا مفكّرًا في الاخذ
فيهِ وفي ايّ صورة يبتدئ بها فيهِ وفي وضعهِ *
ثمَّ إنَّ بيدبا جمع تلامذتهُ وقال لهم: إنَّ الملك
قد ندَبني لامرٍ فيهِ فَخري وفَخركم وفَخر بلادِكم. وقد
جمعتكم لهذا الامر * ثمَّ وصف لهم ما سأَل المَلِكُ من
امر الكتاب والغَرَض الذي قصد فيهِ. فلم يقع لهمُ
الفِكر فيهِ * فلمَّا لم يجد عندهم ما يُريدهُ. فكر بفضل
حِكمتهِ. وعلم أنَّ ذلك امرٌ إنَّما يتمُّ باستفراغ العقل
وإعمال الفِكر. وقال: أرَى السفينة لا تجري في البحر

الاّ بالملاّحين. لانّهم يعدّلونها. وانّما تُسلَك اللُّجّة بمدبّرها الذي تفرّد بإمارتها. ومتى شُحنت بالرُّكّاب الكثيرين وكَثُر ملاّحوها. لم يُؤْمَنْ عليها من الغَرَق * ولم يزَل يفكر في ما يعملهُ في باب الكِتاب. حتّى وضعهُ على الانفراد بنفسهِ مع رجُلٍ من تلاميذهِ كان يَثِق بهِ. فخلا بهِ مُنفرِدًا معهُ بعدَ أن أَعَدَّ من الورق الذي كانت تكتُبُ فيهِ الهِندُ شيئًا. ومن القوت ما يقوم بهِ هو وتلميذهُ تلك المُدّة. وجلسا في مقصورة وردّا عليهما الباب * ثمّ بدأ في نظم الكتاب وتصنيفهِ ولم يزَل هو يُملِي. وتلميذهُ يكتُب. ويرجع هو فيهِ. حتّى استقرّ الكتاب على غاية الانقان والإحكام * ورتّب فيهِ اربعةَ عشَرَ بابًا. كلُّ بابٍ منها قائمٌ بنفسهِ. وفي كلّ باب مسئلةٌ والجوابُ عنها. ليكون

لمن نظر فيهِ حظٌّ. وضمّن تلك الأبوابَ كِتابًا واحدًا وسمّاهُ كتاب كَليلَه ودِمنه * ثمَّ جعل كلامَهُ على ألسُن البهائم والسِباع والطير. ليكون ظاهرهُ لهوًا للخواصّ والعوامّ. وباطنهُ رياضةً لعقول الخاصّة * وضمّنهُ ايضًا ما يحتاج اليهِ الانسان من سياسة نفسهِ واهلهِ وخاصّتهِ وجميعَ ما يحتاج اليهِ من امر دِينهِ ودُنياهُ وآخِرتهِ واولادهِ. ويحضُّهُ على حُسن طاعتهِ للملوك ويجنّبهُ ما تكون مجانَبتهُ خيرًا لهُ * ثمَّ جعلهُ باطنًا وظاهرًا كرسم سائر الكتب التي برسم الحِكمة. فصار الحَيَوان لهوًا وما يَنطِق بهِ حُكمًا وادبًا * فلمّا ابتدأ بيدبا بذلك. جعل أوّل الكتاب وصفَ الصّدِيق. وكيف يكون الصديقان. وكيف تُقطَعَ المَودّة الثابتة بينهما بحِيلة ذي النميمة. وامر تلميذَهُ

أَنْ يكتُبَ على لِسان بِيدبا مثلَ ما كان الملك
شَرَطهُ في أَن يجعلهُ لهوًا وحِكمةً * فذكر بِيدبا أَنَّ
الحِكمة متى دخلها كلام الغَفلة . افسدها واستجهل
حِكمتها * فلم يزَلْ هو وتلميذهُ يُعمِلان الفِكرَ في ما
سألهُ الملك . حتى فتق لهما العقلُ أَنْ يكون كلامهما
على لسان بهيمتين . فوقع لهما موضعُ اللهوِ والهَزْل
بكلام البهائم . وكانت الحكمة ما نطقا بهِ * فأَصغت
الحكماءُ الى حكمتهِ . وتركوا البهائمَ واللهو . وعلموا أَنَّها
السببُ في الذي وُضع لهم * ومالت اليهِ الجُهَّال
عَجبًا من محاوَرة بهيمتين . ولم يشكُّوا في ذلك واتَّخذوهُ
لهوًا . وتركوا معنى الكلام أَن يفهموهُ . ولم يعلموا
الغَرَض الذي وُضع لهُ . لأَنَّ الفيلسوف انَّما كان
غرَضهُ في الباب الاول أَن يُخبِر عن تواصُل الإخوان

كيف تتأكد المودّة بينهم على التحفّظ من اهل السِعاية والتحرّز ممن يُوقِع العداوة بين المتحابّين ليُجرِي بذالك نفعًا الى نفسهِ * فلم يزَل بيدبا وتلميذهُ في المقصورة . حتى استتمّ عمَل الكتاب في مدّة سنة * فلمّا تمّ الحَوْل . انفذ اليهِ المَلِك أنْ : قد جآء الوعد فماذا صنعتَ * فانفذ اليهِ بيدبا : إنّي على ما وعدتُ المَلِكَ بهِ . فليأمُرني بحملهِ بعد أن يجمع اهل المملكة لتكونَ قِرآءتي هذا الكتاب بحضرتهم * فلمّا رجع الرسول الى الملك . سُرّ بذلك : ووعدهُ يومًا يجمع فيهِ اهل المملكة . ثمّ نادى في اقاصي بلاد الهند ليحضَروا قِرآءَة الكتاب * فلمّا كان ذلك اليوم . أمَر الملكُ أنْ يُنصَب لبيدبا سريرٌ مثلُ سريرهِ وكراسيُّ لأبناء الملوك والعلماء . وانفذ واحضرهُ * فلمّا جآء

الرسول. قام فلبس الثياب التي كان يلبسها اذا دخل على الملوك وهي المسوح السودُ. وحمل الكتاب تلميذهُ * فلمّا دخل على المَلِك. وثب الخلائقُ باجمعهم. وقام الملك شاكرًا * فلمّا قَرُب من المَلِك. كَفَّرَ لهُ وسجد. ولم يرفع راسهُ * قال لهُ المَلِك: يا بِيدبا ارفع راسك. فانَّ هذا يومُ هَنآءٍ وفرحٍ وسرور. وامرهُ الملك أن يجلِس * فحين جلس لِقرآءة الكتاب. سألهُ المَلِكُ عن معني كلّ باب من ابواب الكتاب والى ايّ شيء قصد فيهِ. فاخبرهُ بغَرَضهِ فيهِ وفي كلّ باب * فازداد الملكُ منهُ تعجّبًا وسرورًا. فقال لهُ: يا بِيدبا ما عَدَوْتَ الذي في نفسي. وهذا الذي كنتُ اطلُب. فاطلُبْ ما شئت وتحكّم * فدعا لهُ بيدبا بالسّعادة وطول الجَدّ. وقال: ايّها

الملك أمّا المال فلا حاجة لي فيهِ. وأمّا الكسوةُ فلا أختارُ على لِباسي هذا شيئًا. ولستُ أُخلي المَلِكَ من حاجة * قال الملك: يا بيدبا ما حاجتُك. فكلُّ حاجةٍ لك قبِلَنا مَقضِيةٌ * قال: يامرُ المَلِكُ أن يدوّنَ كِتابي هذا كما دوَّن آباؤهُ وأجدادهُ كُتبَهم. ويأمُرُ بالمحافَظة عليهِ. فاني اخاف أن يخرُجَ من بلاد الهند فيتناولَهُ اهلُ فارسَ اذا علِموا بهِ. فليامرِ الملك أن لا يخرُجَ من بيت الحِكمة * ثمَّ دعا الملك بتلامذتهِ واحسنَ لهم الجوائز * ثمَّ إِنهُ لمَّا ملكَ كِسرى انوشِيرَوان (وكان مستبشِرًا بالكتب والعِلم والادب والنظر في أخبار الاوائل) وقع لهُ خبرُ الكتاب. فلم يَقرَّ قرارُهُ حتَّى بعث بِرزَوَيه الطبيبَ. وتلطَّف حتى اخرجهُ من بلاد الهِند. فاقرَّهُ في خزائن فارس *

مستأثرا ‎better‎ (الحسن)

الباب الثاني

بعثة برزويه الى بلاد الهند لانتساخ كتاب كليلة ودمنه

أمّا بعدُ فانّ الله تعالى خلق الخَلْق برحمتهِ . ومَنَّ على عبادهِ بفضلهِ وكَرمهِ . ورزقهم ما يقدَرون بهِ على إصلاح مَعايشهم في الدنيا . ويُدرِكون فيهِ استنقاذ أرواحِهم من العَذاب في الآخرة * وافضل ما رزقهمُ الله تعالى ومَنَّ بهِ عليهم العقلُ . الذي هو الدِّعامةُ لجميع الاشياء . والذي لا يقدِرُ احدٌ في الدنيا على إصلاح معيشتهِ ولا إحرازِ نفعٍ ولا دفعِ ضررٍ الّا بهِ * وكذلك طالب الآخرة المجتهدُ في العمل المنجّي بهِ روحهُ لا يقدر على إتمام عملهِ واكمالهِ الّا بالعقل الذي هو سببُ كلِّ خيرٍ ومِفتاح كلّ سَعادة * فليس لاحدٍ غِنًى عن العقل . والعقل

مكتسبٌ بالتجارِب والادب . ولهُ غريزةٌ مكنونةٌ في الانسان كامنةٌ . كالنار في الحجر لا تظهر ولا يُرَى ضَوءُها حتى يقدَحَها قادحٌ من الناس. فاذا قُدحت ظهَرت طبيعتها : وكذلك العقل كامنٌ في الانسان. لا يظهر حتى يُظهِرهُ الادب وتقويةُ التجارب * ومَن رُزق العقلَ. ومُنَّ بهِ عليهِ .وأُعين على صِدق قريحتهِ بالادب . حرِص على طلب سَعْدِ جَدِّهِ. وادرك في الدنيا أَملهُ . وحاز في الآخرة ثوابَ الصالحين * وقد رزقَ اللهُ المَلِكَ السعيدَ انوشِيرَوانَ من العقل افضلَهُ. ومن العلم اجزَلهُ. ومن المعرفة بالامور اصوبَها. وسدَّدهُ من الأَفعال أَسَدَّها . ومن البحث عن الاصول والفروع انفعَهُ . وبلَّغهُ من فنون اختلاف العِلم وبلوغ منزلة الفلسفة ما لم يبلُغْهُ مَلِكٌ قطٌّ من الملوك قبلهُ .

حتّى كان في ما طلب وبحث عنهُ من العِلم أنْ بلغهُ عن كتابٍ بالهِند عُلم أنّهُ اصل كلِّ ادبٍ وراسُ كلّ منفعةٍ. ومفتاحُ عمل الآخِرةِ وعِلمِها ومعرفةِ النجاة من هَوْلها * فامر الملكُ وزيرهُ بَزَرْجَمْهِر أنْ يبحث لهُ عن رجلٍ اديبٍ عاقل من اهل مملكتهِ بصيرٍ بلسان الفارسيّة ماهرٍ في كلام الهِند. ويكون بليغًا باللسانين جميعًا. حريصًا على طلب العلم. مجتهدًا في استعمال الادب. مبادرًا في طلب العلم والبحث عن كُتُب الفلسفة * فاتاهُ برجلٍ اديبٍ كامل العقل والادب. معروف بصِناعة الطِبّ ماهرٍ في الفارسيّة والهنديّة يقال لهُ بِرْزَوَيْهِ * فلمّا دخل عليهِ. كفر لهُ وسجد بين يديهِ. فقال لهُ الملك: يا بِرْزَوَيْهِ. إنّي قد اخترتُك لِما بلغني من فضلك وعِلمك وعقلك

وحِرصك على طَلَب العلم حيث كان . وقد بلغني عن كتابٍ بالهند مخزون في خِزائنهم * وقصّ عليهِ ما بلغهُ عنهُ وقال لهُ : تجهَّزْ فانّي مُرحِّلك الى ارض الهند . فتلطَّفْ بعقلك وحُسْن ادبك وناقدِ رأيك لاستخراج هذا الكتاب من خزائنهم ومن قِبَل علمائهم فتستفيد بذلك وتفيدنا * وما قَدَرْتَ عليهِ من كتب الهند ممّا ليس في خزائننا منهُ شيءٌ . فأحملهُ معك . وخذ معك من المال ما تحتاج اليهِ . وعجّل ذلك . ولا تقصّر في طلب العلوم وإنْ اكثرتَ فيهِ النفقة . فانَّ جميعَ ما في خزائني مبذولٌ لك في طلب العلوم * وامر بإحضار المنجّمين . فاختاروا لهُ يومًا يَسيرُ فيهِ . وساعةً صالحةً يخرُج فيها * وحمل معهُ من المال عشرين جِرابًا . كلّ جِراب فيهِ عَشَرةُ آلاف دينارٍ

فلمّا قدِم برزَوَيه بلادَ الهند . طاف بباب الملِك . ومجالس السُّوقة . وسأَل عن خوَاصّ الملِك والاشراف والعلماء والفلاسفة * فجعل يغشاهم في منازلهم . ويتلقّاهم بالتحيّة . ويُخبِرهم بانّهُ رجلٌ غريبٌ قَدِمَ بلادهم لطلب العلوم والادب . وأَنّهُ محتاجٌ الى مُعاوَنتهم في ذلك * فلم يزَلْ كذلك زمانًا طويلاً يتأَدّب عن علماء الهند بما هو عالمٌ بجميعهِ . وكأَنّهُ لا يعلَمُ منهُ شيئًا . وهو فيما بين ذلك يستر بُغيتهُ وحاجتهُ * واتّخذ في تلك الحالة لطول مُقامهِ اصدقاء كثيرةً من الأشراف والعلماء والفلاسفة والسُّوقة ومن اهل كلّ طبَقةٍ وصناعةٍ *

وكان قد اتّخذ من بين اصدقائهِ رجلاً واحدًا قد اتّخذهُ لسرّهِ وما يجب مُشاوَرتهُ فيهِ للّذي ظهَر لهُ من

فضلهِ وادبهِ واستبان لهُ من صحّة إخائهِ . وكان يشاورهُ في الامور ويرتاح اليهِ في جميع ما اهمّهُ . الّا انّهُ كان يكتمُ منهُ الامرَ الذي قدِم من اجلهِ . لكي يبلوَهُ ويختبرهُ وينظرَ هل هو اهلٌ أن يُطلِعهُ على سرّهِ * فقال لهُ يوماً وهما جالسان : يا اخي ما أُريد أنْ اكتمك من امري فوق الذي كتمتُك . فاعلم أنّي لِأمرٍ قدِمتُ وهو غيرُ الذي يظهر منّي . والعاقل يكتفي من الرجل بالعلامات من نظرهِ حتّى يعلم سرّ نفسهِ وما يُضمِر قلبهُ عليهِ * قال لهُ الهنديّ : إنّي وإنْ لم اكن بدأتك واخبرتُك بما جئتَ لهُ وإيّاهُ تريد وأنّك تكتمُ امرًا تطلُبهُ وتُظهر غيرَهُ . فما خفي عليّ ذلك منك . ولكنّي لرغبتي في إخائك كرِهتُ أن اواجهك بهِ وأنّهُ قد استبان ما تُخفيهِ منّي * فامّا اذ

قد اظهرتَ ذلك وافصحتَ بهِ وبالكلام فيهِ . فانّي
مُخبِرُك عن نفسك ومُظهِرٌ لك سريرتَك . ومعلّمك
بحالك التي قدمتَ لها * فانّك قَدِمتَ بِلادَنا لتسلُبنا
كنوزَنا النفيسة فتذهبَ بها الى بِلادك وتَسُرّ بها
مَلِكَك * وكان قدومُك بالمكر والخديعة . ولكنّي لمّا رأيتُ
صبرَك ومواظبتك على طلب حاجتك والتحفّظِ من
أَنْ يسقُط منك الكلام مع طول مَكثك عندَنا بشيءٍ
يُستدَلّ بهِ على سريرتك وامورك . ازدَدتُ رَغبةً في
إِخائك وثِقةً بعقلك . فأَحببتُ مودّتك * فانّي لم
أَرَ في الرجال رجلاً هو ارصنُ منك عقلاً ولا احسنُ
ادبًا . ولا اصبرُ على طلب العلم ولا اكتم لسرّهِ منك .
ولا سيّما في بلاد غُربَةٍ ومملكةٍ غير مملكتك . وعند
قوم لا تَعرِف سُنَنَهم * وإِنْ عقل الرجل لَيَبين في

ثمانِ خِصالٍ: الاولى منها الرِفق. والثانية أَنْ يَعرِفَ الرجل نفسهُ فيحفظها. والثالثة طاعةُ الملوك والتحرّي لما يُرضيهم. والرابعة معرفةُ الرجلِ موضِعَ سِرّهِ وكيف ينبغي أَنْ يُطلِع عليهِ صديقهُ. والخامسة أَنْ يكون على أَبواب الملوك اديبًا مَلِقَ اللسان. والسادسة ان يكون لسرّهِ وسِرّ غيرهِ حافظًا. والسابعة أَنْ يكون على لِسانهِ قادرًا فلا يتكلَّم الاَّ بما يأْمن بهِ تَبِعتهُ. والثامنة أَنْ يكون بالمحفل لا يتكلَّمُ إِلاَّ بما يُسأَل عنهُ * فمَن اجتمعت فيهِ هذه الخِصال. كان هو الداعي الخير الى نفسهِ * وهذه الخِصال كلُّها قد اجتمعت فيك. وبانت لي منك. فالله تعالى يحفظك. ويعينك على ما قدِمتَ لهُ * فمصادقتك إِيَّاي لتسلُبني كنزي وفخري وعِلمي. فانَّك اهلٌ لِأَنْ تُسعَف بحاجتك.

وتُشفعَ بطَلِبتك. وتُعطَى سُؤْلَك * فقال لهُ برزَوَيه: إنّي قد كُنتُ هيّأتُ كلامًا كثيرًا. وشعّبتُ لهُ شعوبًا. وانشأتُ لهُ اصولاً وطُرُقًا. فلمّا انتهيتُ الى ما بدأتني بهِ من اطّلاعك على امري والذي قدمتُ لهُ والقيتهُ عليَّ من ذات نفسك ورَغبتِك في ما القيتَ من القول. اكتفيتُ باليسير من الخِطاب معك. وعرّفتُ الكبيرَ من اموري بالصغير من الكلام. واقتصرتُ بهِ معك على الايجاز. ورأيتُ من إسعافك ايّاي بحاجتي ما دلّني على كَرَمك وحُسن وفائك * فانّ الكلامَ اذا أُلقي الى الفيلسوف والسِرَّ اذا أُستودع الى اللبيب الحافظ. فقد حُصن وبُلغ بهِ نهايةَ أَمَلِ صاحبهِ. كما يُحصَن الشيءُ النفيس في القِلاع الحصينةِ * قال لهُ الهِنديّ: لا شيء افضل

من المودّة ٠ ومن خلصت مودّتهُ . كان اهلاً أنْ يَخلِطَهُ الرجل بنفسهِ ولا يذخَر عنهُ شيئًا ولا يكتمهُ سرًّا . فانّ حِفظ السِّرّ رأسُ الادب * فاذا كان السرّ عند الامين الكتوم . فقد احترز من التضييع . مع أنّهُ خليقٌ أنْ لا يتكلّمَ بهِ ٠ ولا يَتِمُّ سِرٌّ بين اثنين قد علماهُ وتفاوضاهُ * فاذا تكلّم بالسرّ اثنان . فلا بدّ من ثالثٍ من جِهة احدهما او من جهة الآخَر ٠ فاذا صار الى الثلاثة . فقد شاع وذاع . حتّى لا يستطيعَ صاحبهُ أنْ يجحدَهُ ويكابر عنهُ . كالغيم اذا كان منقطعًا في السماء فقال قائل هذا غيمٌ منقطع . لا يقدرُ احدٌ على تكذيبهِ . وانا فقد يداخلني من مودّتك وخُلطتك سرورٌ لا يعدِلهُ شيءٌ * وهذا الامر الذي تطلبهُ منّي أعلَمُ أنّهُ من الاسرار التي لا

تُكتَم. فلابدَّ أنْ يفشو ويظهَر حتّى يتحدَّثَ بِهِ الناس *
فاذا فشا. فقد سعيتُ في هلاكي هلاكًا لا اقدرُ على
الفِداَء منهُ بالمال وإنْ كَثُر. لانَّ مَلِكَنا فَظٌّ غليظٌ
يعاقب على الذنب الصغير اشدَّ العقاب. فكيف
مثلَ هذا الذنب العظيم. وإذا حملْتني المودّة التي
بيني وبينك فأسعفتك بحاجتك. لم يرُدَّ عِقابهُ
عنّي شيءٌ *

قال برزَوَيهِ: إنَّ العلماَء قد مدحت الصديق
اذا كتم سِرَّ صديقهِ. وإعانهُ على الفَوْز. وهذا الامر
الذي قَدِمتُ لهُ لمثلك ذخرتهُ. وبك ارجو بلوغَهُ *
وانا واثقٌ بكَرَم طِباعك ووفور عقلك. وأعلم أنّك
لا تخشى منّي ولا تخاف أنْ أُبديَهُ. بل تخشى اهلَ
بيتك الطائفين بك وبالمَلِك أنْ يسعَوْا بك * وأنا

ارجو أنْ لا يَشيع شيءٌ من هذا الامر. لأنّي انا ظاعنٌ وانت مقيمٌ. وما اقمتُ فلا ثالثَ بيننا * فتعاهدا على هذا جميعًا. فأجابهُ الهنديُّ الى ذلك الكتاب والى غيرهِ من الكُتُب. فأكبَّ على تفسيرهِ ونقلهِ من اللِسان الهِنديّ الى اللسان الفارسيّ. واتعب نفسهُ وأنصب بدَنَهُ ليلاً ونهارًا وهو مع ذلك وَجِلٌ وفزِعٌ من مَلِك الهند. خائفٌ على نفسهِ من أنْ يذكُرَ الملكُ الكتابَ في وقتٍ ولا يصادفهُ في خِزانتهِ *

فلمّا فرِغ من انتساخ الكتاب وغيرهِ ممّا اراد من سائر الكُتُب. كَتَب الى انوشيروان يُعلِمهُ بذلك * فلمّا وصل اليهِ الكتاب. سُرَّ بذلك سرورًا شديدًا. ثمّ تخوّف مُعاجَلة المقادير أنْ تنغّص عليهِ

فرحهُ . فكتب الى بِرْزَوَيهِ يامرُهُ بتعجيل القدوم *
فسار بِرْزَوَيهِ متوجهًا نحو كِسْرى . فلمَّا رأى الملك
ما قد مسَّهُ من الشحوب والتعب والنَّصَب . قال
لهُ : ايُّها العبد الناصح الذي ياكُل ثمرة ما قد غرس .
أَبْشِرْ وقَرَّ عينًا . فانّي مشرّفك وبالغٌ بك افضلَ
درجة * وامرهُ أنْ يُرِيحَ بدنهُ سبعةَ ايَّام *
فلمَّا كان اليوم السابع . امر الملك أنْ يجتمعَ اليهِ
الامرآء والعلمآء * فلمَّا اجتمعوا . امر بِرْزَوَيهِ بالحضور .
فحَضَرَ ومعهُ الكُتُب . ففتحها وقرأها على مَن حضر
من اهل المملكة * فلمَّا سمعوا ما فيها من العِلم . فرِحوا
فرحًا شديدًا . وشكروا الله على ما رزقهم . ومدحوا
بِرْزَوَيهِ واثنَوْا عليهِ * وامر الملك أنْ تُفتَحَ لِبِرْزَوَيهِ
خزائنُ اللؤلؤ والزَّبَرْجَد والياقوت والذهب والفضَّة .

وامرهُ أنْ ياخُذ من الخزائن ما شآء من مالٍ وكُسوة.
وقال : يا برزويهِ إنّي قد امرتُ انْ تجلِس على مِثل
سريري هذا. وتلبسَ تاجًا وتترأّسَ على جميع الأشراف *
فسجد برزويهِ للملك ودعا لهُ. وطلب من الله وقال:
اكرمَ اللهُ تعالى الملكَ كرامةَ الدنيا والآخِرة. واحسن
عنّي ثوابَهُ وجزآءهُ . فانّي بحمد الله مستغنٍ عن المال
بما رزقني الله على يد الملك السعيدِ الجَدِّ العظيمِ
المُلك. ولا حاجةَ لي بالمال . لكنْ لمّا كلّفني ذلك
وعلمتُ أنّهُ يسرُّهُ . انا امضي الى الخزائن فآخذ منها
طَلَباً لِمَرْضاتهِ وامتثالاً لامرهِ * ثمّ قصـد خِزانة
الثياب . فأخذ منها تُحَفاً من ظرائف خُراسانَ ومن
مَلابِس الملوك * فلمّا قبض بِرْزَوَيه ما اختارهُ ورضيهُ
من الثياب . قال : اكرم اللهُ المَلِكَ ومدّ في عُمرهِ

ابدَ الابد . إنّ الانسان اذا أُكرم وجب عليهِ الشُكر . وإنْ كان قد استوجبهُ تعبًا ومشقّةً فقد كان فيها رِضاءَ الملك * وامّا انا فما لقيتهُ من عَنآءٍ وتعبٍ ومشقّة لِما اعلم أنّ لكم فيهِ الشرف يا اهلَ هذا البيت . فانّي لم ازلْ الى هذا اليوم تابعًا رِضاكم . ارى العسير فيهِ يسيرًا . والشاقّ هيّنًا . والنّصَب والاذى سرورًا ولذّةً . لِمَا اعلمَ أنّ لكم فيهِ رضآءً وقُربةً عندكم * ولكنّي اسألك ايّها الملك حاجةً تُسعِفُني بها . وتعطيني فيها سُؤْلي . فانّ حاجتي يسيرةٌ . وفي قضائها فائدةٌ كثيرةٌ * قال أنوشِيروانْ : قُل . فكلُّ حاجة لك قِبلَنا مقضيةٌ . فانّك عندنا عظيمٌ . ولو طلبتَ مُشارَكتنا في مُلكنا . لفعلنا . ولم نرُدَّ طَلِبَتك . فكيف ما سوى ذلك . فقل ولا تحتشم . فانّ الامور كلّها مبذولةٌ لك * قال بِرزَوَيْهِ

ايها الملك لا تنظرْ الى عنائي في رضاك وانكماشي في طاعتك . فانّما انا عبدُك يلزَمني بَذْلُ مُهجتي في رِضاك . ولو لم تجزِني . لم يكن ذلك عندي عظيمًا ولا واجبًا على الملك . ولكن لكَرَمهِ وشرف منصبهِ عمد الى مُجازاتي . وخصّني واهلَ بيتي بعلوّ المرتبة ورفع الدرجة . حتّى لو قدِرَ أَنْ يجمع لنا بين شرف الدنيا والآخرة . لفعل . فجازاهُ الله عنّا افضلَ الجزآء * قال انوشيروان : اذكُرْ حاجتك . فعليَّ ما يسرُّك . فقال برزويه : حاجتي أَنْ يامرُ المَلِكُ (اعلاهُ الله تعالى) وزيرَهُ بَزَرْجَمْهر بن البختكان ويقسِمَ عليهِ أَنْ يُعمِلَ فِكرهُ ويجمع رايَهُ ويُجهِد طاقتَهُ ويُفرِغَ قلبَهُ في نظم تاليفِ كلام متقنٍ محكَمٍ . ويجعلَهُ بابًا يذكُر فيهِ امري ويَصِفُ حالي . ولا يدع من المبالغة في ذلك اقصى

ما يقدرُ عليهِ . ويامرهُ اذا استتمَّ أنْ يجعلهُ اوَّلَ الأبواب التي تُقرأ قبل باب الاسد والثور * فانَّ الملك اذا فعل ذلك . فقد بلغ بي وبأهلي غايةَ الشرف واعلى المراتب. وابقى لنا ما لا يزال ذِكرهُ باقيًا على الابد حيثما قُرِئ هذا الكتاب *

فلمَّا سمع كِسرى انوشيروانُ والعظماء مقالتهُ وما سمَتْ اليهِ نفسهُ من محبَّة إبقاء الذِكر واستحسنوا طَلِبتهُ واختيارهُ . قال كسرى : حبًّا وكرامةً لك يا برزَوَيه : إنَّك لأَهلٌ أنْ تُسعَف بحاجتك . فما اقلَّ ما قنِعتَ بهِ وايسرهُ عندنا وان كان خَطَرهُ عندك عظيمًا * ثمَّ اقبل انوشيروانُ على وزيرهِ بزرجمهر فقال لهُ : قد عرفتَ مناصحةَ برزَوَيهِ لنا وتجشُّمهُ المخاوفَ والمهالك في ما يقرِّبهُ منا وإتعابَهُ بدَنَهُ في

ما يسرُّنا. وما اتى بهِ الينا من المعروف. وما افادنا الله على يدهِ من الحِكمة والادب الباقي لنا فَخرُهُ. وما عرضنا عليهِ من خزائننا لنجزيَهُ بذلك على ما كان منهُ. فلم تَمِلْ نفسهُ الى شيءٍ من ذلك. وكان بُغيتهُ وطَلِبتهُ منَّا امرًا يسيرًا راآهُ هو الثوابَ منَّا لهُ والكَرامة الجليلة عندهُ * فاني أُحِبُّ أَنْ تتكلَّم في ذلك وتُسعِفَهُ بحاجتهِ وَطِلبتهِ. وأَعلم أَنَّ ذلك ممَّا يسُرُّني * ولا تدَعْ شيئًا من الاجتهاد والمبالغة الاَّ بَلَغتَهُ وإِنْ نالتك فيهِ مشقَّة. وهو أَنْ تكتُب بابًا مضارِعًا لتلك الأَبواب التي في الكتاب وتذكُر فيهِ فضل بِرْزَوَيْهِ. وكيف كان ابتداءُ امرهِ وشانهِ. وتنسِبهُ اليهِ والى حَسَبِهِ وصِناعتهِ. وتذكُرَ فيهِ بَعثَتَهُ الى بلاد الهند في حاجتنا. وما أَفِدْنا على يديهِ من هناك وشرِّفنا بهِ

وفضَّلنا على غيرنا. وكيف كان حال برزويه وقدومهُ من بلاد الهند * فقُل ما تقدرُ عليهِ من التقريظ والإطناب في مدحهِ. وبالغ في ذلك افضلَ المبالغة. واجتهد في ذلك اجتهادًا يسُرّ برزويه واهل المملكة. فانَّ برزويه اهلٌ لذلك منّي ومن جميع اهل المملكة ومنك ايضًا لمحبّتك للعلوم * واجهد أنْ يكون غرَض هذا الكتاب الذي يُنسَب الى برزويه افضلَ من أغراض تلك الابواب عند الخاصّ والعامّ واشدّ مُشاكلةً بحال هذا العلم. فانّك اسعدُ الناس كلّهم بذلك لانفرادك بهذا الكتاب. واجعلهُ اوّل الأبواب. فاذا انتَ عملتهُ ووضعتهُ في موضعهِ. فأعلِمني لاجمع اهل المملكة. وتقرأه عليهم. فيظهرَ فضلك واجتهادك في محبّتنا. فيكونَ لك

بذلك فخر * فلمّا سمع بَزَرْجَمْهِر مقالة الملك . خرَّ لهُ ساجدًا وقال : ادام الله لك ايها الملكُ البَقاء . وبلّغك افضلَ منازل الصالحين في الآخِرة والأُولى . لقد شرّفتني بذلك شرفًا باقيًا الى الابد *

ثمّ خرج بَزَرْجَمْهر من عند الملك . فوصف بِرْزَوَيْهِ من اوّل يوم دفعَهُ ابواهُ الى المعلّم ومُضيّهُ الى بلاد الهِند في طلب العقاقير والادوية . وكيف تعلّم خطوطهم ولُغتَهم والى أنْ بعثهُ انوشيرَوانُ الى الهِند في طلب الكتاب * ولم يدعْ من فضائل بِرْزَوَيْهِ وحِكمتهِ وخلائقهِ ومذهبهِ امرًا الأ ونسقهُ وأتى بهِ بأجوَدِ ما يكون من الشرح . ثمّ أعلم الملك بفراغهِ منهُ * فجمع انوشيروانُ أشرافَ قومهِ واهل مملكتهِ . وادخلهم اليهِ . وامر بزرجمهر بقرآءة الكتاب . وبِرْزَوَيْهِ

قائمٌ الى جانب بَزَرْجَمِهر . وابتدأ بوصف بِرْزَوَيهِ حتى انتهى الى آخرهِ * ففَرِح الملك بما اتى بهِ بَزَرْجَمِهر من الحِكمة والعلم . ثمَّ اثنى المَلِكُ وجميعُ من حَضَرَهُ على بَزَرْجَمِهر وشكروهُ ومدحوهُ . وأَمر لهُ الملك بمالٍ جزيلٍ وكُسوةٍ وحُليٍّ واوانٍ . فلم يقبل من ذلك شيئًا غير كُسوةٍ كانت من ثياب الملوك * ثمَّ شكر لهُ ذلك برزويه . وقبَّل راسَهُ ويدهُ . واقبلَ بِرْزَوَيهِ على الملك وقال : ادام الله لك المُلْكَ والسعادة . فقد بلغتَ بي وباهلي غايةَ الشرف بما امرتَ بهِ بزرجمهر من صَنعة الكتاب في امري وإبقاءَ ذِكري *

الباب الثالث

عَرْض الكتاب ترجمة عبد الله بن المقفّع

هذا كتابُ كليله ودمنه. وهو مِمّا وضعتهُ علماء الهند من الأمثال والاحاديث التي أُلهِموا أنْ يُدخِلوا فيها ابلغَ ما وجَدوا من القول في النحو الذي ارادوا * ولم تزَلِ العلمآء من اهل كلّ مِلّة يلتمسون أنْ يُعقَل عنهم. ويحتالون في ذلك بصنوف الحِيَل. ويبتغون إخراجُ ما عندهم من العِلَل. حتى كان من تلك العِلَل وضعُ هذا الكتابِ على أفواهِ البهائم والطير. فاجتمع لهم بذلك خِلالٌ * أمّا هم فوَجَدوا منصرَفًا في القول وشعوبًا ياخذون منها. وأمّا الكتاب فجمع حِكمةً ولهوًا. فاختارهُ الحكمآء لحِكمتهِ والسفهاء للهوهِ. والمتعلّم من الأحداث ناشطٌ في

حفظ ما صار اليهِ من امرٍ يُرْبَط في صدرهِ. ولا يَدري
ما هو. بل عَرَفَ أنَّهُ قد ظَفِر من ذلك بمكتوبٍ
مرقوم. وكان كالرجل الذي لمّا استكمل الرجوليّة.
وَجَدَ ابوَيهِ قد كنزا لهُ كنوزًا وعقدا لهُ عقودًا
استغنى بها عن الكَدح في ما يعملهُ من امر معيشتهِ.
فاغناهُ ما اشرف عليهِ من الحِكمة عن الحاجة الى
غيرها من وجوه الادب * وينبغي لمَن قرأ هذا
الكتاب أَنْ يَعرِف الوجوه التي وُضعت لهُ والى
ايّ غاية جرى مؤلّفهُ فيهِ عند ما نسبهُ الى البهائم
واضافهُ الى غير مُفصِحٍ وغيرَ ذلك من الاوضاع
التي جعلها أَمثالاً * فانّ قارئهُ متى لم يفعل ذلك.
لم يدرِ ما أُريد بتلك المعاني ولايّ ثمرةٍ يجتني منها
ولايّ نتيجة تحصُل لهُ من مقدّمات ما تضمّنهُ هذا

الكتاب . وأنّهُ وإن كان غايتهُ استتمامَ قِراءَتهِ الى آخِرهِ دون معرفة ما يُقرأُ منهُ . لم يَعُد عليهِ شيءٌ يرجِعُ اليهِ نفعهُ * ومَن استكثر من جمع العلوم وقِراءَة الكُتُب من غير إعمال الرَّوِيَّةِ في ما يقراهُ كان خليقًا أنْ لا يُصِيبَهُ الاَّ ما اصاب الرجل الذي زعمت العلماءُ أنّهُ اجتاز ببعض المَفاوِز . فظهر لهُ موضِعُ آثارِ كنوزٍ . فجعل يحفِر ويطلُب . فوقع على شيءٍ من عَيْنٍ ووَرَقٍ . فقال في نفسهِ : إنْ انا اخذتُ في نقل هذا المال قليلاً قليلاً : طال عليَّ وقطعني الاشتغالُ بنقلهِ وإحرازهِ عن اللّذّة بما أَصَبْتُ منهُ . ولكن سأستاجر أقوامًا يَحمِلونهُ الى منزلي . واكون انا آخِرَهم . ولا يكون بقي ورآئي شيءٌ يشغَلُ فِكري بنقلهِ . واكون قد استظهرتُ لنفسي في إراحة بدني عن

الكَدّ بيسير إجرةٍ اعطيها لهم * ثمّ جاء بالحمّالين.
فجعل يحمّل كلّ واحد منهم ما يُطيق. فينطلق بهِ
الى منزلهِ فيفوز بهِ. حتّى اذا لم يبقَ من الكنز شيءٌ.
انطلق خلفَهم الى منزلهِ. فلم يجد فيهِ من المال شيئًا
لا قليلاً ولا كثيرًا. واذا كلُّ واحد من الحمّالين
قد فاز بما حملهُ لنفسهِ. ولم يكن لهُ من ذلك الاّ
العناء والتعب. لانّهُ لم يفكّر في آخر امرهِ *

وكذلك من قرأ هذا الكتاب ولم يفهم ما فيهِ.
ولم يعلم غرَضَهُ ظاهرًا وباطنًا. لم ينتفع بما بدا لهُ من
خطّهِ ونقشهِ. كما لو أنَّ رجلاً قُدِّم لهُ جوزٌ صحيح.
لم ينتفع بهِ الاّ أنْ يكسرهُ. وكان ايضًا كالرجل
الذي طلب عِلم الفصيح من كلام الناس فاتى صديقًا
لهُ من العلماء لهُ عِلمٌ بالفصاحة. فاعلمهُ حاجتَهُ الى

عِلم الفصيح. فرسم لهُ صديقهُ في صحيفةٍ صَفراءَ فصيحَ الكلام وتصاريفهُ ووجوهَهُ * فانصرف المتعلمُ الى منزلهِ. فجعل يُكثِر قِراءَتها. ولا يقِفُ على معانيها * ثمَّ انهُ جلس ذاتَ يوم في محفلٍ من اهل العِلم والادب. فاخذ في محاوَرتهم. فجرت لهُ كلمةٌ اخطأَ فيها * فقال لهُ بعض الجماعة: إِنَّك قد اخطأْت. والوجهُ غيرُ ما تكلَّمتَ بهِ * فقال: كيف أُخطئُ وقد قرأْتُ الصحيفةَ الصفراءَ. وهي في منزلي. فكانت مقالتهُ لهم اوجبَ للحجَّة عليهِ. وزادهُ ذلك قُربًا من الجهْل وبُعدًا من الادب *

ثمَّ إِنَّ العاقل اذا فهم هذا الكتاب وبلغ نهايةَ علمهِ فيهِ. ينبغي لهُ أَنْ يعمل بما عَلِمَ منهُ لينتفع بهِ. ويجعلهُ مِثالاً لا يحيد عنهُ. فاذا لم يفعل ذلك. كان

مَثَلَهُ كالرجل الذي زعموا أنَّ سارقًا تسوَّر عليهِ وهو نائمٌ في منزلهِ. فعلم بهِ فقال : والله لأسكتنَّ حتى انظر ماذا يصنع. ولا اذعرهُ . ولا أُعلمهُ أنّي قد علمت بهِ. فاذا بلغ مرادَهُ. قمتُ اليهِ فنغَّصتُ ذلك عليهِ * ثمَّ إنهُ امسك عنهُ . وجعل السارقُ يتردَّد . وطال تردُّدُهُ في جمعهِ ما يجدُهُ . فغلب الرجلَ النعاسُ فنام* وفرغ اللصُّ ممَّا اراد وامكنهُ الذهاب* واستيقظ الرجل فوجد اللصَّ قد اخذ المتاع وفاز بهِ. فاقبل على نفسهِ يلومها . وعرف أنَّهُ لم ينتفع بعلمهِ باللصّ اذ لم يستعمل في امرهِ ما يجب * وقد يقال أنَّ العلم لا يتمّ الاَّ بالعمل . وأنَّ العلم كالشجرة . والعمل بهِ كالثمرة * وانَّما صاحب العلم يقوم بالعمل لينتفع بهِ . وإنْ لم يستعمل ما يعلم فليس يسمَّى عالمًا * ولو أنَّ

رجلاً كان عالماً بطريقٍ مَخُوف. ثمّ سلكهُ على علمٍ بهِ. سمّي جاهلاً. ولعلّهُ أنْ يكونَ قد حاسب نفسهُ فوجدها قد رَكِبت أهواءً هجمتْ بها في ما هو أعرفُ بضررها فيهِ وأذاها من ذلك السالك في الطريق المَخوف الذي قد عرَفهُ * ومَن رَكِب هواهُ. ورفض ما ينبغي أنْ يعمل بما جرّبهُ هو او اعلمهُ بهِ غيرهُ. كان كالمريض العالِم برديّ الطّعام والشراب وجيّدهِ وخفيفهِ وثقيلهِ ثمّ يحملهُ الشَّرَهُ على اكلِ رديئهِ وتركِ ما هو اقربُ الى النجاة والتخلّص من علّتهِ *

واقلُّ الناس عُذرًا في اجتناب محمود الأفعال وارتكاب مذمومها مَن ابصر ذلك وميّزهُ وعرَف فضلَ بعضهِ على بعض. كما أنّهُ لو أنّ رَجُلين احدُهما بصيرٌ والآخَرُ أعمى. ساقهما الأجلُ الى حُفرةٍ. فوقعا

فيها . كانا اذا صارا في قعرها في منزلةٍ واحدة . غير أنَّ البصير اقلُّ عُذرًا عندَ الناس من الضرير . اذ كانت لهُ عينان يُبصِرُ بها . وذالك بما صار اليهِ جاهلٌ غير عارفٍ * وعلى العالِم أن يبدأ بنفسهِ ويؤدّبها بعلمهِ . ولا تكونَ غايتهُ اقتناءَهُ العِلم لمعاونة غيرهِ ويكونَ كالعين التي يشرب الناس ماءَها وليس لها في ذلك شيءٌ من المنفعة . وكَدُودة القزّ التي تُحكِم صَنعتَهُ ولا تنتفع بهِ * فينبغي لمن طلب العلم ان يبدأ بعِظةِ نفسهِ . ثم عليهِ بعد ذالك أنْ يُقبِسهُ . فانَّ ثَمَّ خِلالاً ينبغي لصاحب الدنيا أنْ يقتنيَها ويُقبِسَها : منها العِلمُ والمال . ومنها اتّخاذُ المعروف . وليس للعالِم أنْ يَعيب امرءًا بشيءٍ فيهِ مِثلُهُ . ويكونَ كالاعمى الذي يعيّر الاعمى بعَماهُ *

وينبغي لمن طلب امرًا أنْ يكون لهُ فيهِ غايةٌ ونهاية. ويعملَ بها ويقِفَ عندها. ولا يتمادى في الطلب * فانهُ يقال: من سار الى غير غايةٍ يوشِكُ أنْ تنقطع بهِ مطيَّتهُ * وهو حقيقٌ ألَّا يُعنّيَ نفسهُ على طلب ما لا حَدَّ لهُ وما لم ينَلْهُ احدٌ قبلهُ. ولا يتأسَّفَ عليهِ. ولا يكونَ لدنياهُ مُؤثِرًا على آخرتهِ. فانَّهُ مَن لم يُعلّق قلبهُ بالغايات. قلَّت حَسرتُهُ عند مفارَقتها * وقد يقال في امرين أنَّهما يحمُلان بكلّ احد: احدهما النُسك. والآخَر المال. وقد يقال في امرين أنَّهما لا يحمُلان بكلّ احد: المَلِك أنْ يُشارَك في مُلكهِ. والرجل أنْ يُشارَك في زوجتهِ * فالخَلّتان الأُولَيان مَثَلهما مَثَل النار التي تُحرِق كلَّ حطب يُقذَف فيها. والخَلّتان الأُخرَيان كالماء والنار اللّذين

لا يمكن اجتماعهما *

وليس ينبغي للعاقل أنْ يُغيظَ احدًا ساق الله اليهِ صُنعًا. وقد كان مرتقبًا منهُ غيرَ ذلك * ومن أمثال هذا أنَّ رجلاً كان بهِ فاقةٌ وجوعٌ وعُرْيٌ. فالجأهُ ذلك الى أنْ سأل اقاربَهُ واصدقاءَهُ. فلم يكن عند احدٍ منهم فضلٌ يعود بهِ عليهِ * فبينما هو ذاتَ ليلةٍ في منزلهِ. اذ بَصُرَ بسارقٍ في منزلهِ. فقال: والله ما في منزلي شيءٌ اخاف عليهِ. فليجهدِ السارقُ جهدَهُ * فبينما السارق يجول. اذ وقعت يدهُ على خائيةٍ فيها حنطة. فقال السارق: والله ما أُحبُّ أنْ يكونَ عَنَائيَ الليلةَ باطلاً. ولعلّي لا أصِلُ الى موضعٍ آخَر. ولكنْ سأحمِلُ هذه الحنطة * ثمَّ بسط قميصهُ ليصبَّ عليهِ الحنطة. فقال الرجل:

أيذهب هذا بالحنطة وليس ورائي سواها . فيجتمعَ
عليَّ مع العُزي ذَهابُ ما كنتُ اقتات بهِ . وما
تجتمع والله هاتان الخَلّتان على احدٍ الاَّ اهلكتاهُ *
ثمَّ صاح بالسارق. واخذ هِراوةً كانت عند رأسهِ.
فلم يكن للسارق حيلةٌ الاَّ الهربَ منهُ. وترك قميصهُ
ونجا بنفسهِ . وغدا الرجل بهِ كاسيًا *

وليس ينبغي أنْ يرَكَن الى مثل هذا ويدعَ ما
يجب عليهِ من الحَذَر والعمل في مثل هذا لصَلاح
مَعاشهِ * ولا ينظُرْ الى مَن تُواتيهِ المقاديرُ وتساعدهُ
على غير التماسٍ منهُ . لانَّ اولئك في الناس قليلٌ .
والجمهور منهم مَن اتعب نفسَهُ في الكدِّ والسَعْيِ في
ما يُصلِحُ امرَهُ وينال بهِ ما اراد *

وينبغي أنْ يكون حِرصُهُ على ما طاب كَسْبُهُ

وحُسْنَ نفعهِ . ولا يتعرَّضَ لِمَا يجلُب عليهِ العَنآءَ والشَّقآء . فيكون كالحمامة التي تفرّخ الفِراخ فتُوخذ وتُذبَح. ثمَّ لا يمنعها ذلك أنْ تعودَ فتفرخ في موضِعها وتقوم بمكانها. فتُوخَذ الثانيةَ فِراخُها فتُذبَح * وقد يُقال أنَّ الله تعالى قد جعل لكلّ شيءٍ حدًّا يوقَف عليهِ . ومَن تجاوز في الاشيآء حدَّها . اوشك أنْ يلحقهُ التقصير عن بلوغها * ويقال : مَن كانَ سعيهُ لآخِرتهِ ودنياهُ . فحيـاتهُ لهُ وعليهِ . ومَن كان سعيهُ لدنياهُ خاصَّةً . فحياتهُ عليهِ * ويقال في ثلاثة اشيآء يجب على صاحب الدنيا إصلاحُها وبَذْلُ جَهدِهِ فيها : منها امرُ معيشتهِ . ومنها ما بينهُ وبين الناس . ومنها ما يُكسِبهُ الذِكرَ الجميل بعدهُ * وقد قيل في امور مَن كنَّ فيهِ لم يستقِمْ لهُ عمل : منهـا التواني .

Semble all

ومنها تضييع الفُرَص. ومنها التصديق لكلّ مُخبِرٍ.
ورُبَّ مُخبِرٍ بشيءٍ عَقَلَهُ ولا يعرِفُ استقامتهُ فيصدّقهُ *
وينبغي للعاقل أنْ يكون لِهَواهُ متّهمًا. ولا يقبلَ من
كلّ احدٍ حديثًا. ولا يتمادى في الخطاءِ اذا التبس
عليهِ امرُهُ. حتّى يتبيّنَ لهُ الصوابُ وتستوضح لهُ
الحقيقة. ولا يكون كالرجل الذي يحيد عن الطريق
فيستمرّ على الضّلال. فلا يزداد في السير الاّ جهدًا
وعن القصد الاّ بُعدًا. وكالرجل الذي تَقذَى عينهُ
فلا يزال يحُكّها حتّى ربّما كان ذلك الحكُّ سببًا
لذَهابها *

ويجب على العاقل أنْ يصدّق بالقضاء ويأخُذ
بالحزْم. ويُحبَّ للناس ما يحبُّ لنفسهِ. ولا يلتمسَ
صَلاح نفسهِ بفَساد غيرهِ * فانهُ مَن فعل ذلك .

كان خليقًا أنْ يصيبهُ ما اصاب التاجرَ من رفيقهِ * فانهُ يقال أنهُ كان رجلٌ تاجرٌ. وكان لهُ شريكٌ. فاستاجرا حانوتًا. وجعلا متاعهما فيهِ * وكان احدُهما قريب المنزل من الحانوت. فأضمر في نفسهِ أنْ يسرق عِدلاً من أعدال رفيقهِ. ومكَرَ الحيلة في ذلك. وقال: إنْ اتيتُ ليلاً. لم آمن أنْ أحمِلَ عِدلاً من أعدالي او رِزْمةً من رِزَمي ولا اعرِفُها. فيذهب عنائي وتعبي باطلاً * فاخذ رِداءهُ والقاهُ على العِدل الذي اضمر اخذهُ. ثمَّ انصرف الى منزلهِ * وجاء رفيقهُ بعد ذلك ليُصلحَ أعدالهُ. فوجد رِداءَ شريكهِ على بعض أعدالهِ. فقال: واللهِ هذا رِداءُ صاحبي. ولا أحسبُهُ الاَّ قد نسيهُ. وما الرأي أنْ ادعهُ هاهنا. ولكنْ اجعلهُ على رِزَمهِ. فلعلهُ

يَسْتَبِقُني الى الحانوت فيجِدَهُ حيث يُحِبُّ * ثمَّ اخذ الرداء . والقاهُ على عِدلٍ من أَعدالِ رفيقهِ . وأقفل الحانوتَ ومضى الى منزلهِ * فلمَّا جاء الليل . اتى رفيقهُ ومعهُ رجلٌ قد واطأهُ على ما عزم عليهِ وضَمِن لهُ جُعلاً على حَملهِ . فصار الى الحانوت . فالتمس الإزار في الظُلمة . فوجدهُ على العِدل * فاحتمل ذلك العِدل . واخرجهُ هو والرجل . وجعلا يتراوحان على حَملهِ . حتى اتى منزِلَهُ . ورمى نفسهُ تَعَباً * فلمَّا اصبح . افتقدهُ فاذا هو بعض أَعدالهِ . فندم اشدَّ النَّدامة . ثمَّ انطلق نحو الحانوت فوجد شريكَهُ قد سبقهُ اليهِ . ففتح الحانوت . وفَقَد العِدْل . فاغتمَّ لذلك غمًّا شديدًا وقال : واسَوْءَتاهُ من رفيقٍ صالحٍ قدِ أئتمنني على مالهِ وخلَّفني فيهِ . ماذا يكون

حالي عندهُ. ولستُ اشكُّ في تُهمتهِ ايّاي. ولكن قد وطّنتُ نفسي على غَرامتهِ * ثمّ اتى صاحبهُ. فوجدهُ مغتمّاً. فسألهُ عن حالهِ. فقال: إنّي قد افتقدتُ الأعدال وفقدتُ عدلاً من أعدالك ولا اعلم بسببهِ. وإنّي لا اشكُّ في تُهمتك ايّاي. وإنّي قد وطّنتُ نفسي على غَرامتهِ * فقال لهُ: يا اخي لا تغتمَّ. فانّ الخيانةَ شرُّ ما عَمِلهُ الانسان. والمكرَ والخديعةَ لا يؤدّيان الى خير. وصاحبها مغرورٌ ابدًا. وما عاد وَبالُ البَغي الاّ على صاحبهِ. وانا احدُ مَن مكرَ وخدَع واحتال * فقال صاحبهُ: وكيف كان ذلك. فاخبرهُ بخبرهِ وقصّ عليهِ قِصّتهُ * فقال لهُ رفيقهُ: ما مَثَلك الاّ مَثَلُ اللصّ والتاجر: فقال لهُ: وكيف كان ذلك *

قال زعموا أنَّ تاجرًا كان لهُ في منزلهِ خابيتان. إحداهما مملوءة حنطةً. والأخرى مملوءة ذهبًا * فترقّبهُ بعضُ اللصوص زمانًا. حتّى اذا كان بعضُ الأيّام تشاغل التاجر عن المنزل. فاستغفلهُ اللّصُّ ودخل المنزِل. وكَمَنَ في بعض نواحيهِ * فلمّا هَمَّ بأخذ الخابية التي فيها الدنانير. اخذ التي فيها الحِنطة. وظنّها التي فيها الذهب. ولم يزَل في كدّ وتعب حتّى اتى بها منزلهُ. فلمّا فتحها وعلم ما فيها. ندم * قال لهُ الخائن: ما ابعدتَ المَثَل. ولا تجاوزتَ القياس. وقد اعترفتُ بذنبي وخطأي عليك. وعزيزٌ عليَّ أنْ يكونَ هذا كهذا. غير أنَّ النفسَ الرديئة تأمر بالفحشآء * فقبِل الرجل معذِرتهُ. وأضرب عن توبيخهِ. وندم هو عند ما عاين من سوء فِعلهِ وتقديم

جَهْلِهِ *

وقد ينبغي للناظر في كتابنا هذا أَنْ لا تكونَ غايتهُ التصفحَ لتزاويقهِ . بل يُشرفَ على ما يتضمّن من الأَمثال حتّى ياتيَ الى آخرِهِ . ويقِفَ عند كلّ مَثَلٍ وكلمةٍ يُعْمِل فيها رَوِيَّتهُ * ويكون مِثلَ الإخوة الثلاثة الذين خلّف لهم ابوهم المالَ الكثير فتنازعوهُ بينهم . فأَمّا الاثنان الكبيران فانّهما اسرعا في إتلافهِ وإنفاقهِ في غير وجههِ . وأَمّا الصغير فانّهُ عندما نظر ما صار اليهِ أَخواهُ من إِسرافهما وتخلّيهما من المال . اقبل على نفسهِ يشاورها وقال : يا نفسي انّما المال يطلُبهُ صاحبهُ . ويجمعهُ من كلّ وجهٍ لِبَقاء حالهِ وصَلاح مَعاشهِ ودنياهُ وشرف منزلتهِ في اعين الناس واستغنائهِ عمّا في ايديهم وصَرْفهِ في وجههِ

من صِلَة الرَّحِمِ والإنفاق على الولد والإفضال على الإخوان * فمَن كان لهُ مالٌ ولا يُنفِقهُ في حقوقهِ . كان كالذي يُعَدُّ فقيرًا وإنْ كان مُوسِرًا • وإن هو احسَن إمساكَهُ والقيام عليهِ . لم يَعدَمِ الامرين جميعًا من دُنيا تبقى عليهِ وحمدٍ يضاف اليهِ * ومتى قصد إنفاقَهُ على غير الوجوه التي عَلِمتِ . لم يلبَثْ أنْ يُتلِفَهُ ويبقى على حَسرةٍ ونَدامة * ولكنَّ الرأيَ أنْ أُمسِكَ هذا المال . فانّي ارجو ان ينفعني الله بهِ ويُغني إخوتي على يديَّ . فانّما هو مالُ ابي ومالُ ابيهما . وإنّ اولى الانفاق علي صِلَة الرَّحِمِ وإنْ بَعُدَ . فكيف بإخوتي • فانفذ فاحضرهما . وشاطرهما في مالهِ *

وكذلك يجب على قارئ هذا الكتاب أنْ يُديمَ

يسر

x حدث • tried by Karam (x 81)

النظر فيهِ من غير ضَجَرٍ . ويلتمسَ جواهِرَ معانيهِ . ولا يظُنَّ أنَّ نتيجةَ الإخبارُ عن حيلةِ بهيمتين او محاوَرةِ سبُعٍ لثور . فينصرِفَ بذلك عن الغَرَض المقصود * ويكونَ مَثَلُهُ مثَل الصيّاد الذي كان في بعض الخُلجان يصيد فيهِ السمك في زَوْرَقٍ . فرأى ذاتَ يومٍ في ارض المآء صَدَفةً تتلألأ حُسنًا . فتوهَّمها جوهرًا لهُ قيمة * وكان قد القى شبكتهُ في البحر . فاشتملت على سمكةٍ كانت قوتَ يومهِ . فخلّاها وقذف نفسهُ في المآء ليأخُذ الصدفة * فلمّا اخرجها . وجدها فارغةً لا شيء فيها ممّا ظنَّ . فندِم على ترك ما في يدهِ للطمع . وتأسّف على ما فاتهُ * فلمّا كان في اليوم الثاني . تنحّي عن ذلك المكان . والقى شبكتهُ . فاصاب حوتًا صغيرًا . ورأى ايضًا صَدَفةً سنيةً .

فلم يلتفت اليها . وساء ظنّه بها فتركها . فاجتاز بها
بعض الصيّادين فاخذها . فوجد فيها دُرّةً تساوي
اموالاً * وكذلك الجُهّال على إغفالِ امرِ التفكّر
والاغترار في امر هذا الكتاب وترك الوقوف على
أسرار معانيهِ والاخذ بظاهرهِ دون الاخذ بباطنهِ *
ومَن صرف همّتهُ الى النظر في أبواب الهزل كرجلٍ
اصاب ارضًا طيّبةً حرّةً وحبًّا صحيحًا . فزرعها
وسقاها . حتّى اذا قرُب خيرُها واينعت . تشاغل
عنها بجمع ما فيها من الزَّهر وقطعِ الشوك . فأهلك
بتشاغلهِ ما كان احسنَ فائدةً واجمل عائدةً * وينبغي
للناظر في هذا الكتاب أنْ يعلم أنّهُ ينقسم على اربعة
أغراض . احدُها ما قُصد اليهِ في وضعهِ على ألسنة
البهائم غيرِ الناطقة ليسارِع الى قرآءتهِ اهلُ الهزْل

من الشبّان فتستمال بهِ قلوبهم . لانهُ الغَرَضُ بالنوادر من حِيَل الحَيَوانات * والثاني إظهارُ خيالاتِ الحيوانات بصنوف الأصباغ والألوان . ليكون أُنْسًا لقلوب الملوك ويكونَ حِرصهم عليهِ اشدَّ النُّزْهة في تلك الصُّوَر * والثالث أَن يكونَ على هذهِ الصِفة . فيتَّخذهُ الملوك والسُّوقةُ . فيكثُرَ بذلك انتساخهُ ولا يبطُل . فيخلَقَ على مرور الأيّام . ولينتفع بذلك المصوِّر والناسخ ابدًا * والغَرَض الرابع الاقصى . وذلك مخصوص بالفيلسوف خاصّةً *

انقضى باب عَرَض الكتاب *

الباب الرابع

باب برزويه المتطبّب ترجمة بزرجمهر بن البختكان

قال بِرْزَوَيْهِ راسُ اطبّاء فارس . وهو الذي تولّى انتساخَ هذا الكِتاب وترجمةُ من كُتُب الهند . وقد مضى ذِكر ذلك من قبلُ في ما مضى : إنَّ ابي كان من المُقاتِلة . وكانت أُمّي من عظماء بيوت الزمازِمة . وكان منشأي في نِعمةٍ كاملة . وكنت اكرمَ وُلدِ ابويّ عليهما * وكانا بي اشدَّ احتفاظًا من دون إخوتي . حتّى اذا بلغتُ سبعَ سِنين . اسلماني الى المُؤدِّب * فلمّا حَذِقتُ في الكِتابة . شكرتُ ابويّ . ونظرتُ في العِلم . فكان اوّلُ ما ابتدأتُ بهِ وحَرِصتُ عليهِ عِلمَ الطبّ . لانّي كنتُ قد عرَفتُ فضلهُ . وكلّما سدّدتُ منهُ عِلمًا . ازددتُ فيهِ حِرْصًا ولهُ اتّباعًا *

فلمّا همّت نفسي بمداواةِ المرضى وعزمتُ على ذلك .
امرتُ نفسي ثمّ خيّرتُها بين الامور الاربعة التي يطلبُها
الناس وفيها يرغبون ولها يَسْعَوْن . فقلتُ : ايّ هذه
الخلال ابتغي في عِلمي . وايُّها أَحْرَى بي فأُدرِكَ منهُ
حاجتي : المال . ام الذِكر . ام اللّذّات . ام الآخرة *
وكنتُ قد وجدتُ في كُتُب الطِبّ أنّ افضل
الاطبّاء مَنْ واظب على طِبِّهِ . لا يبتغي الّا الآخِرة .
فرايتُ أنْ اطلُبَ الاشتغال بالطِبّ ابتغاءَ الآخِرة .
لئلّا اكونَ كالتاجر الذي باع ياقوتةً ثمينةً بخَرَزة لا
تساوي شيئًا . مع أنّي قد وجدتُ في كُتُب الاوّلين
أنّ الطبيبَ الذي يبتغي بطِبِّهِ اجرَ الآخرة لا يمنعهُ
ذلك حظَّهُ من الدنيا . وأنّ مَثَلَهُ مَثَلُ الزارع الذي
يعمّر ارضَهُ ابتغاءَ الزرع لا ابتغاءَ العُشب . ثمّ هي

لا محالة نابتٌ فيها ألوانُ العُشب مع يانع الزرع * فأقبلتُ على مداواة المَرضى ابتغاءَ اجر الآخِرة. فلم ادَعْ مريضًا ارجو لهُ البُرْءَ وآخَرَ لا ارجو لهُ ذلك الاَّ أنّي اطمعُ أنْ يخفَّ عنهُ بعضُ المَرض الاَّ بالغتُ في مداواتهِ ما امكنني القيامُ عليهِ بنفسي. ومَن لم اقدَرْ على القيام عليهِ. وصفتُ لهُ ما يصلحُ. واعطيتهُ من الدواءِ ما يتعالج بهِ. ولم أُرِدْ ممَّن فعلتُ معهُ ذلك جزاءً ولا مكافاةً * ولم اغبطْ احدًا من نظرآئي الذين هم دوني في العِلم وفوقي في الجاه والمال وغيرهما ممَّا لا يعود بصلاحٍ ولا حُسْنِ سيرةٍ قولاً ولا عملاً * ولمَّا تاقت نفسي الى غشيانهم وتمنَّت منازِلَهم. اثبتُّ لها الخصومة وقلتُ لها: يا نفسِ أمَا تعرِفين نفعك من ضُرّكِ. ألاَ تنتهين عن تمنّي ما لا ينالهُ احدٌ الاَّ

قلَّ انتفاعهُ بهِ. وكثر عناوُهُ فيهِ. واشتدَّت المؤونة عليهِ. وعظمت المشقَّة لديهِ بعد فراقهِ * يا نفسِ أمَا تذكُرين ما بعد هذه الدار. فينسيكِ ما تشرَهين اليهِ منها. ألَا تستحيين من مشاركة الفجَّار في حبّ هذه العاجلة الفانية التي من كان في يدهِ شيءٌ منها فليس لهُ وليس بباقٍ عليهِ. فلا يألفها الَّا المغترُّون الجاهلون * يا نفسِ انظري في امركِ وانصرفي عن هذا السَّفه. وأقبلي بقوَّتكِ وسعيكِ على تقديم الخير. وإيَّاكِ والشرّ * واذكُري أنَّ هذا الجسدَ موجودٌ لآفاتٍ. وأنَّهُ مملوءٌ أخلاطاً فاسدةً قذرةً تعقدها الحيوة. والحيوة الى نفاد. كالصنم المفصَّلة أعضاؤُهُ اذا رُكّبت ووُضعت. يجمعها مسمارٌ واحدٌ يشدُّ بعضهُ بعضاً. فاذا أُخذ ذلك المسمار. تساقطت

الاوصال * يا نفسِ لا تغترّي بصُحبة احبّائكِ وأصحابكِ. ولا تحرَصي على ذلك كلَّ الحِرص. فانَّ صُحبتهم على ما فيها من السرور كثيرةُ المَؤونة. وعاقبة ذلك الفِراق. ومثَلُها مَثَلُ المِغْرفة التي تُستعمَل في حِدَّتها لسُخونة المَرَق. فاذا انكسرت صارت وقودًا * يا نفسِ لا يحمِلنَّكِ اهلُكِ واقاربكِ على جَمْعِ ما تهلكين فيهِ ارادةَ صِلَتِهم. فاذا انتِ كالدُّخنة الأَرِجة التي تحترق ويذهب آخرون برِيحها * يا نفسِ لا يبعُدْ عليكِ امرُ الآخِرة. فتميلي الى العاجلة في استعجال القليل وبيع الكثير باليسير. كالتاجر الذي كان لهُ مِلْءُ بيتٍ من الصَّنْدَل. فقال: إنْ بِعتهُ وزنًا. طال عليَّ. فباعهُ جِزافًا بأَبخَسِ الثمن *

وقد وجدتُ آرآءَ النـاس مختلفـةً. وأَهوآءهم

متباينة . وكلٌّ على كلٍ رادٌّ . وله عدوٌ ومُغتابٌ . ولقوله مخالف . فلمَّا رايتُ ذلك . لم اجد الى متابعة احدٍ منهم سبيلاً . وعرفتُ أنّي إنْ صدَّقتُ احدًا منهم لا عِلْمَ لي بحالهِ . كنتُ في ذلك كالمصدِّق المخدوع الذي زعموا في شانهِ أنَّ سارقًا علا ظهرَ بيت رجلٍ من الاغنياء . وكان معهُ جماعةٌ من أصحابهِ . فاستيقظ صاحبُ المنزل من وطئهم . فعرَّف امرأتهُ ذلك . فقال لها رُوَيدًا : إني لأحسبُ اللصوص علَوْا على البيت . فأيقظيني بصوتٍ يسمعهُ اللصوص . وقولي : ألا تُخبِرُني ايها الرجل عن أموالك هذه الكثيرة وكنوزك العظيمة . فاذا نهيتُكِ عن هذا السؤال . فألحّي عليَّ بالسؤال * ففعلت المرأة ذلك . وسألتهُ كما امرها . ونصتت اللصوصُ الى سماع قولهما *

قال لها الرجل : أيتها المرأة قد ساقكِ القدَر الى رِزقٍ واسعٍ كثير. فكلي واسكتي . ولا تسألي عن امرٍ إنْ اخبرتُكِ بهِ . لم آمنْ أنْ يسمعهُ احدٌ فيكونَ في ذلك ما اكره وتكرهين * ثمَّ قالت المرأة : أخبِرْني ايُّها الرجل . فلَعَمري ما بقُربنا احدٌ يسمع كلامنا * فقال لها : فانا أخبركِ . إنّي لم اجمع هذه الأموال الاّ من السَّرِقة . قالت : وكيف كان ذلك . وما كنتَ تصنع * قال : ذلك لعلمٍ أصبتُهُ في السَّرِقة . وكان الامر عليّ يسيرًا . وانا آمنٌ من أنْ يتَّهِمني احد ويرتاب فيَّ * قالت : فاذكُر لي ذلك . قال : كنتُ اذهب في الليلة المُقمِرة انا وأصحابي . حتّى اعلو دارَ بعض الاغنياء مثلَنا . فأنتهي الى الكُوَّة التي يدخُل منها الضوء . فأرقي بهذه الرُّقية وهي شَوْلَم شَوْلَم سبعَ

مرّاتٍ. واعتنق الضوء فلا يُحسّ بوقوعي احدٌ. فلا أَدَعُ مالاً ولا متاعًا الّا اخذتهُ. ثمّ أَرقي بتلك الرُّقية سبع مرّاتٍ وأَعتنق الضوء. فيجذبني فأَصعد الى أَصحابي. فنمضي سالمين آمِنين * فلمّا سمع اللصوص ذلك. قالوا: قد ظفِرْنا الليلةَ بما نُريد من المال * ثمّ انّهم اطالوا المكْثَ حتى ظنّوا أَنّ صاحبَ الدار وزوجتهُ قد هجعا. فقام قائدُهم الى مدخَل الضوء وقال: شَوْلَمِ شولم سبع مرّاتٍ. ثمّ اعتنق الضوء لينزِل الى ارض المنزل. فوقع على أُمّ رأسهِ منكّسًا * فوثب اليهِ الرجل بهِراوتهِ وقال لهُ: مَن انت. قال: انا المصدِّقُ المخدوع. المغترّ بما لا يكون ابدًا. وهذه ثمرة رُقيتك * فلمّا تحرّزتُ من تصديق ما لا يكون. ولم آمَنْ إنْ صدّقتهُ أَنْ يوقِعني في مَهلَكةٍ. عدتُ الى طلَب

الأديان والناسِ العدل منها . فلم اجِد عند احدٍ ممن كلمتهُ جوابًا في ما سألتهُ فيها . ولم أرَ في ما كلّموني بهِ شيئًا يحقُّ لي في عقلي أنْ اصدّق بهِ ولا أنْ اتبعهُ * فقلتُ : لمّا لم اجد ثقةً آخذُ عنهُ . فالرأي أن الزمَ دِين آبائي وأجدادي الذي وجدتهم عليهِ * فلمّا ذهبتُ التمسُ العذر لنفسي في لزوم دِين الآباء والأجداد . لم اجد لها على الثبوت على دِين الآباء طاقةً . بل وجدتها تريد أنْ تتفرّغ للبحث عن الأديان والمسئلة عنها والنظر فيها * فهجس في قلبي وخطر على بالي قربُ الأجل . وسرعةُ انقطاع الدنيا . واعتباطُ أهلها . وتخرّم الدهرِ حياتهم . ففكرتُ في ذلك وقلتُ : أمّا انا فكأنّي الرجل الذي زعموا أنّهُ صادقَ امرأةً سحّارةً . وأنّ تلك المرأة حفرتْ لهُ سربًا من بيتها الى

الطريق . وجعلت باب ذلك السرب عند جُبّ الماء . وفعلت ذلك خوفًا من أرباب الحكومة او الشُرَط . فتكون اذا ارتابت منهم يخرج الرجل من ذلك السَّرْب * فاتفق ذاتَ يوم أنَّ الرجل كان عندها . وبلغَها أنَّ الشُرَط بالباب . فقالت للرجل على عَجَلٍ منها وخِيفةٍ : بادِرِ آخرُجْ من السَّرْب الذي عند جُبّ الماء * فانطلق الرجل الى ذلك المكان . فلم يجِد جُبَّ الماء . فرجع اليها وقال لها : إنَّ الجُبّ الذي ذكرتِ لي أنَّ السَّرْبَ عِندهُ ليس هُنالك * فقالت لهُ : أيُّها المائق . وما تصنع بالجُبّ . انا دَلَلْتُك بهِ لتعرِفَ السَّرْب . فحيثُ قد عرفتَهُ فآذهب عاجلاً * فقال لها : لِمَ ذكرتِ الجُبَّ وليس هو هناك . فقالت لهُ : ايُّها الاحمق آخْرُجْ ودَعْ عنكَ الحُمْقَ والتردُّد *

فقال لها : كيف أَمضي وقد خلطتِ عليَّ وذكرتِ الجُبَّ وليس هناك * فلم يزَلْ على مثِلِ هذه الحال حتّى دخل شُرَطيٌّ . فأَخذهُ واوجعهُ ضربًا . ورفعهُ الى السُّلطان *

فلمّا خِفتُ من التردّد والتحوّل . رايتُ أَنْ لا تعرّض لِمَا اتخوّفُ منهُ المكروهَ . وأَنْ اقتصر على عَمَلٍ تشهد النفس أَنَّهُ يوافق كلَّ الأَديان . وكَفَفتُ فِكري عن القتلِ والضرب . وطرحتُ نفسي عن المكروه والغضب والسَّرِقة والخِيانة والكَذِب والبُهتان والغِيبة . واضمرتُ في نفسي أَنْ لا أَبغِيَ على احدٍ ولا أُكذِّبَ بالبَعْثِ ولا القيامةِ ولا الثَّوابِ ولا العِقاب . وزايلتُ الأَشرارَ بقلبي . وحاولتُ الجُلوسَ مع الأَخيار بجَهدي . ورايتُ الصَّلاح ليس كمثِلهِ

صاحبٌ ولا قرين. ووجَدتُ مكسبَهُ اذا وفّق الله واعان يسيرًا. ووجدتهُ يدُلّ على الخير ويُشير بالنُّصح فِعلَ الصديق بالصديق. ووجدتهُ لا ينقُص على الانفاق منهُ. بل يزدادُ جِدَّةً وحُسنًا. ووجدتهُ لا خوفَ عليهِ من السُّلطان أنْ يغصبَهُ. ولا من الماءِ ان يُغرِقَهُ. ولا من النار أنْ تُحرِقَهُ. ولا من اللصوص أنْ تَسرِقَهُ. ولا من السِباع وجوارح الطير أنْ تمزّقَهُ* ووجدتُ الرجلَ الساهيَ اللاهيَ المُؤثِرَ اليسيرِ ينالهُ في يومهِ ويعدَمهُ في غَدِهِ على الكثير الباقي نعيمهُ يُصيبهُ ما اصاب التاجرَ الذي زعموا أنهُ كان لهُ جوهرٌ نفيسٌ. فاستأجر لثقبهِ رجلًا في اليوم بمائةِ دينارٍ. وانطلق بهِ الى منزلهِ ليعمل* واذا في ناحية البيت صَنجٌ موضوع. فقال التاجر للصانع: هل

تحسِنُ أَنْ تلعب بالصَّنج. قال نعم. وكان بلعبهِ ماهرًا * فقال التاجر: دونك والصَّنج. فأسمِعْنا ضربك بهِ * فاخذ الرجل الصَّنْج. ولم يزَلْ يُسمِعُ التاجر الضربَ الصحيحَ والصوتَ الرفيع. والتاجر يُشيرُ بيدهِ ورأسهِ طَرَبًا حتى امسى * فلمَّا حان الغروب. قال الرجل للتاجر: مُرْ لي بالأُجرة. فقال لهُ التاجر: وهل عملتَ شيئًا تستحقُّ بهِ الأُجرة. فقال لهُ: عملتُ ما أَمرتني بهِ. وانا اجيرُك. وما استعملتني عملتُ * ولم يزَلْ بهِ حتى استوفى منهُ مائةَ دينـار. وبقيَ جوهرُهُ غير مثقوب *

فلم أَزدَد في الدنيا وشهواتها نظرًا الَّا ازدَدتُ فيها زَهادةً ومنها هربًا. ووجدتُ النُّسك هو الذي يمهِّد للمَعاد كما يمهِّد الوالد لولدهِ. ووجدتُهُ هو البابُ

المفتوحُ الى النعيم المقيم . ووجدتُ الناسكَ قد تدبَّر فِعلتهُ بالسَّكينة فشكر . وتواضع وقَنِع فاستغنى . ورضي ولم يهتمَّ . وخلع الدنيا فنجا من الشرور . ورفض الشَّهَوات فصار طاهرًا . واطَّرح الحسد فوجَبت لهُ المحبَّة . وسَخَت نفسهُ بكلّ شيء واستعمل العقلَ . وابصر العاقبة فأَمِن النَّدامة . ولم يَخَفِ الناس ولم يندُبْ اليهم فسَلِم منهم * فلم ازدَدْ في امر النُّسك نظرًا الاَّ ازددتُ فيهِ رَغبةً . حتَّى همَمْتُ أَنْ اكونَ من اهلهِ . ثمَّ تخوَّفتُ أَنْ لا اصبِرَ على عَيش الناسك . ولم آمَنْ إِنْ تركتُ الدنيا واخذتُ في النُّسْك أَنْ اضعَفَ عن ذلك . ورفضتُ اعمالاً كنتُ ارجو عائدتَها . وقد كنتُ اعملها فأَنتفع بها في الدنيا . فيكون مَثَلي في ذلك مَثَلَ الكلب الذي مرَّ بنهرٍ

وفي فيهِ ضِلَعٌ . فرأى ظِلَّهُ في الماء فهوَى ليأخذَهُ .
فأتلف ما كان معهُ . ولم يجد في الماء شيئًا * فهِبتُ
النُّسك مَهابةً شديدة . وخِفتُ من الضجر وقِلَّة
الصبر . وارَدتُ الثبوت على حالتي التي كنت
عليها * ثمَّ بدا لي ان أصبِرَ على ما أخاف أنْ لا
اصبِرَ عليهِ من الأذى والضيق والخشونة في النُّسك
وما يُصيب صاحبَ الدنيا من البلاء . وكان
عندي أنَّهُ ليس شيءٌ من شَهَوات الدنيا ولذَّاتها
الاَّ وهو متحوّل الى الاذى ومولِّدٌ للحُزْن * فالدنيا كالماء
الملحِ الذي لا يزداد شاربهُ شربًا الاَّ ازداد عطشًا *
وهي كالعظم الذي يصيبهُ الكلبُ فيجِدُ فيهِ ريح اللحم .
فلا يَزال يطلُب ذلك اللحم حتَّى يُدمِيَ فوهُ *
وكالحِدَأَة التي تظفر بقِطعةٍ من اللحم . فيجتمع عليها

الطير. فلا تزال تدور وتدأبُ حتى تُعيي وتعطب. فاذا تعبت القت ما معها * وكالكوز من العسل الذي في اسفلهِ السمّ الذي يُذاق منهُ حلاوةٌ عاجلةٌ. وآخرهُ موتٌ ذُعاقٌ * وكأحلام النائم التي يفرح بها الانسان في نومهِ. فاذا استيقظ. ذهب الفرح * فلمّا فكرتُ في هذه الامور. رجعتُ الى طَلَب النُسك. وهزَّني الاشتياق اليهِ. ثمّ خاصمتُ نفسي اذ هي في شرورها سارحة. وقد لا تثبت على امرٍ تعزمُ عليهِ. كقاضٍ سمع من خصمٍ واحد فحكم لهُ. فلمّا حضر الخصم الثاني. عاد الى الاوّل وقضى عليهِ * ثمّ نظرتُ في الذي اكابدهُ من احتمال النُسك وضيقهِ. فقلتُ: ما اصغرَ هذه المشقّةَ في جانب روح الابد وراحتهِ * ثمّ نظرتُ في ما تشرَهُ اليهِ النفس من لَذّة

الدنيا. فقلتُ: ما أمرَّ هذا واوجعَهُ. وهو يدفع الى عذاب الابد وأهوالهِ. وكيف لا يستحلي الرجل مرارةً قليلةً تُعقبها حلاوةٌ طويلة. وكيف لا تَمَرُّ عليهِ حلاوةٌ قليلة تُعقبُها مرارةٌ دائمة * وقلتُ: لو أنَّ رجلًا عُرض عليهِ أنْ يَعيشَ مِائةَ سنةٍ لا ياتي عليهِ يومٌ واحدٌ الاَّ بُضعَ منهُ بُضْعةٌ ثمَّ أُعيدت عليهِ من الغدِ. غير أنَّهُ يُشرَط لهُ أنَّهُ اذا استوفى السنين المِائَةَ نجا من كلِّ ألمٍ واذًى وصار الى الأَمْنِ والسُّرور. كان حقيقًا أنْ لا يرى تِلكَ السنين ولا شيئًا منها. وكيف يابَى الصبرَ علي أيَّامٍ قلائل يَعيشُها في النُّسك. واذى تلك الايَّامِ قليلٌ يُعقِبُ خيرًا كثيرًا *

فلنعلمْ أنَّ الدُّنيا كلَّها بلاَءٌ وعذاب. أَوليس

الانسانُ انما يتقلب في عذاب الدنيا من حيث يكون جنينًا الى أنْ يستوفيَ ايامَ حياتهِ . فانّنا نجدُ في كتُب الطبّ أنّ الجنينَ قبلَ ولادتهِ منقبضٌ في المشيمة كأنّها صُرّةٌ مصرورةٌ . وهو يتنفس من متنفسٍ ضيّقٍ شاقٍّ عليهِ . وليس فيهِ من عضوٍ الاّ وهو مقمّطٌ بقِماطٍ . وهوَ منوطٌ بمعًا منهُ يمصّ ويقتبس الطعام * فهو بهذه المنزلة في الظُلمة والضيق الى يومِ ولادتهِ . واذا كان إبانُ المخاض والولادة . سلطت ريحٌ على الجنين . فتهبُّ لهُ قوّةٌ يقدرُ بها على الحركة . فيضرب برأسهِ قبلَ المخرَج من ضيقهِ وحرَجهِ * فاذا وقع الى الارض . فاصابتهُ ريحٌ او لمستهُ يدٌ . وجد لذلك من الألم ما يجدهُ الانسان اذا سُلخ جِلدهُ * ثمّ هو في أنواع العذاب : إنْ جاع . فليس بهِ

آستطعام • او عَطِش . فليس بهِ استسقآء • او وَجِع .
فليس بهِ استِغاثة . مع ما يلقَى من الوَضْع والحَمْل
واللفّ والدَّهْن والمَسْح : إِنْ أُنيم على ظَهرهِ . لم
يستطِع تقلّبا * ثمّ يلقَى أَصنافَ العذاب ما دام
رضيعا . فاذا أُفلت من عَذاب الرِضاع . اخذ
بعَذاب الادب . فأُذيق منهُ أَلوانًا من عُنْفِ المعلّم
وضَجَر الدرس وسآمَةِ الكِتابة * ثمّ لهُ من الدوآء
والحِمْيَة والأَسقام والاوجاع وَفِيٌّ حظٍ * فاذا ادرك .
كانت هِمّتهُ في جمع المال وتربية الولد ومخاطرة
الطلب والسَعْي والكدّ والتعب . وهو مع ذلك
يتقلّب مع اعدائهِ الباطنين اللازمين لهُ . وهي
الصَّفرآء والسودآء والرِيحُ والبلغمُ والدّمُ والسمّ
المُميتُ والحيّةُ اللادغة . مع الخوفِ من السِباعِ

والهوامّ. مع صرف الحرّ والبرد والمطر والرياح * ثمّ أنواعُ عذابِ الهَرَم لمَن يبلُغهُ * فلو لم يخَفْ من هذه الامور شيئًا وكان قد أَمِنَ ووثق بالسلامة منها فلم يكفرْ فيها. لوجب عليهِ أنْ يعتبر بالساعة التي يحضُرهُ فيها الموت فيفارقُ الدنيا. ويتذكّر ما هو نازلٌ بهِ في تلك الساعة من فِراق الاحبّة والاهل والاقارب وكلِّ مضنونٍ بهِ من الدنيا. والإشراف على الهَوْلِ العظيم بعد الموت. فلو لم يفعل ذلك. لكان حقيقًا ان يعَدّ عاجزًا مُفرِطًا محبًّا للدَّناءَة مستحقًّا للّوم * فمَن ذا الذي يعلم هذا ولا يحتال لغدٍ جَهْدَهُ في الحيلة. ويرفُضُ ما يشغَلُهُ ويُلهيهِ من شَهَوات الدنيا وغُرورها. ولاسيّما في هذا الزمان الشبيهِ بالصافي وهو كَدِرٌ * فانّهُ وإنْ كان الملِكُ

حازمًا. عظيمَ المقدُرة. رفيعَ الهمَّة. بليغَ الفحص. عدلًا. مرجوًّا. صدوقًا. شكورًا. رَحْبَ الذراع. مفتقدًا. مواظبًا. مستمرًّا. عالمًا بالناس والامور. محبًّا للعلم والخير والأخيار. شديدًا على الظَّلَمة. غيرَ جبانٍ ولا خفيفَ القِياد. رفيقًا بالتوسُّع على الرعيَّة في ما يُحبّون والدفع لِمَا يكرهون. فإنّا قد نرى الزمانَ مُدبِرًا بكلّ مكان. فكأنَّ امورَ الصِدق قد نُزِعت من الناس. فأصبح ما كان عزيزًا فَقْدُهُ مفقودًا. وموجودًا ما كان ضائرًا وجودُهُ. وكأنَّ الخيرُ اصبح ذابلًا والشرُّ ناضرًا. وكأنَّ الفَهْمَ اصبح قد زالت سُبُلُهُ. وكأنَّ الحقَّ ولَّى كسيرًا واقبل الباطل تابعَهُ. وكأنَّ اتّباعَ الهَوَى وإضاعةَ الحُكْمِ اصبح بالحُكّام موكَّلًا. واصبح المظلومُ بالحَيْف مُقِرًّا

والظالم لنفسهِ مستطيلاً . وكأنَّ الحِرصَ اصبح فاغرًا فاهُ من كلّ جِهةٍ يتلقّف ما قَرُب منهُ وما بَعُد . وكأنَّ الرِضى اصبح مجهولاً . وكأنَّ الأشرارَ يقصُدون السماء صعودًا . وكأنَّ الاخيارَ يريدون بطنَ الارض . واصبحتِ المُروءة مقذوفًا بها من اعلى شَرَفٍ الى اسفل دَرَكٍ . واصبحتِ الدَّناءة مكرَّمةً ممكَّنةً . واصبح السلطانُ منتقلاً عن اهل الفضل الى اهل النقص . وكأنَّ الدنيا جَذِلةٌ مسرورةٌ تقول : قد غيَّبتُ الخيرات واظهرتُ السيِّئات *

فلمَّا فكَّرتُ في الدنيا وامورها وأنَّ الانسان هو اشرفُ الخلق فيها وافضلهُ ثمَّ هو لا يتقلَّب الاَّ في الشرور والهموم . عرفتُ أنَّهُ ليس انسانٌ ذو عقلٍ الاَّ وقد اغفلَ هذا . ولم يعمل لنفسهِ ويحتَلْ لنجاتها .

فعجبتُ من ذلك كلَّ العجَب * ثمَّ نظرتُ فاذا الانسان لا يمنعهُ عن الاحتيال لنفسهِ الاَّ لَذَّةٌ صغيرةٌ حقيرةٌ غيرُ كبيرةٍ من الشمّ والذوق والنظر والسمع واللمس . لعلَّهُ أنْ يُصيبَ منها الطفيف او يقتني منها اليسير. فاذا ذلك يشغَلُهُ ويذهَبُ بهِ عن الاهتمام لنفسهِ وطَلَب النجاة لها * فالتمستُ للانسان مَثَلاً: فاذا مثَلُهُ مثَلُ رجلٍ نجا من خوفِ فيلٍ هائجٍ الى بئرٍ . فتدلَّى فيها . وتعلَّق بغُصْنَيْن كانا على سمائها . فوقعت رِجلاهُ على شيءٍ في طَيِّ البئر. فاذا حيَّاتٌ اربعٌ قد اخرجن رُؤُوسهُنَّ من أَجحارهنَّ . ثمَّ نظر . فاذا في قعرِ البئرِ تِنّينٌ فاتحٌ فاهُ منتظرٌ لهُ ليقع فيأخذهُ * فرفع بصَرَهُ الى الغُصنين . فاذا في اصلهما جرُذانِ أَسودُ وابيضُ . وهما يقرِضان الغُصْنين

دائبَيْنِ لا يفتِران * فبينما هو في النظر لامره والاهتمام لنفسهِ . اذ أبصر قريبًا منهُ كُوَارَةً فيها نحلُ عَسَلٍ . فذاق العَسَلَ . فشغلتهُ حلاوتهُ وألْهَتْهُ لَذَّتُهُ عنِ الفِكر في شيءٍ من امرهِ وأن يلتمس الخلاص لنفسهِ . ولم يذكُرْ أَنَّ رجليهِ على حيَّاتٍ اربَعٍ لا يدري متى يقع عليهِنَّ . ولم يذكُرْ أَنَّ الجُرَذَين دائبانِ في قطع الغُصنين . ومتى انقطعا . وقع على التنّين * فلم يزَل لاهيًا غافلاً مشغولاً بتلك الحلاوة . حتى سقَط في فَمِ التنين فهلك *

فشبَّهتُ البئرَ بالدنيا المملوءةِ آفاتٍ وشرورًا ومَخافاتٍ وعاهاتٍ . وشبَّهتُ الحيَّات الاربعَ بالأخلاطِ الاربعة التي في البدَن . فانها متى هاجت او احدُها . كانت كحُمَةِ الافاعي والسمِّ المميت . وشبَّهتُ الجُرَذانِ

الأسودُ والابيضُ بالليل والنهار. اللّذان هما دائبان في إفناءِ الآجَل . وشُبِّهَ التنين بالمَصير الذي لا بُدَّ منهُ . وشُبِّهَ العسلُ بهٰذه الحلاوة القليلة التي يَنالُ منها الانسان. فيطعَمُ ويسمَعُ ويشمُّ ويلمُسُ . ويتشاغل عن نفسهِ . ويلهو عن شانهِ . وينصدُّ عن سبيل قصدهِ * فحينئذٍ صار امري الى الرضى بحالي واصلاح ما استَطَعتُ إصلاحَهُ من عملي . لعلّي أن اصادفَ باقيَ ايّامي زمانًا أُصيبُ فيهِ دليلاً على هُدايَ وسُلطانًا على نفسي وقوامًا على امري . فأقمتُ على هذه الحال . وانتسختُ كُتبًا كثيرةً . وانصرفتُ من بلاد الهند وقد نسختُ هذا الكتاب *

انقضى باب بِرزَويهِ المتطبّب *

الباب الخامس

باب الاسد والثور * وهو اوّل الكتاب

قال دَبْشَليم الملك لبِيدَبا الفيلسوف وهو رأْس البراهمة: اضرِبْ لي مَثَلاً لمتحابَّين يقطع بينهما الكَذُوبُ المحتالُ حتّى يحمِلَهُما على العداوة والبَغضاء * قال بِيدبا: اذا ابتُلي المتحابَّان بأَنْ يدخُل بينهما الكَذوبُ المحتال. لم يلبثا أَنْ يتقاطعا ويتدابرا * ومن أَمثال ذلك أَنَّهُ كان بارضِ دَسْتاوَنْد رجلٌ شيخ. وكان لهُ ثلاثة بَنين. فلمّا بلغوا أَشُدَّهم. اسرعوا في مال ابيهم. ولم يكونوا احترفوا حِرفةً يكسِبون لانفسهم بها خيرًا * فلامَهم ابوهم ووعظهم على سوء فِعلهم. وكان من قولهِ لهم: يا بَنيَّ إِنَّ صاحبَ الدنيا يطلُب ثلاثةَ امورٍ. لن يُدرِكَها الاَّ باربعة أَشياءَ * امّا الثلاثةُ التي يطلُب فالسَّعة

في الرزق . والمنزلةُ في الناس. والزادُ للآخرة * واما الاربعة التي يحتاج اليها في دَرَكِ هذه الثلاثة فاكتسابُ المال من احسنِ وجهٍ يكون . ثمَّ حُسْنُ القيام في ما اكتسب منهُ . ثمَّ استثمارهُ . ثمَّ إنفاقهُ في ما يُصلِح المَعيشةَ ويُرضِي الاهلَ والإخوان . فيعود عليهِ نفعهُ في الآخِرة * فمَن ضيَّع شيئًا من هذه الاحوال . لم يُدرِكْ ما اراد من حاجتهِ . لانَّهُ إنْ لم يكتسبْ . لم يكن لهُ مالٌ يعيش بهِ . وإنْ هو كان ذا مال واكتسابٍ ثمَّ لم يُحسِنِ القيامَ بهِ . اوشك المالُ أنْ يفنى ويبقى مُعدمًا . وإن هو وضعهُ ولم يستثمرهُ . لم تمنعهُ قِلَّةُ الإنفاق من سُرعة الذَّهاب . كالكُحْل الذي لا يؤخذ منهُ الَّا غُبارُ الميل . ثمَّ هو مع ذلك سريعٌ فَناؤهُ * وان انفقهُ في غير وجههِ . ووضعهُ في غير

التثمير

موضعِهِ. واخطأ بهِ مواضِعَ استحقاقهِ. صار بمنزِلة الفقير الذي لا مالَ لهُ. ثمَّ لم يمنع ذلك مالَهُ من التلَف بالحوادث والعِلَل التي تجري عليهِ. كمحبس الماءِ الذي لا تزال المياه تنصبُّ فيهِ. فانْ لم يكن لهُ مخرَجٌ ومَغيض ومتنفَّس يخرُج منهُ الماءُ بقدَر ما ينبغي. خرِب وسال ونزَّ من نواحٍ كثيرةٍ. وربَّما انبثق البثقَ العظيمَ. فذهب الماءُ ضياعًا *

ثمَّ إنَّ بني الشيخ اتَّعظوا بقول ابيهم. واخذوا بهِ وعلموا أنَّ فيهِ الخيرَ وعوَّلوا عليهِ. فانطلق اكبَرُهم نحو ارض يقال لها مِيون. فاتى في طريقهِ على مكان فيهِ وحلٌ كثيرٌ. وكان معهُ عَجَلَةٌ يجرُّها ثوران. يقال لأحدِهما شَتْرَبه. وللآخرِ بَنْدبه. فوَحِل شَتْربه في ذلك المكان. فعالجهُ الرجلُ واصحابُهُ حتَّى بلغ

منهم الجُهْد. فلم يقدَروا على إخراجهِ * فذهب التاجر وخلَّف عندهُ رَجُلاً يُشارِفهُ. لعلَّ الوحلَ ينشَفُ فيتبعهُ بالثور * فلمَّا بات الرجل بذلك المكان. تبرَّم بهِ واستوحش. فترك الثورَ والتحق بالتاجر. فأخبرهُ أنَّ الثورَ قد مات. وقال لهُ: إنَّ الانسان اذا انقضت مُدَّتهُ وحانت منيَّتهُ. فهو وإن اجتهد في التوقّي من الامور التي يخاف فيها على نفسهِ الهلاكَ. لم يُغنِ ذلك عنهُ شيئًا. وربَّما عاد اجتهادهُ في توقّيهِ وحذَرهِ وَبالاً عليهِ * كالذي قيل أنَّ رجلاً سلك مَفازةً فيها خوف من السِّباع. وكان الرجل خبيرًا بوَعْثِ تلك الارض وخَوْفها * فلمَّا سار غيرَ بعيدٍ. اعترضَ لهُ ذئبٌ من أحَدِ الذئاب واضراها. فلمَّا رأى الرجلُ أنَّ الذئبَ قاصدٌ نحوَهُ.

خاف منهُ . ونظر يمينًا وشمالاً ليجدَ مَوْضِعًا يتحرَّز فيهِ
من الذئب . فلم يرَ الاَّ قرْيةً خلفَ وادٍ . فذهب
مُسْرِعًا نحوَ القرية * فلمَّا اتى الوادِيَ . لم يرَ عليهِ
قَنطرةً . ورأى الذئبَ قد ادركهُ . فالقى نفسهُ في
الماء وهو لا يُحسِن السباحة . وكاد يغرَق . فبَصُر بهِ
قومٌ من اهل القرية . فتواقعوا لاخراجهِ . فاخرجوهُ
وقد أشرف على الهلاك * فلمَّا حصل الرجلُ عندهم
وأَمِن على نفسهِ من غائلة الذئب . رأى على شطِّ
الوادي بيتًا مُفرَدًا . فقال : أَدخُلُ هذا البيتَ
فأَستريح فيهِ * فلمَّا دخلهُ . وجد جماعةً من اللصوص
قد قطعوا الطريقَ على رجلٍ من التُجَّار . وهم يقتسمون
مالَهُ ويُريدون قتلَهُ * فلمَّا راى الرَّجل ذلك . خاف
على نفسهِ . ومضى نحوَ القرية . فأَسند ظهرَهُ الى

حائطٍ من حيطانها ليستريح مما حلّ بهِ من الهَوْل والإعياء. اذ سقط الحائطُ عليهِ فمات *

قال التاجر: صدقتَ. قد بلغَني هذا الحديث. وأمّا الثورُ فانهُ خلَص من مكانهِ وأنبعث. فلم يزَلْ في مرْجٍ مُخصِب كثيرِ الماء والكلأ * فلمّا سَمن وأمِن. جعل يخور ويرفع صوتَهُ بالخُوَار يطلُب البَقَرات. وكان قريبًا منهُ أَجَمة فيها اسدٌ عظيمٌ. وهو مَلِك تلك الناحية ومعهُ سِباعٌ كثيرةٌ وذئابٌ وبنو آوى وثعالبُ وفهودٌ ونمور * وكان هذا الاسد منفردًا برأيهِ دون أخْذِ برأي احدٍ من أصحابهِ. فسمع خُوارَ الثور. ولم يكُنْ رَأَى ثورًا قطُّ ولا سَمِع خُوارهُ. لانهُ كان مُقيمًا مكانَهُ لا يبرَح ولا ينشُط. بل يؤتَى برِزقهِ كلَّ يومٍ على يد جُندهِ * وكان في مَن معَهُ من

السِّباع آبنا آوى. يقال لأحدهما كليله وللآخَرِ دِمْنه. وكانا ذَوَيْ دُهاءٍ وعِلمٍ وادب * فقال دمنه لاخيهِ كليله: يا اخي ما شأنُ الاسدِ مُقيمًا مكانَهُ لا يبرح ولا ينشُط * قال لهُ كليله: ما شأنك انت والمسئلةَ عن هذا. نحن على باب مَلِكنا. آخذين بما أَحَبَّ. وتاركين ما كره. ولسنا من اهل المرتبة التي يتناول اهلُها كلامَ الملوكِ والنظَرَ في امورهم. فأمسِكْ عن هذا. واعلم أنّهُ مَن تكلَّف من القول والفِعل ما ليس من شانهِ. اصابهُ ما اصاب القِرْد من النجّار * قال دمنه: وكيف كان ذلك *

قال كليله: زعموا أَنَّ قِردًا رأى نجّارًا يشُقّ خَشَبةً بين وَتَدين وهو راكبٌ عليها. فأعجبهُ ذلك * ثمَّ إنَّ النجّار ذهب لبعض شانهِ. فقام القِرد وتكلَّف

ما ليس من شُغلهِ . فركِب الخشبةَ . وجعل ظهرَهُ قِبَلَ الوَتَد ووجهَهُ قِبَل الخشبة . فانخرط ذَنَبُهُ في الشَّقّ . ونُزِع الوَتَد فلَزِم الشقُّ عليهِ . فخرَّ مَغشِيّاً عليهِ * ثمَّ إِنَّ النجَّار وافاهُ فرآهُ موضِعَهُ . فاقبل عليهِ يَضرِبهُ . فكان ما لَقِي من النجَّار من الضرب اشدَّ مِمّا اصابهُ من الخشبة * قال دمنه : قد سمعتُ ما ذكرتَ . ولكنِ اَعلَمْ أَنَّ كلَّ مَن يدنو من الملوك ليس يدنو منهم لبطنهِ . وإِنَّما يدنو منهم ليسُرَّ الصَدِيق ويَكبِت العدوّ * وإِنَّ من الناس مَن لا مُروءة لهُ . وهم الذين يفرحون بالقليل ويرضَوْن بالدُّون . كالكلب الذي يُصيب عظمًا يابسًا فيفرح بهِ * واما اهل الفضل والمُروءة فلا يُقنِعهمُ القليل . ولا يرضَوْن بهِ دون أَنْ تسمُوَ بهِ نفوسهم الى ما هم اهلٌ لهُ وهو

ايضاً لهم اهل. كالأسد الذي يفترس الارنب. فاذا رأى البعير. تركها وطلب البعير* ألَا ترى أنَّ الكلب يبصبص بذَنَبهِ حتى تُرمَى لهُ الكِسْرة. وأنَّ الفيلَ المعترَفَ بفضلهِ وقوَّتهِ اذا قُدِّم اليهِ عَلَفُهُ. لا يعتلفهُ حتّى يُمسَح ويُتملَّق لهُ* فمَن عاش ذا مالٍ وكان ذا فضلٍ وإفضالٍ على اهلهِ وإخوانهِ. فهو وإنْ قلَّ عُمْرُهُ طويلُ العُمر. ومَن كان في عَيشهِ ضِيقٌ وقِلَّةٌ وإمساكٌ على نفسهِ وذَويهِ. فالمقبور أحيا منهُ. ومَن عمِل لبطنهِ وقَنِع وترك ما سوى ذلك. عُدَّ من البهائم*

قال كليلة: قد فهمتُ ما قلتَ. فراجعْ عقلَك. واعلم أنَّ لكلِّ انسانٍ منزلةً وقدرًا. فإنْ كان في منزلتهِ التي هو فيها متماسكًا. كان حقيقًا أنْ يقنَع.

وليس لنا من المنزلة ما يحطّ حالَنا التي نحن عليها * قال دمنه: إنّ المنازل متنازَعة مشتركة على قدر المُروءة. فالمرء ترفعهُ مروءتهُ من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة. ومن لامروءة لهُ. يحطّ نفسهُ من المنزلة الرفيعة الى المنزلة الوضيعة * وإنّ الارتفاع الى المنزلة الشريفة شديدٌ. والانحطاط منها هيّنٌ. كالحجرِ الثقيلِ رفعهُ من الارض الى العاتق عَسِرٌ. ووضعهُ الى الارضِ هيّن * فنحن احقّ أنْ نروم ما فوقَنا من المنازل. وأنْ نلتمس ذلك بمروءتنا. ثمّ كيف نقنَع بها ونحن نستطيع التحويل عنها * قال كليلة: فما الذي قرّ عليهِ رأيك * قال دمنه: اريد أن اتعرّض للاسد عند هذه الفُرصة. فانّ الاسد ضعيف الرأي. ولعلّي على هذه الحال ادنو منهُ فأُصيبَ عندهُ منزلةً ومكانةً *

قال كليله : وما يُدرِيك أنّ الاسد قد التبس عليهِ امرهُ * قال دمنه : بالحِسّ والراي أعلم ذلك منهُ . فانّ الرجل ذا الرأي يَعرِف حال صاحبهِ وباطنَ امرهِ بما يظهَر لهُ من دَلّهِ وشكلهِ * قال كليله : فكيف ترجو المنزلة عند الاسد ولستَ بصاحبِ السّلطان . ولا لك عِلمٌ بخِدمة السلاطين * قال دمنه : الرجلُ الشديد القويّ لا يُعجِزهُ الحِمل الثقيل وان لم تكُنْ عادتهُ الحَمْل . والرجل الضعيف لا يستقِلّ بهِ وإنْ كان ذلك من صِناعتهِ * قال كليلة : فإنّ السّلطانَ لا يتوخّى بكرامتهِ فُضَلاءَ مَن بحَضرتهِ . ولكنّهُ يُؤثِرُ الادنى ومَن قرُب منهُ . ويقال أنّ مثَل السلطان في ذلك مثَل شَجَرِ الكَرْم الذي لا يعلَق الاّ بأكرم الشجر * وكيف ترجو المنزِلة

عند الاسد ولستَ تدنو منهُ *

قال دمنه : قد فهمتُ كلامك بأجمعهِ وما ذكرتَ . وانت صادقٌ . لكنِ اعلم أنَّ الذي هو قريب من السُلطان ولإ ذلك موضِعهُ ولا تلك منزلتهُ ليس كمن دنا منهُ بعد البُعد ولهُ حقٌّ وحُرمة * وانا ملتمسٌ بلوغَ مكانتهم بجَهدي . وقد قيل : لا يواظبُ على باب السلطان الاّ من يطرَح الأَنفَةَ . ويَحمِل الاذى . ويكظِم الغيظ . ويرفِق بالناس . فاذا وصل الى ذلك . فقد بلغ مُرادهُ * قال كليله : هَبْكَ وصلتَ الى الاسد . فما توفيقُك عندهُ الذي ترجو أَنْ تنال بهِ المنزلة عندهُ والحِظْوة لديهِ *

قال دِمنه : لو دنوتُ منهُ وعرَفتُ أَخلاقَهُ فرفَقتُ في مُتابَعتهِ وقِلَّة الخِلاف لهُ . واذا اراد امرًا هو في

نفسهِ صَواب. زينتهُ لهُ وصبّرتهُ عليهِ. وعرّفتهُ بما فيهِ من النفع والخير. وشجّعتهُ عليهِ وعلى الوصول اليهِ. حتى يزداد بهِ سروراً. واذا اراد امراً يُخاف عليهِ ضُرّهُ وشينهُ. بصّرتهُ بما فيهِ من الضُرّ والشَين. واوقفتهُ على ما في تركهِ من النفع والزَين بحَسَب ما اجد اليهِ السبيل* وانا ارجو أنْ ازداد بذلك عند الاسد مكانةً. ويرى مني ما لا يراهُ من غيري. فانّ الرجل الاديب الرفيق لو شاء أنْ يبطّل حقاً او يحُقّ باطلاً. لَفعل. كالمصوّر الماهر الذي يصوّر في الحيطان صوَراً كأنّها خارجةٌ وليست بخارجةٍ. وأُخرى كأنّها داخلةٌ وليست بداخلة* قال كليله: أمّا إنْ قلتَ هذا او قلتَ هذا. فاني اخافُ عليك من السلطان. فانّ صُحبتهُ خَطِرةٌ. وقد

قالت العلماء : إنّ اموراً ثلاثة لا يجترئ عليهنّ الّا أهوج. ولا يسلم منهنّ الّا قليل. وهي صحبة السلطان. وائتمان النساء على الأسرار. وشرب السمّ للتجربة * وانّما شبّه العلماء السلطان بالجبل الصعب المرتقى. الذي فيهِ الثمار الطيّبة والجواهر النفيسة والادوية النافعة. وهو مع ذلك معدن السباع والنمور والذئاب وكلّ ضارٍ مخوف. فالارتقاء اليهِ شديد. والمقام فيهِ اشدّ * قال دمنه: صدقت في ما ذكرت. غير أنّهُ من لم يركب الأهوال. لم ينلِ الرغائب. ومن ترك الامر الذي لعلّهُ يبلغ فيهِ حاجتهُ هيبة ومخافة لِما لعلّهُ أن يتوقّاه. فليس ببالغٍ جسيماً * وقد قيل: إنّ خصالاً ثلاثاً لن يستطيعها احدٌ الّا بمعونةٍ من علوّ همّةٍ وعظيم خطرٍ: منها عمل

السُّلطان . وتجارةُ البحر ومناجزة العدوّ * وقد قالت العلماء في الرجل الفاضل الرشيد : إِنَّهُ لا يُرى الاَّ في مكانين ولا يَليق بِهِ غيرهما . إمَّا مع الملوك مكرَّمًا . او مع النسَّاك متعبّدًا . كالفيل إِنَّما جمالهُ وبهاؤهُ في مكانين . إمَّا أَنْ تراهُ وحشيًا او مركبًا للملوك *
قال كليله : خار اللهُ لك في ما عزمتَ عليهِ *

ثمَّ انَّ دِمنه انطلق حتَّى دخل على الاسد . فسلَّم عليهِ * فقال الاسد لبعض جُلسائِهِ : مَنْ هذا * فقال : فُلانُ بن فُلان * قال : قد كنتُ اعرِف اباهُ . ثمَّ سألهُ : اين تكون * قال : لم ازَلْ مرابِطًا بباب الملك رجاءَ أَنْ يحضرَ امرٌ فاُعينَ الملك فيهِ بنفسي ورأيي * فانَّ أبواب الملوك تكثُر فيها الامور التي رُبَّما يُحتاج فيها الى الذي لا يُؤبَهُ بهِ . وليس احدٌ

يصغر امرؤ الّا وقد يكون عندهُ بعضُ الغنى والمنافع على قدرهِ. حتّى العودُ المُلقَى في الارض رُبّما نفع فيأخذهُ الرجل. فيكون عُدّتهُ عند الحاجة اليهِ * فلمّا سمع الاسد قولَ دِمنه . اعجبهُ . وظنّ أنّ عندهُ نصيحةً ورأيًا . فأقبل على مَن حضر فقال : انّ الرجل ذا العلم والمُروءة يكون خاملَ الذِكر خافضَ المنزلة . فتأبى منزلتهُ الّا أنْ تشبَّ وترتفع . كالشعلة من النار يُضرِمها صاحبها وتأبى الّا ارتفاعًا * فلمّا عرف دِمنه أنّ الاسدَ قد عَجِب منهُ . قال : إنّ رعيّة الملِك تحضرُ بابَ المَلِك رجاءَ أنْ يَعرِفَ ما عندها من علمٍ وافرٍ. وقد يقال : إنّ الفضل في امرين . فضلِ المقاتِل على المقاتِل . والعالِم على العالم. وإنّ كثرة الأعوان اذا لم يكونوا مختبَرين رُبّما تكون

مَضرَّةً على العمل . فانَّ العمل ليس رجاؤهُ بكثرة الأعوان . ولكنْ بصالحي الأعوان * ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الرجل الذي يَحمِل الحجر الثقيل . فيقتل بهِ نفسهُ ولا يجِد لهُ ثمنًا . والرجل الذي يحتاج الى الجُذوع لا يُجزِئهُ القَصَب وإن كثُرَ * فانت الآن ايها الملك حقيقٌ أنْ لا تحقِرَ مروءةً انت تجدها عند رجلٍ صغير المنزلة . فانَّ الصغير ربَّما عظُم كالعَصَب يُؤخذ من المَيتة . فاذا عُمِل منهُ القوس . أُكرِم . فتقبِض عليهِ الملوك . وتحتاج اليهِ في البأس واللهو * واحبَّ دِمنه أنْ يرِيَ القومَ أنَّ ما نالهُ من كرامة المَلِك انَّما هو لرأيهِ ومروءتهِ وعقلهِ . لانهم عرَفوا قبلَ ذلك أنَّ ذلك لمعرِفتهِ اياهُ . فقال : إنَّ السلطان لا يقرِّب الرجال لقُرب آبائهم . ولا

يُبعِدُهم لبُعدهم. ولكنْ ينبغي أنْ ينظرَ الى كلّ رجلٍ بما عندَهُ. لانَّهُ لا شيءَ اقربُ الى الرجل من جسدهِ. فمن جسدهِ ما يَدْوَى حتّى يؤْذِيَهُ. ولا يُدفَع ذلك عنهُ الّا بالدواءِ الذي ياتيهِ من بُعْدٍ * فلمّا فرِغ دِمنه من مَقالتهِ هذه. أُعجِب الملكُ بهِ إِعجابـاً شديدًا. واحسنَ الردَّ عليهِ وزاد في كَرامتهِ. ثمَّ قال لجُلسائهِ: ينبغي للسُّلطان أنْ لا يلجّ في تضييع حقّ ذوي الحقوق. والناس في ذلك رَجُلانِ: رجلٌ طبعهُ الشَّراسة. فهو كالحيَّة: إِنْ وطِئِها الواطئُ فلم تلدغهُ. لم يكن جديرًا أنْ يغرَّهُ ذلك منها. فيعودَ الى وَطئِها ثانيةً فتلدَغَهُ. ورجلٌ اصلُ طِباعهِ السُّهولة. فهو كالصندل البارد الذي اذا أُفرِط في حكّهِ. صار حارًّا مؤْذيًا *

ثمَّ إنَّ دمنه استأنس بالاسد وخلا بهِ * فقال لهُ يوماً: اري الملكَ قد اقام في مكانٍ واحد لا يبرح منهُ. فما سبب ذلك * فبينما هما في هذا الحديث. اذ خار شَتَرَبه خُوارًا شديدًا. فهيَّج الاسد. وكَرِه أنْ يُخبِرَ دِمنه بما نالهُ. وعلِم دِمنه أنَّ ذلك الصوتَ قد ادخلَ على الاسد رِيبةً وهَيبةً. فسألهُ: هل رابَ المَلِكَ سَماعُ هذا الصوت * قال: لم يَرِبني شيٌ سوى ذلك. قال دمنه: ليس الملكُ بحقيقٍ أنْ يدعَ مكانَهُ لاجل صوتٍ. فقد قالت العلماء: إنَّهُ ليس من كلّ الأصوات تَجِب الهَيبة. قال الاسد: وما مَثَلُ ذلك *

قال دمنه: زعموا أنَّ ثعلبًا اتى أَجَمَةً فيها طبلٌ معلَّقٌ على شجرةٍ. وكلَّما هبّتِ الريحُ على قُضبان تلك

الشجرة . حركتها فضربت الطبل . فسمع له صوت عظيم باهر * فتوجه الثعلب نحوهُ لاجل ما سمع من عظيم صوتهِ . فلمّا اتاهُ . وجدهُ ضخمًا . فايقن في نفسهِ بكثرة الشحم واللحم . فعالجهُ حتى شقهُ . فلمّا رآهُ اجوف لا شيء فيهِ . قال: لا ادري لعلّ افشلَ الاشياء اجهرُها صوتًا واعظمها جثةً * وانّما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم أنّ هذا الصوت الذي راعنا لو وصلنا اليهِ لوجدناهُ ايسرَ ممّا في انفسنا . فان شاء الملكُ . بعثني واقام بمكانهِ . حتى آتيهُ ببيان هذا الصوت * فوافق الاسدُ قولهُ . فأذن لهُ بالذهاب نحوَ الصوت . فانطلق دمنه الى المكان الذي فيهِ شتربه * فلمّا فصل دمنه من عند الاسد . فكر الاسدُ في امرهِ . وندم على إرسال دمنه حيثُ ارسلهُ . وقال في نفسهِ : ما

أَصَبْتُ في ائتماني دمنة . وقد كان ببابي مطروحًا . فانَّ الرجل اذا كان يحضرُ بابَ المَلِك وقد أُبطلت حقوقُهُ من غير جُرْمٍ كان منهُ . او كان مبغيًّا عليهِ عند سُلطانهِ . او كان عندهُ معروفًا بالشَرَه والحِرْص . او كان قد اصابهُ ضُرٌّ وضيق فلم ينعشْهُ . او كان قد اجترم جُرمًا فهو يخاف العقوبة منهُ . او كان يرجو شيئًا يضُرُّ المَلِك ولهُ منهُ نَفْع . او يخاف شيئًا مما ينفعهُ ضُرًّا . او كان لعدوّ الملك مُسالِمًا ولمُسالمهِ محارِبًا . فليس السُلطانُ بحقيقٍ أَنْ يعجّل بالاسترسال الى هؤُلآء والثِقة بهم والائتمان لهم * فانَّ دمنه داهيةٌ اديبٌ . وقد كان ببابي مطروحًا مجفوًّا . ولعلَّهُ قد احتمل عليَّ بذلك ضغنًا . ولعلَّ ذلك يحملُهُ على خِيانتي وإِعانة عدوّي ونقيصتي عندَهُ . ولعلَّهُ صادف

صاحب الصوت اقوى سُلطانًا مني . فرغِب فيهِ
عني . ومال معهُ عليَّ * ثمَّ قام من مكانهِ . فمشى غيرَ
بعيد . فبصر بدمنه مقبِلًا نحوَهُ . فطابت نفسهُ بذلك .
ورجع الى مكانهِ * ودخل دمنه على الاسد . فقال
لهُ : ماذا صنعتَ وماذا رايت * قال : رايتُ ثورًا
هو صاحبُ الخُوار والصوتِ الذي سمعتهُ . قال : فما
قوتهُ * قال : لا شوكة لهُ . وقد دنوتُ منهُ وحاورتهُ
محاوَرةِ الأكفاء . فلم يستطعْ لي شيئًا * قال الاسد :
لا يغرُّنك ذلك منهُ . ولا يصغرُنَّ عندك امرُهُ . فانَّ
الريحَ الشديدة لا تعبأ بضعيف الحشيش . لكنها تحطِمُ
طوالَ النخل وعِظامَ الشجر * قال دمنه : لا تهابنَّ
ايها الملك منهُ شيئًا . ولا يكبرُنَّ عليك امرُهُ . فانا
آتيك بهِ . فيكون لك عبدًا سامعًا مُطيعًا . قال

الاسد بدونك وما بدا لك *

فانطلق دمنه الى الثور. فقال لهُ غيرَ هائبٍ ولا مكترثٍ: إنَّ الاسد ارسلني اليك لآتيَهُ بك. وأمرني إنْ انت عجَّلتَ اليهِ طائعًا أنْ أُومنَك على ما سلف من ذنبك في التأخّر عنهُ وتركك لقاءَهُ. وإنْ انت تأخّرتَ عنهُ واحجمتَ. أنْ اعجّلَ الرَّجعة اليهِ فأُخبِرَهُ * قال لهُ شترَبه: ومَن هو هذا الاسد الذي ارسلك اليَّ. واين هو. وما حالهُ. قال دمنه: هو مَلِك السِباع. وهو بمكانٍ كذا وكذا. ومعهُ جندٌ كثيرٌ من جِنسهِ * فرَعَب شتربه من ذِكر الاسد والسِباع. وقال: إنْ انتَ جعلتَ لي الأَمان على نفسي. اقبلتُ معك اليهِ * فاعطاهُ دمنه من الامان ما وَثِق بهِ *

ثمَّ اقبل والثورُ معهُ حتّى دخلا على الاسد. فأحسن الاسد الى الثور وقرَّبهُ. وقال لهُ: متى قَدِمتَ هذه البلاد وما أقدمكها * فقصَّ شتربه عليهِ قصّتهُ. فقال لهُ الاسد: أصحبني والزمني. فانّي مُكرِمُك * فدعا لهُ الثور واثنى عليهِ * ثمَّ إنَّ الاسد قرَّب شتربه واكرمهُ وأنِس بهِ. وائتمنهُ على أسرارهِ. وشاورهُ في امرهِ. ولم تزِدْهُ الايّامُ الَّا عجبًا بهِ ورغبةً فيهِ وتقريبًا منهُ. حتّى صار اخصَّ أصحابهِ عندهُ منزِلةً *

فلمّا رأى دِمنه أنَّ الثورَ قد اختصَّ بالاسد دونهُ ودونَ اصحابهِ. وأنّهُ قد صار صاحبَ رأيهِ وخلَواتهِ ولهوهِ. حسدهُ حسدًا عظيمًا. وبلغ منهُ غيظهُ كلَّ مبلَغ. فشكا ذلك الى اخيهِ كليله. وقال لهُ: ألَا

تعجَبُ يا اخي من عَجْز رأيي وصُنعي بنفسي ونَظَري في ما ينفع الاسد وإغفالي نفعَ نفسي. حتى جلبتُ الى الاسد ثورًا غلبَني على منزلتي * قال كليلة : قد اصابك ما اصاب الناسك . قال دمنه : وكيف كان ذلك *

قال كليلة : زعموا أنَّ ناسكًا اصاب من بعض الملوك كِسْوَةً فاخرة. فبَصُرَ بهِ سارقٌ. فطمِع في الثياب * فأتى الناسكَ وقال لهُ : انّي اريد أنْ اصحَبَك. فاتعلَّمَ منك وآخُذ عنك * فأذِن لهُ الناسك في صُحبتهِ. فصَحِبهُ متشبهًا بهِ . ورَفِقَ لهُ في خِدمتهِ . حتى اذا ظَفِرَ بهِ. اخذَ تِلك الثياب فذهب بها * فلمَّا فقَدَ الناسك ثيابَهُ. عَلِمَ أنَّ صاحبَهُ قد اخذها. فتوجَّه في طَلَبهِ نحوَ مدينةٍ من المدن *

فمرّ في طريقهِ بوعلين يتناطحان حتى قد سالت دماؤهما. فجاء ثعلب يلغ في تلك الدماء. فبينما هو في ولوغهِ في تلك الدماء. اذ أقبل عليهِ الوعلان بنطاحهما فقتلاه * ومضى الناسك حتى دخل تلك المدينة. فلم يجد فيها قرى الا بيت امرأة * فنزل بها واستضاف عندها. فاحتالت المرأة في تلك الليلة التي استضاف بها الناسك لقتل رجل كان ينتاب زوجها * فوافى الرجل كعادتهِ. فأسقتهُ من الخمرة. حتى سكر ونام بجنب صاحب المنزل. فلما استقلا نوماً. عمدت الى سم كانت قد اعدتهُ في قصبة لتنفخهُ في فم الرجل * فلما ارادت ذلك. بدرت من فم الرجل ريح. فعكست السم الى حلق المرأة. فوقعت ميتة. وكل ذلك بعين الناسك وسمعهِ *

فلمّا رأى ذلك. خرج يبتغي منزلاً غيرهُ. فاستضاف عند رَجُل إسكافٍ. فأتى بهِ امرأتهُ وقال لها: انظري الى هذا الناسك. وأكرمي مثواهُ. وقومي بخدمتهِ. فقد دعاني بعضُ اصدقائي للشُّرب عندهُ * ثمَّ انطلق ذاهبًا. وكان بين المرأة وبين امرأة حجّامٍ صَداقةٌ * فارسلت امرأةُ الإسكافِ الى امرأة الحجّام تأمُرها بالمَصِير اليها. وتُعرِّفها خلوَّ وجهها. وقالت: إِنَّ زوجي قد ذهب ليشرَبَ عند بعض اصدقائهِ. ولن يعودَ الاَّ سَكران. فتعالَيْ نتسامَرْ ونقضيَ الليل في الصَّفآء * ثمَّ إِنَّ المرأَةَ اشتغلت بالمُراسَلة عن تدبيرِ البيت. وتقاعدت عن تهيْئة العَشآء * فجآء الاسكافُ سكرانَ. وطلب طَعامًا. فلم تضعْ لهُ. فأقبل عليها مغْضَبًا. فأوجعها ضربًا. ثمَّ اوثقها في

أُسطُوَانةٍ في المنزلِ. وذهب فنام لايَعقِلِ * وجاءت امرأةُ الحجّام بعدَ ساعةٍ على عهدها. وقالت لامراة الاسكاف: بماذا تأمُرين * فقالت لها: إنْ شئتِ فأَحسنتِ اليّ وحَلَلتِني. وربطتُكِ مكاني حتّى أَنطلقَ الى حاجةٍ لي. وأُعجِّلُ العَوْد * فاجابتها امرأةُ الحجّام الى ذلك. وحلّتها. وانطلقت الى حاجتها. واوثقت هي نفسها مكانَها * فاستيقظ الاسكافُ قبلَ أَنْ تعودَ زوجتهُ. فناداها باسمها. فلم تُجِبْهُ امرأة الحجّام. وخافت من الفضيحة أَنْ يُنكِرَ صوتها. ثمّ دعاها ثانيةً فلم تُجِبْهُ. فامتلأَ غيظًا وحَنَقًا. وقام نحوَها بالشَّفرة. فجدع أَنفها. وقال: خُذي هذا فأتحِفي بهِ صديقتَكِ وهو لا يشُكُّ في أنّها امرأتهُ * ثمّ جاءتِ امرأةُ الاسكاف فرأت صنعَ زوجها بامرأة الحجّام. فساءها ذلك

واكبرتهُ وحلّت وِثاقَها. فانطلقت الى منزلها مجدوعةَ الأنف. وكلُّ ذلك بعينِ الناسك وسمعِهِ * ثمَّ إنَّ امرأةَ الإسكاف جعلت تبتهل وتدعو على زوجها الذي ظلمها. ثمَّ رفعت صوتها ونادت زوجها: ايها الفاجر الظالم. قُم فانظر كيف صنعُك بي وصنعُ الله بي. كيف رَحِمني وردَّ أنفي صحيحًا كما كان * فقام واوقد المصباح ونظر. فاذا أنفُ زوجتهِ صحيح. فاستغفر اليها وتاب من ذنبهِ. واستغفر الى ربهِ * وأمَّا امرأةُ الحجّام فإنها لمَّا وصلت الى منزلها. تفكّرت في طَلَبِ العُذر عند زوجها واهلها في جَدْع أنفها. ورفع الالتباس * فلمَّا كان عند السَّحَر. استيقظ الحجّام فقال لامرأتهِ: هاتي متَاعي كلَّهُ. فانّي أُريدُ المُضيَّ الى بعض الأشراف. فأتتهُ بالموسَى * فقال لها:

هاتي الآلةَ بأجمعها . فلم تأتهِ الّا بالمُوسي . فغضب حين اطالتِ التكرارَ ورماها بها * فالقتْ نفسها الى الارض وولولت وصاحت أنفي انفي . وجلبت حتى جآء اهلها واقرباؤها . فرأوها على تلك الحال * فأخذوا الحجّام فانطلقوا بهِ الى القاضي . فقال لهُ القاضي : ما حملك علي جدْع أنف امرأتك . فلم تكُنْ لهُ حُجّة يحتجّ بها . فامر بهِ القاضي أنْ يُقتَصّ منهُ * فلمّا قُدّم للقِصاص . وافى الناسِكُ فتقدّم الى القاضي وقال لهُ : ايّها الحاكم لا يَشتبِهنّ عليك هذا الامر . فانّ اللِصّ ليس هو الذي سرقني . وإنّ الثعلبَ ليس الوعْلانِ قتلاهُ . وإنّ البَغِيّ ليس السمُّ قتلها . وإنّ امرأةَ الحجّام ليسَ زوجُها جدع أنفَها . وانّما نحن فعلنا ذلك بأنفسنا * فسألهُ القاضي عن التفسير .

فأَخبرهُ بالقِصَّة. فامر القاضي بإطلاق الحجَّام *
قال دمنه: قد سمعتُ هذا المَثَل. وهو شبيهٌ بأَمري. ولعلَّي ما ضرَّني احدٌ سِوَى نفسي. ولكنْ ما الحيلة * قال كليله: أَخبِرْني عن رأيك وما تريد أَنْ تَعزِمَ عليهِ في ذلك * قال دمنه: أَمَّا انا فلستُ اليومَ ارجو أَنْ تزدادَ منزِلتي عند الاسد فوقَ ما كنتُ عليهِ. ولكنْ أَلتمس أَنْ اعود الى ما كانت حالي عليهِ. فإِنَّ ثَمَّ اموراً ثلاثــةً العاقلُ جديرٌ بالنظر فيها والاحتيال لها بجهدِهِ: منها النظرُ في ما مضى من الضُرّ والنفع. أَنْ يحترِسَ من الضُرّ الذي اصابهُ في ما سَلَف. لئلاَّ يعود الى ذلك الضرر. ويلتمسَ النفع الذي مضى ويحتالَ لمعاوَدتهِ. ومنها النظرُ في ما هو مقيمٌ فيهِ من المنافع والمضارّ.

والاستيثاق بما ينفع. والهربُ مما يضرّ. ومنها النظرُ في مُستقبَل ما يرجو من قِبَل النفع. وما يخاف من قِبَل الضرّ. ليستتمّ ما يرجو ويتوقّى ما يخاف بجهدهِ * وإنّي لمّا نظرتُ في الامر الذي بهِ ارجو أنْ تعود منزلتي وما غلبتُ عليهِ ممّا كنتُ فيهِ. لم أجِدْ حيلةَ ولا وجهًا الّا الاحتيالَ لِآكِلِ العُشْب هذا حتّى افرُق بينهُ وبين الحيوة. فانّهُ إنْ فارق الاسدَ. عادت لي منزلتي. ولعلّ ذلك يكونُ خيرًا للاسد. فانّ إفراطَهُ في تقريب الثور خليقٌ أنْ يَشينهُ ويضُرّهُ في امرهِ * قال كليله: ما أرى على الاسد في رأيهِ في الثور ومكانهِ منهُ ومنزلتهِ عندهُ شَينًا ولا شرًّا * قال دِمنه: انّما يُؤتَى السُّلطان ويَفسِدُ امرُهُ من قِبَل ستّة أشياء: الحِرْمان. والفِتنة. والهوى. والفَظاظة.

والزّمان . والخَرَق * فأمّا الحِرمان فهو أنْ يُحرَمَ صالحُ الأعوانِ والنُّصحاء والساسةُ من اهلِ الرأي والنجدةِ والأمانة . ويُترَكَ التفقّدُ عمّن هو كذلك . وأمّا الفِتنة فهو تحارُب الناسِ ووقوع الحربِ بينهم . وأمّا الهوى فالإغرام بالنساء . والحديثُ . واللهوُ . والشّراب . والصيد . وما اشبه ذلك . وأمّا الفَظَاظة فهي إفراط الشِدّة . حتّى يجمحَ اللِسانُ بالشتمِ . واليدُ بالبَطش في غير موضعها . وأمّا الزمان فهو ما يُصيب الناسَ من السنِين . والموتُ . ونقصُ الثّمَرات . والغَزَوات . وأشباهُ ذلك . وأمّا الخَرَق فإعمال الشِدّة في موضعِ اللِين . واللينِ في موضع الشِدّة *

وإنّ الاسد قد أُغرم بالثور إغرامًا شديدًا هو الذي ذكرتُ لك أنّهُ خليقٌ أنْ يَشينهُ ويضرُّهُ في امرهِ *

قال كليله : وكيف تُطيق الثور وهو اشدّ منك . واكرمُ على الاسد منك . واكثر أعوانًا * قال دِمنه : لا تنظرْ الى صِغَري وضَعفي . فإنّ الامور ليست بالضّعْف ولا القوّة . ولا الصِغَر ولا الكِبَر في الجُثّة . فرُبّ صغيرٍ ضعيفٍ بلَغ بحيلتهِ ودُهائهِ ورأيهِ ما يعجَز عنهُ كثيرٌ من الاقوياء . أَوَلم يبلغْك أَنْ غُرابًا ضعيفًا احتال لأَسْوَدَ حتّى قتلهُ * قال كليله : وكيف كان ذلك *

قال دِمنه : زعموا أَنّ غُرابًا كان لهُ وَكْرٌ في شجرةٍ على جبل . وكان قريبًا منها غار ثُعبانٍ اسودَ . فكان الغُرابُ اذا فرّخ . عَمَد الاسود الى فِراخهِ فأكلها * فبلغ ذلك من الغُراب واحزنهُ . فشكا ذلك الى صديقٍ لهُ من بنات آوَى وقال لهُ : اريد

مُشاورتَك في امرٍ قد عزمتُ عليهِ * قال: وما هو * قال الغُراب: قد عزمتُ أنْ اذهب الى الأسْوَد اذا نام. فأنقرُ عينهُ فافقأها. لعلّي استريح منهُ * قال ابن آوَى: بئسَ الحِيلةُ التي احتلْت. فالتمسْ امرًا تُصيب فيهِ بُغْيتك من الأسْوَد من غير أنْ تغرِّر بنفسك وتخاطر بها. وإيَّاكَ أنْ يكونَ مَثَلُك مَثَلَ العُلجوم الذي اراد قتلَ السَرَطان فقتل نفسهُ * قال الغراب: وكيف كان ذلك *

قال ابن آوى: زعموا أنّ عُلجومًا عشَّش في أَجَمةٍ كثيرة السمك. فعاش بها ما عاش. ثمَّ هرِم. فلم يستطعْ صيدًا. فأصابهُ جوعٌ وجُهْدٌ شديدٌ * فجلس حزينًا يلتمس الحيلة في امرهِ. فمرَّ بهِ سَرَطانٌ. فرأى حالتهُ وما هو عليهِ من الكآبة والحُزْن. فدنا منهُ

وقال: ما لي اراك ايّها الطائر هكذا حزينًا كئيبًا * قال العُلجوم: وكيف لا احزَن وقد كنتُ أَعيش من صيد ما هاهنا من السمك. وإِنّي قد رايتُ اليوم صيَّادَيْنِ قد مرّا بهذا المكان. فقال احدهما لصاحبهِ: إِنّ هاهنا سمكًا كثيرًا أَفلا نصيدهُ اوّلاً. فقال الآخَر: إِنّي قد رايتُ في مكانٍ كذا سمكًا اكثرَ من هذا السمك. فلنبدأْ بذلك. فاذا فرِغْنا منهُ. جئنا الى ما هاهنا فافنيناهُ * وقد علمتُ أَنَّهما اذا فرِغامّا هناك. انتَهَيا الى هذه الأَجمة فاصطادا ما فيها. فاذا كان ذلك. فهو هلاكي ونَفادُ مدّتي * فانطلق السَّرطانُ من ساعتهِ الى جماعة السمك فاخبرهنّ بذلك. فاقبلنَ الى العُلجوم فاستشَرْنَهُ وقلن لهُ: إِنّا اتيناك لتُشيرَ علينا. فانّ ذا العقلِ لا يدَعُ مُشاوَرةَ عدوّهِ *

قال العلجوم: أمّا مكابرةُ الصيّادَيْنِ فلا طاقةَ لي بها. ولا اعلم حيلةً الاّ المَصِيرَ الى غديرٍ قريب من هاهنا. فيهِ سمكٌ ومياهٌ عظيمةٌ وقصب. فان استطَعتنّ الانتقال اليهِ. كان فيهِ صلاحُكنّ وخِصْبكنّ * فقلنَ لهُ: ما يمُنّ علينا بذلك غيرُك * فجعل العُلجوم يحمِل في كلّ يوم سمكتين حتّى ينتهيَ بهما الى بعض التِلال فيأكُلها. حتي اذا كان ذاتَ يومٍ. جاءَ لأخذ السّمكتين. فجاءهُ السرَطانُ فقال لهُ: إنّي ايضًا قد أشفَقْتُ من مكاني هذا. واستوحشتُ منهُ. فاْذهَبْ بي الى ذلك الغدير * فاحتملهُ وطار بهِ. حتّى اذا دنا من التلّ الذي كان ياكُل السمك فيهِ. نظَر السّرطانُ فرأى عِظامَ السمك مجموعةً هناك. فعلِم أنّ العلجوم هو صاحِبُها. وأنّهُ يريدُ بهِ

مِثلَ ذلك * فقال في نفسهِ : اذا لَقِيَ الرجلُ عدوَّهُ في المواطِنِ التي يعلَمُ أنَّهُ فيها هالكٌ سواءٌ قاتَلَ ام لم يقاتِل . كان حقيقًا أنْ يقاتلَ عن نفسهِ كَرَمًا وحِفاظًا * ثمَّ أهوَى بكَلْبتيهِ على عُنُقِ العُلجومِ فعصرهُ فمات . وتخلَّص السَّرَطانُ الى جماعـة السمك . فأخبرَهُنَّ بذلك *

وإنَّما ضربتُ لك هذا المَثَل لتعلَمَ أنَّ بعض الحيلة مَهلَكةٌ للمحتال . ولكنّي أدُلُّك على امرٍ إنْ انت قدِرتَ عليهِ . كان فيهِ هلاكُ الأسوَد من غيرِ أنْ تُهلِكَ بهِ نفسَك . وتكونُ فيهِ سلامتك * قال الغُراب : وما ذاك * قال ابن آوَى : تنطلق فتبصِرُ في طَيَرانك . لعلَّك أنْ تظفَرَ بشيءٍ من حُلِيّ النساء فتخطفَهُ . ولا تزَالَ طائرًا واقعًا . بحيثُ لا تفوتُ

العيون. حتى تأتيَ غار الأَسْوَد فترمِيَ بالحلْيِ عندهُ. فاذا رأى الناسُ ذلك. اخذوا حليهم واراحوك من الأَسْوَد * فانطلق الغرابُ متحلقاً في السماء. فوجدَ امرأةً من بناتِ العظماء فوقَ سطحٍ تغتسل. وقد وضعت ثيابها وحليها ناحيةً * فانقضّ واختطف من حليها عِقدًا وطار بهِ. فتبعهُ الناس. ولم يزلْ طائرًا واقعًا بحيث يراهُ كلُّ احدٍ. حتى انتهى الى غار الأَسْود. فالقى العِقدَ عندهُ والناس ينظرون اليهِ * فلمّا أتوهُ. اخذوا العِقد وقتلوا الأَسْوَد * وانّما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم أنّ الحيلة تَجزِي ما لا تَجزي القوّة * قال كليلة: إنّ الثور لو لم يجتمعْ مع شِدّتهِ رأيهُ. لكان كما تقول. ولكنّ لهُ مع شِدّتهِ وقوّتهِ حسنَ الراي والعقل. فماذا تستطيع لهُ * قال

دمنة : إنّ الثور لكما ذكرتَ في قوّتهِ ورأيهِ . ولكنّهُ مُقِرٌّ لي بالفضل . وانا خليقٌ أن اصرعَهُ كما صرعتِ الارنبُ الأسد * قال كليلة : وكيف كان ذلك *

قال دِمنة : زعموا أنّ اسدًا كان في أرضٍ كثيرةِ المياه والعُشْب . وكان في تلك الارض من الوحوش في سِعَة المياه والمرعى شيءٌ كثير . الاّ أنّهُ لم يكن ينفعها ذلك لخوفها من الاسد * فاجتمعت واتت الى الاسد وقالت لهُ : إنّك لَتُصيبُ منّا الدابّة بعد الجُهْد والتعب . وقد رأينا لك رايًا فيهِ صَلاحٌ لك وأَمْنٌ لنا . فإنْ انت امّنتَنا ولم تُخِفْنا . فلك علينا في كلّ يوم دابّةٌ . نرسل بها اليك في وقت غَدائك * فرضي الاسد بذلك . وصالح الوحوشَ عليهِ . ووفَين لهُ بهِ * ثمّ إنّ ارنبًا اصابتها القُرْعةُ لتصيرَ غَدآء

الاسد. فقالت للوحوش: إِنْ انتنّ رَفِقْتُنّ بي في ما لا يضرُّكُنّ. رجوتُ أَنْ أُرِيحكُنّ من الاسد. فقالت الوحوش: وما الذي تكلّفيننا من الامور * قالت: تامُرْنَ الذي ينطلق بي الى الاسد أَنْ يُمهِلَني رَيْثَمَا أُبطئُ عليهِ بعضَ الإِبطآءِ. فقلنَ لها: ذلكِ لكِ * فانطلقتِ الارنب متباطئةً. حتّى جاوزت الوقت الذي كان يتغدّى فيهِ الاسد. ثمّ تقدّمت اليهِ وحدَها رُوَيْدًا وقد جاع. فغضِب وقام من مكانهِ نحوها. فقال لها: من اين اقبلتِ. قالت: انا رسولُ الوحوش اليك. بعثنني ومعي ارنبٌ لك. فتبِعني اسدٌ في بعضِ تلك الطريق. فأَخذها منّي وقال: انا أَولى بهذه الارض وما فيها من الوحوش * فقلتُ: إِنّ هذا غدآءُ الملِك. ارسلَني بهِ الوحوشُ اليهِ فلا تغصِبْنيهِ.

فسبّك وشتمك. فأقبلتُ مسرعةً لأُخبرك. فقال الاسد: انطلقي معي. فاريني موضعَ هذا الاسد *
فانطلقت الارنب الى جُبٍّ فيهِ ماءٌ غامرٌ صافٍ. فاطّلعت فيهِ وقالت: هذا المكان. فاطّلع الاسد.
فرأى ظِلّهُ وظِلّ الارنب في المآء. فلم يشكَّ في قولها. ووثب اليهِ ليقاتِلَهُ. فغرِقَ في الجُبِّ * فانقلبت الارنب الى الوحوش. فأعلمتهُنَّ صنيعَها بالاسد *

قال كليله: إنْ قدرتَ على هلاك الثور بشيءٍ ليس فيهِ مَضَرّةٌ للاسد. فشأنك. فانَّ الثور قد اضرَّ بي وبك وبغيرنا من الجُنْد. وإنْ انت لم تقدَرْ على ذلك الّا بهلاك الاسد. فلا تُقدِمْ عليهِ. فانَّهُ غَدْرٌ منّي ومنك * ثمَّ إنَّ دمنه ترك الدخول على الاسد أيّامًا كثيرة. ثمَّ اتاهُ على خلوة منهُ. فقال لهُ

الاسد : ما حبسك عنّي منذُ زمانٍ لم أَرَك . أَلَا لخيرٍ
كان انقطاعك * قال دمنه : خيرًا فليكن ايّها
الملك * قال الاسد : وهل حدث امر . قال دمنه :
حدث ما لم يكنِ المَلِك يريدهُ ولا احدٌ من جندهِ *
قال : وما ذاك . قال : كلامٌ فظيعٌ * قال : اخبِرني بهِ .
قال دمنه : إِنّهُ كلامٌ يكرَهُهُ سامعهُ . ويَوْجَع عليهِ
قائلهُ * وإِنّك ايّها الملك لذو فضيلةٍ . ورأيك
يدُلّك على أَنّهُ يَوْجَعني أَنْ اقول ما تكرَه . وأَثِق بك
أَنْ تعرِف نُصحي وايثاري ايّاك على نفسي . وإِنّهُ لَيَعرِض
لي أَنّك غير مصدّقي في ما اخبرك بهِ . ولكنّي اذ
تذكّرتُ وتفكّرتُ أَنّ نفوسنا مَعَاشِرَ الوحوش متعلّقةٌ
بك . لم اجد بدًّا من أَداءَ الحقّ الذي يلزمني وان
انت لم تسأَلني * وخفتُ أَن لا تقبَل منّي . فانّهُ يقال :

مَن كتمَ السّلطان نصيحتَهُ والإخوان رأيَهُ. فقد خان نفسهُ * قال الاسد : فما ذاك . قال دمنه : حدّثني الأَمينُ الصَّدوق عندي أنّ شَتربه خلا برؤوس جُندك. وقال : قد خبرتُ الاسد وبلوتُ رايهُ ومكيدتهُ وقوّتهُ . فاستبان لي أنّ ذلك يؤول منهُ الى ضعفٍ وعجز. وسيكون لي ولهُ شان من الشؤون * فلمّا بلغني ذلك . علمتُ أن شتربه خوّان غدّارٌ. وإنك اكرمتَهُ الكرامةَ كلّها . وجعلتَهُ نظيرَ نفسك . وهو يظنّ أنهُ مِثلُك . وأنك متى زُلتَ عن مكانك . صار لهُ مُلكُك. ولا يدعُ جُهدًا الاَّ بلغهُ فيك * وقد كان يقال : اذا عَرَف الملكُ من الرجل أنّهُ قد ساواهُ في المنزلة والحال. فليصرَعهُ . فان لم يفعل بهِ ذلك. كان هو المصروع * وشتربه اعلمُ بالامور

deal with problem

وابلغ فيها . والعاقل هو الذي يحتال للامر قبل تمامهِ ووقوعهِ . فانّك لا تأمَنُ أن يكون ولا تستدركهُ * فانهُّ يقال : الرجال ثلاثة : حازمٌ وأحزمُ منهُ وعاجزٌ . فأحد الحازمينِ مَن اذا نزَل بهِ الامر . لم يُدْهَش لهُ . ولم يذهب قلبهُ شُعاعًا . ولم تُعْيِ بهِ حيلتهُ ومكيدتهُ التي يرجو بها المخرَج منهُ * واحزمُ من هذا المتقدِّمُ ذو العُدَّةِ . الذي يَعرِف الابتلاءَ قبل وقوعهِ فيعظِمهُ إعظامًا . ويحتال لهُ حيلةً حتى كأنّهُ قد لَزِمهُ . فيحسِم الداءَ قبل أن يُبتلَى بهِ . ويدفع الامر قبل وقوعهِ * وأمّا العاجز فهو في تردُّدٍ وتَمنٍّ وأَمانٍ حتى يهلك . ومن أمثال ذلك مَثَلُ السَّمكات الثلاث * قال الاسد : وكيف كان ذلك *

قال دِمنه : زعموا أنّ غديرًا كان فيهِ ثلاثُ

سَمَكَات : كَيِّسة. وأكيَسُ منها. وعاجزة. وكان ذلك الغديرُ بنَجْوة من الارض لا يكاد يقربُهُ احد. وبقُربهِ نهرٌ جارٍ * فاتّفق أنّهُ اجتاز بذلك النهر صيّادان. فابصرا الغدير. فتواعدا أنْ يرجِعا اليهِ بشِباكهما. فيَصيدا ما فيهِ من السمك * فسمعت السمكاتُ قولهما. فامّا اكيسُهنّ فلمّا سمعت قولهما. ارتابت بهما وتخوّفت منهما. فلم تعرّجْ على شيءٍ حتّى خرجت من المكان الذي يدخُل فيهِ الماء من النهر الى الغدير * وامّا الكيّسةُ الأُخرى فانّها مكثت مكانَها. حتّى جاء الصيّادان. فلمّا رأتهما وعرفت ما يُريدان. ذهبت لتخرُج من حيثُ يدخُلُ الماء. فاذا بهما قد سدّا ذلك المكان. فحينئذٍ قالت. فرّطتُ. وهذه عاقبةُ التفريط. فكيف الحيلة على هذه الحالـــ. وقلّما تنجَحُ

حيلة العَجَلة والإرهاق • غيرَ أنَّ العاقل لا يقنُط من منافع الرأي . ولا ييأس على حال . ولا يدَع الرأيَ والجهدَ * ثمَّ إنها تماوتت . فطَفَتْ على وجه الماء منقلبةً على ظهرها تارةً . وتارةً على بطنها * فاخذها الصيادان . ووضعاها على الارض بين النهر والغدير . فوثبت الى النهر فنجت * وأمَّا العاجزة . فلم تزَلْ في إقبالٍ وإدبار حتَّى صِيدت * قال الاسد : قد فهمتُ ذلك . ولا اظُنَّ الثورَ يغشُّني او يرجو لي الغوائل . وكيف يفعل ذلك ولم يرَ منِّي سوءًا قطُّ . ولم ادَعْ خيرًا الاَّ فعلتُهُ معهُ . ولا أُمنيةً الاَّ بلَّغتهُ ايَّاها * قال دِمنه : إنَّ اللئيم لا يزال نافعًا ناصحًا . حتَّى يُرفَع الى المنزلة التي ليس لها بأهل • فاذا بلغها . التمس ما فوقها ولاسيَّما اهلِ الخيانة والفُجور * فانَّ اللئيمَ الفاجر

لا يخدُم السّلطانَ ولا ينصَح لهُ الاّ من فرَقٍ. فاذا استغنى وذهَبت الهَيبة. عاد الى جوهرهِ. كذَنَب الكلب الذي يرُبَط ليستقيم. فلا يزال مستوِيًا ما دام مربوطاً. فاذا حُلّ. انحنى وتعوَّج كما كان * واعلم ايها الملك أنَّهُ من لم يقبل من نُصَحائهِ ما يثقُل عليهِ مّما ينصَحُون لهُ. لم يحمَدْ رأيَهُ. كالمريض الذي يدَعُ ما يبعث لهُ الطبيب. ويَعمِد الى ما يشتهيهِ * ويحُقّ على موازِرِ السلطان أنْ يبالغ في التحضيض لهُ على ما يزيد سُلطانَهُ قوّةً ويزينهُ. والكفّ عمّا يضرُّهُ ويَشينهُ * وخير الاخوان والأعوان أقلّهم مُداهَنةً في النصيحة. وخير الأعمال احلاها عاقبةً. وخيرُ النساءِ الموافِقةُ لبعلها. وخير الثناءِ ما كان على أفواه الأخيار. واشرف السّلطان ما لم يخالطهُ بَطَر. وخيرُ الأخلاق

أَعوَنُها على الوَرَع * وقد قيل : لو أَنَّ امرءًا توسَّد النارَ وافترش الحيّات . كان احق أَنْ يهنَأَهُ النومُ من رجلٍ احسَّ من صاحبِهِ بعداوةٍ يريدُهُ بها . فيطمئِنّ اليهِ * واعجزُ الملوك آخِذُهم بالهُوَيناءِ واقلّهم نَظَرًا في مستقبَل الامور . واشبهُهم بالفيل المغتلِم الذي لا يلتفت الى شيءٍ . فانْ احزنهُ امرٌ تهاون بهِ . وانْ اضاع الامور . حَمَل ذلك على قُرَنائهِ * قال لهُ الاسد : لقد غلّظت في القول . وقول الناصح مقبولٌ محمول . وإنْ كان شَترَبه معاديًا لي كما تقول . فانهُ لا يستطيع لي ضرًّا . وكيف يقدَر على ذلك وهو آكِلُ عُشْبٍ وانا آكِلُ لحمٍ . وانّما هو لي طعام . وليس عليّ منهُ مخافة * ثمّ ليس الى الغدر بهِ سبيلٌ بعد الأَمان الذي جعلتهُ لهُ وبعد إكرامي لهُ وثَنائي

عليهِ . وإن غيَّرتُ ما كان منّي وبدلتهُ . سفهتُ رأيي وجهلتُ نفسي . وغدرتُ بذِمّتي * قال دِمنه : لا يغرَّنَّك قولك : هُوَ لي طعام وليس عليَّ منهُ مخافة . فانَّ شَترَبه إنْ لم يستطِعْكَ بنفسِهِ . احتال لك من قِبَلِ غيرهِ * ويقال : إن استضافك ضيفٌ ساعةَ من نهارٍ وانت لا تَعرِف أخلاقَهُ . فلا تأمَنْهُ على نفسك أنْ يُصيبك منهُ او بسببهِ ما اصاب القملةَ من البرْغوث * قال الاسد : وكيف كان ذلك *

قال دِمنه : زعموا أنَّ قملةَ لزِمت فِراشَ رجلٍ من الاغنياءِ دهرًا . فكانت تُصيبُ من دمهِ وهو نائمٌ لا يشعرُ . وتدِبُّ دبيبًا دقيقًا * فمكثت كذلك حينًا . حتّى استضافها ليلةً من الليالي برغوثٌ . فقالت لهُ : بِتِ الليلةَ عندنا في دمٍ طيّبٍ

وفِراشٍ ليّنٍ * فأقام البُرغوثُ عندها. حتّى اذا اوى
الرجلُ الى فِراشهِ. وثَب عليهِ البُرغوثُ فلدغهُ
لدغةً ايقظَتْهُ واطارت النومَ عنهُ * فقام الرجل.
وامر أَنْ يُفتَّش فِراشُهُ. فنُظِر. فلم يرُ الّا القملة.
فأُخذت فقُصِعت. وفرّ البرغوث * وانّما ضربتُ
لك هذا المَثَل لتعلم انّ صاحب الشرّ لا يسلَم من
شرّهِ احد. وانْ هو ضعُف عن ذلك. جآء الشرّ
بسببهِ. وانْ كنتَ لا تخاف من شتربه. فخَفْ غيرهُ
من جُندك الذين قد حملهم عليك وعلى عداوتك *
فوقع في نفس الاسد كلامُ دِمنه. فقال: فما الذي ترى
اذاً. وبماذا تشير * قال دِمنه: إنّ الضرْس الماكول
لا يزال ماكولاً. ولا يزال صاحبهُ منهُ في ألَمٍ وأذىً
حتّى يفارقهُ. والطعام الذي قد عفِنَ في البطنِ

الراحةُ في قذفهِ . والعدوُّ المخوف دواؤهُ قتالهُ * قال الاسد : لقد تركتني اكرهُ مجاورةَ شتربه اياي . وانا مرسلٌ اليهِ وذاكرٌ لهُ ما وقع في نفسي منهُ * ثمَّ امرهُ باللحاقِ حيثُ احبَّ * فكرِهَ دِمنه ذلك . وعلِم أنَّ الاسد متى كلَّم شتربه في ذلك وسمع منهُ جوابًا . عرَف باطلَ ما اتى بهِ . واطَّلع على غدْرهِ وكذِبهِ . ولم يخفَ عليهِ امرهُ * فقال للاسد : أمَّا إرسالُك الى شتربه . فلا اراهُ لك رأيًا ولا حزمًا . فلينظرِ الملك في ذلك . فانَّ شتربه متى شعر بهذا الامر. خِفتُ أنْ يعاجِل الملك بالمكابرة . وهو إنْ قاتلك. قاتلك مستعِدًّا . وان فارقك . فارقك فِراقًا يليك منهُ النقص . ويلزمك منهُ العار. مع أنَّ ذوي الرأي من الملوك لا يُعلِنون عقوبةَ مَن لم يُعلَنْ ذنبهُ . ولكنَّ

لكلِّ ذنبٍ عندهم عقوبةً . فلذنب العلانيَة عقوبةُ العلانية . ولذنب السِرّ عقوبة السرّ * قال الاسد : إِنّ الملك اذا عاقب احدًا عن ظَنّةٍ ظنّها من غير تيقّن بجُرمِهِ . فلنفسهِ يعاقِب وإيّاها يَظلم * قال دمنه : أمّا اذا كان هذا رأيَ المَلِك . فلا يدخُلنَّ عليك شتربه الاّ وانت مستعِدٌّ لهُ . وإيّاك أَنْ تُصيبَك منهُ غِرّةٌ او غفلةٌ . فانّي لا أَحسِبُ الملك حين يدخُل عليهِ الاّ سيعرِف أَنّهُ قد همّ بعظيمة * ومن عَلامات ذلك أَنّك ترى لونهُ متغيّرًا . وترى اوصالهُ ترعَدُ . وتراهُ متلفّتًا يمينًا وشِمالاً . وتراهُ يهزُّ قرنيهِ فِعلَ الذي همّ بالنِطاح والقِتال * قال الاسد : سأكون منهُ على حَذَر . وإنْ رأيتُ منهُ خبَرًا يدُلّ على ما ذكرتَ . علمتُ أَنْ ما في امرهِ شكٌّ *

فلمّا فرغ دِمنه من تحميل الاسد على الثور. وعَرَف أنّهُ قد وقع في نفسهِ ما كان يلتمس. وأنّ الاسد سيتحذّر الثورَ ويتهيّأ لهُ. اراد أن ياتيَ الثورَ ليُغْرِيَهُ بالاسد. وأحبّ أن يكون إتيانهُ من قَبْل الاسد. مخافةَ أن يبلُغَهُ ذلك فيتأذّى بهِ. فقال ايها الملك: ألا آتي شتربه فأنظرَ الى حالهِ وامرهِ. واسمعَ كلامَهُ لعلّي أن اطّلع على سِرّهِ. فأطلِعَ الملكَ على ذلك وعلى ما يظهرَ لي منهُ * فأذِن لهُ الاسد في ذلك. فانطلق فدخل على شَتربه كالكئيب الحزين * فلمّا رآهُ الثور. رحّب بهِ. وقال: ما كان سببُ انقطاعك عنّي. فانّي لم أرَكَ منذ أيّام. أوَلعلّك في سلامة* قال دِمنه: ومتى كان من اهل السلامة مَنْ لا يَملِكُ نفسهُ. وامرهُ بيد غيرهِ ممّن لا

يُوثَق بهِ . ولا ينفكّ على خَطَرٍ وخوفٍ . حتى ما من ساعةٍ تمُرّ ويأمَن فيها على نفسهِ * قال شتربه : وما الذي حدَث * قال دمنه : حدث ما قُدِّر وهو كائن . ومَن ذا الذي غالَب القَدَر . ومَن ذا الذي بلغ من الدنيا جسيمًا من الامور فلم يبطَرْ . ومَن ذا الذي بلغ مُناهُ فلم يغتَرّ . ومن ذا الذي تبِع هواهُ فلم يخسر . ومن ذا الذي حادثَ النِساءَ فلم يُصْبَ . ومن ذا الذي طلب من اللئام فلم يُحرَم . ومن ذا الذي خالط الأَشرار فسَلِم . ومن ذا الذي صَحِب السُلطان فدام لهُ منهُ الأَمْنُ والإِحسان * ولقد صدَق الذي قال : مَثَلُ السلاطينِ في قِلّة وفائهم لمن صَحِبهم وسخاوة انفسهم بمن فقدوا من قُرنائهم كمَثَلِ البَغِيّ . كلّما فقدتْ واحدًا . جاءَ آخَر * قال شَتربه :

إِنِّي اسمع منك كلامًا يدُلّ على أَنَّهُ قد رابك من الاسد رَيبٌ. وهالَكَ منهُ امر * قال دِمنه : أَجَلْ . لقد رابني منهُ ذلك . وليس هو في امر نفسي * قال شتربه : ففي نفس مَن رَابَك * قال دِمنه : قد تعلمُ ما بيني وبينك . وتعلم حقّك عليّ وما كنتُ جعلتُ لك من العهد والميثاق أَيَّامَ ارسلَني الاسد اليك . فلم اجِد بُدًّا من حِفظك واطلاعك على ما اطّلعتُ عليهِ ممّا اخاف عليك منهُ * قال شتربه : وما الذي بلغك . قال دِمنه : حدّثني الخبير الصّدوقُ الذي لا مُرْيَةَ في قولهِ أَنَّ الاسد قال لبعض أَصحابهِ وجُلسائهِ : قد اعجبني سِمَنُ الثور . وليس لي الى حياتهِ حاجةٌ . فانا آكِلُهُ ومُطعِمٌ أَصحابي من لحمهِ * فلمّا بلغني هذا القول وعرفتُ غدرهُ وسوء عهدهِ . اقبلتُ اليك لأَقضي

حقّك وتحتالَ انت لأمرِك *

فلمّا سمع شَتربه كلام دِمنه . وتذكّر ما كان دمنه قد جعل لهُ من العهد والميثاق . وفكّر في امر الاسد . ظنَّ أنَّ دمنه قد صَدَقهُ ونصح لهُ . ورأى أنَّ الامر شبيهٌ بما قال دمنه . فأهمَّهُ ذلك . وقال : ما كان الاسدُ لِيغدُرَ بي . ولم آتِ اليهِ ذَنبًا ولا الى احدٍ من جُندِهِ منذُ صَحِبتهُ . ولا اظنُّ الاسدَ الاَّ قد حُمِلَ عليَّ بالكَذِب . وشُبّه عليهِ امري . فانَّ الاسد قد صحِبَهُ قومُ سوءٍ . وجرَّب منهم الكَذِبَ واموراً هي تصدّق عندهُ ما بلغهُ من غيرهم * فانَّ صُحبة الأشرار ربَّما اورثت صاحبها سُوءَ ظَنٍّ بالأخيار وحملتهُ تجربتهُ على الخطأ . كخطأ البَطّة التي زعموا أنَّها رأت في الماءِ ضوءَ كوكب . فظنَّتهُ سمكةً . فحاولت أنْ تصيدها .

فلمّا جرّبت ذلك مِرارًا. علمت أنّهُ ليس بشيءٍ يُصاد فتركتهُ • ثمّ رأت من غَدِ ذلك اليوم سمكةً . فظنّت أنّها مثل الذي رأتهُ بالأَمس . فتركتها ولم تطلُبْ صيدَها *

فانْ كان الاسد بلغهُ عنّي كَذِبٌ فصدّقهُ عليَّ وسمعهُ فيَّ . فما جرى على غيري يجري عليَّ • وان كان لم يبلُغْهُ شيٌ وارادَ السوء بي من غير عِلّة . انّ ذلك لَمِنْ اعجب الامور * وقد كان يقال : إِنَّ من العَجَب أَنْ يطلُبَ الرجل رِضاءَ صاحبهِ ولا يرضى . واعجبُ من ذلك أَنْ يلتمس رِضاءَهُ فيسخَط * فاذا كانت المَوْجِدة عن عِلّةٍ . كان الرضاءُ موجودًا . والعفو مأمولاً • واذا كانت عن غير عِلّة . انقطع الرّجاء • لانّ العِلّة اذا كانت المَوْجِدة في ورودها . كان الرضاء

ما مولاً في صدورها * وقد نظرتُ فلا اعلم بيني وبين الاسد جرمًا ولا صغيرَ ذنبٍ ولا كبيرهُ * ولَعَمري ما يستطيع احد أطالَ صُحبةَ صاحبٍ أنْ يحترسَ في كلّ شيء من امرهِ . ولا أنْ يتحفّظ من أنْ يكون منهُ صغيرةٌ او كبيرةٌ يكرهُها صاحبُهُ . ولكنّ الرجل ذا العقل وذا الوفاء اذا سقط عندَهُ صاحبُهُ سقطةً . نظر فيها وعرَف قدْرَ مبلغِ خطاءِهِ . عمْدًا كان او خطأً . ثمّ ينظر هل في الصفح عنهُ امرٌ يخاف ضررَهُ وشَينهُ . فلا يؤاخِذُ صاحبَهُ بشيء يجِد فيهِ الى الصفح عنهُ سبيلاً * فإنْ كان الاسد قد اعتقد عليّ ذنبًا . فلستُ اعلمُهُ . الاّ أنّي خالفتهُ في بعض رأيهِ بطَرًا منّي ونصيحةً لهُ . فعساهُ أنْ يكون قد انزل امري على الجرَاءَة عليهِ والمخالفة لهُ . ولا أجِد لي في هذا المحضر

إنّما ما . لاني لم اخالفهُ في شيءٍ . الاّ ما قد نَدِر من مخالفة الرُشدِ والمنفعة والدِين * ولم اجاهر بشيءٍ من ذلك على رؤوس جُندهِ وعند أصحابهِ . ولكنّي كنتُ اخلو بهِ واكلمهُ سِرًّا كلامَ الهائب الموقِر . وعلمتُ أنّهُ مَن التمس الرُخَص من الإخوان عند المشاورة . ومن الاطبّاء عند المرض . ومن الفقهاء عند الشُبهة . اخطأ منافعَ الرأي . وازداد في ما وقع فيهِ من ذلك تورُّطًا . وحَمَلَ الوِزر * وإنْ لم يكن هذا . فعسى أنْ يكون ذلك من بعض سكَرات السُلطان . فانّ مُصاحَبة السُلطان خَطِرةٌ وإنْ صوحب بالسلامة والثِقة والمودّة وحُسْن الصُحبة * وإنْ لم يكن هذا . فبعضُ ما أُوتيتُ من الفضل قد جُعل لي فيهِ الهلاك * وإنْ لم يكن هذا ولا هذا . فهو اذًا من مَواقِع القَضا

والقَدَر الذي لا يُدفَع. والقَدَر هو الذي يسلُبُ الاسدَ قوّتَهُ وشِدَّتهُ. ويُدخِلهُ القبر. وهو الذي يحمِلُ الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلِم. وهو الذي يسلّط على الحيّة ذاتِ الحُمَة من ينزِع حمَتها ويلعب بها. وهو الذي يحزّم العاجز. ويثبّط الشّهم. ويوسِع على المُقتِر. ويشجّع الجبان. ويجبّن الشجاع عند ما تعتريهِ المقاديرُ من العِلَل التي وُضعت عليها الأقدار *

قال دِمنه: إنّ إرادة الاسد بك ليست من تحميل الأشرار ولا سكْرة السلطان ولا غير ذلك. ولكنّها الغدرُ والفجور منهُ. فانهُ فاجرٌ خوّانٌ غدّارٌ. لطعامهِ حلاوةٌ. وآخِرُهُ سمٌّ مميت * قال شتربه: فاراني قد استلذذتُ الحلاوة اذ ذقتها. وقد انتهيتُ الى آخِرها الذي هو الموت * ولولا الحين. ما كان

مُقامي عند الاسد . وهو آكِلُ لحمٍ وانا آكِلُ عُشب *
فانا في هذه الورطة كالنحلة التي تَجلِس على ورق
النَّيْلُوفَر اذ تستلذُّ ريحَهُ وطعمهُ . فتحبُسها تلك اللَّذَّة .
فاذا جاءَ الليل . ينضمُّ عليها . فترتبك فيهِ وتموت *
ومَن لم يرضَ من الدنيا بالكَفاف الذي يُغنيهِ .
وطَمَحتْ عينهُ الى ما سوى ذلك . ولم يتخوَّف عاقبتها .
كان كالذُّباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين .
ولا يُقنعهُ ذلك . حتَّى يطلُبَ الماءَ الذي يَسيل من
أُذُن الفيل . فيَضرِبُهُ الفيل بأُذُنيهِ فيُهلكهُ * ومَن
يَبذِل وُدَّهُ ونصيحتهُ لمن لا يشكرهُ . فهو كمَن يبذُر في
السِباخ . ومَن يُشِرْ على المعجَب برأيهِ . فهو كمَن يشاور
الميِّت او يُسارِرُ الاصمَّ * قال دِمنه : دع عنك هذا
الكلام . واحتَلْ لنفسك * قال شتربه : بايِّ شيء

والقَدَر الذي لا يُدفَع. والقَدَر هو الذي يسلُبُ الاسدَ قوَّتهُ وشِدَّتهُ. ويُدخِلهُ القبر. وهو الذي يحمِلُ الرجل الضعيف على ظهر الفيل المغتلِمِ. وهو الذي يسلِّط على الحيَّة ذاتِ الحُمَة من ينزِع حمَتَها ويلعب بها. وهو الذي يحزِّم العاجز. ويثبِّط الشَّهم. ويوسِّع على المُقتِر. ويشجِّع الجبان. ويجبِّن الشُّجاع عند ما تعتريهِ المقاديرُ من العِلَل التي وُضعت عليها الأقدار *

قال دِمنه: إنَّ إرادة الاسد بك ليست من تحميل الأشرار ولا سكْرة السلطان ولا غير ذلك. ولكنَّها الغدرُ والفجور منهُ. فانهُ فاجرٌ خوَّانٌ غدَّارٌ. لطعامهِ حلاوةٌ. وآخِرُهُ سمٌّ مميت * قال شتربه: فاراني قد استلذذتُ الحلاوة اذ ذقتها. وقد انتهيتُ الى آخِرها الذي هو الموت * ولولا الحين. ما كان

مُقامي عند الاسد . وهو آكِلُ لحمٍ وانا آكِلُ عُشب *
فانا في هذه الورطة كالنحلة التي تَجلِس علي ورق
النَّيْلُوفَر اذ تستلذُّ ريحَهُ وطعمهُ . فتحبُسها تلك اللذّة •
فاذا جآء الليل . ينضمّ عليها . فترتبك فيهِ وتموت *
ومَن لم يرضَ من الدنيا بالكفاف الذي يُغنيهِ .
وطَمحتْ عينهُ الى ما سوى ذلك . ولم يتخوّف عاقبتها .
كان كالذُّباب الذي لا يرضى بالشجر والرياحين .
ولا يُقنِعهُ ذلك . حتّى يطلُبَ المآء الذي يَسيل من
أُذن الفيل . فيَضرِبهُ الفيل بأُذُنيهِ فيُهلِكهُ * ومَن
يَبذِل وُدّهُ ونصيحتهُ لمن لا يشكرهُ . فهو كمن يبذُر في
السِباخ • ومَن يُشِرْ على المعجَب برأيهِ . فهو كمن يشاور
الميّت او يُسارِرُ الاصمّ * قال دِمنه : دع عنك هذا
الكلام . وأَحتَلْ لنفسك * قال شتربه : بايّ شيء

أَحتالُ لنفسي اذا اراد الاسد أَكلي . مع ما عرفْتَني من رأي الاسد وسوء أَخلاقهِ . وأَعلم أَنَّهُ لو لم يرِدْ بي الاَّ خيرًا . ثمَّ اراد أَصحابهُ بمكرهم وفجورهم هلاكي . لقدروا على ذلك * فانَّهُ اذا اجتمع المَكَرة الظَلَمة على البريء الصحيح . كانوا خُلفاءَ أَنْ يُهلِكوهُ وإِنْ كانوا ضعفاءَ وهو قويّ . كما اهلك الذئبُ والغُرابُ وابنُ آوى الجملَ حين اجتمعوا عليهِ بالمَكْرِ والخديعة والخِيانة * قال دمنه : وكيف كان ذلك *

قال شتربه : زعموا أَنَّ اسدًا كان في أَجَمةٍ مجاوِرًا لطريقٍ من طُرُق الناس . وكان لهُ أَصحابٌ ثلاثةٌ ذئبٌ وغُرابٌ وابنُ آوى * وإِنَّ رُعاةً مرُّوا بذلك الطريق ومعهم جِمالٌ . فتخلَّف منها جَمَل . فدخل تلك الأَجَمة حتَّى انتهى الى الاسد * فقال

لهُ الاسد: من اين اقبلتَ * قال: من موضعِ كذا.
قال: فما حاجتك. قال: ما يأمرني بهِ الملك *
قال: تُقيم عندنا في السَّعة والأَمن والخِصب. فأقام
الجملُ عند الاسد زمانًا طويلاً * ثمَّ إنَّ الاسد مضى
في بعض الأَيَّام لطلب الصيد. فلقِيَ فيلاً عظيمًا.
فقاتلهُ قتالاً شديدًا. وافلت منهُ مُثقلاً مُثخنًا بالجراح.
يسيل منهُ الدم. وقد خدشهُ الفيل بأنيابهِ * فلمَّا
وصل الى مكانهِ. وقع لا يستطيع حراكًا. ولا يقدرُ
على طلب الصيد * فلبث الذئب والغُراب وابن
آوى أيَّامًا لا يجدون طعامًا. لانَّهم كانوا يأكُلون
من فضلات الاسد وطعامهِ. فاصابهم جوعٌ شديد
وهُزال * وعرف الاسدُ ذلك منهم. فقال: لقد
جُهدتم واحتجتم الى ما تأكُلون * فقالوا: لا تهمُّنا

انفُسُنا . لكنَّا نرى المَلِك على ما نراهُ . فليتَنا نَجِد ما ياكُلهُ ويُصلِحُ بِهِ نفسَهُ * قال الاسد : ما اشُكُّ في نصيحتكم . ولكنِ انتشروا . لعلكُم تُصيبون صيدًا تأتوني بِهِ . فيُصيبني ويصيبكم منهُ رِزق * فخرج الذئب والغُراب وابن آوى من عند الاسد . فتنحَّوْا ناحيةً . وتشاوروا فيما بينهم وقالوا : ما لنا ولهذا الآكِلِ العُشْب الذي ليس شأنُهُ من شأننا . ولا رأيُهُ من رأينا . ألا نزيّن للاسد فيأكُلَهُ ويُطعِمَنا من لحمِهِ * قال ابن آوى : هذا مما لا نستطيع ذِكرهُ للاسد . لأنَّهُ قد أمَّنَ الجمل . وجعل لهُ من ذِمّتهِ عهدًا . قال الغُراب : انا أكفِيكم امرَ الاسد * ثمَّ انطلق فدخل على الاسد . فقال لهُ الاسد : هل أصَبْتَ شيئًا * قال الغُراب : إنَّما يُصيب مَن يسعَى ويُبصِر . وأمَّا

نحن فلا سَعْيٌ لنا ولا بَصَرٌ لِمَا بنا من الجُوع . ولكنْ قد وَفِقْنَا لرايٍ واجتمعنا عليهِ . إن وافقنا الملكُ . فنحن لهُ مُجيبون * قال الاسد : وما ذالك * قال الغراب : هذا الجَمَل آكِلُ العُشْب المتمرّغ بيننا . من غير منفعةٍ لنا منهُ ولا رَدٍّ عائدةٍ ولا عملٍ يُعقِبُ مصلحة * فلمّا سمع الاسد ذلك . غَضِب وقال : ما اخطأ رأيك . وما أعجزَ مَقالَك . وأبعدَك من الوفاء والرحمة . وما كنتَ حقيقًا أنْ تجترئَ عليَّ بهذه المقالة . وتستقبلَني بهذا الخِطاب . مع ما علمتَ من أنّي قد امّنتُ الجمل وجعلتُ لهُ من ذِمّتي * أوَلم يبلُغْك أنّهُ لم يتصدّق متصدِّقٌ بصدَقةٍ هي اعظمُ اجزًا من عَمَلِ مَن امّن نفسًا خائفةً وحَقَن دمًا مهدورًا . وقد امنتُهُ ولستُ بغادرٍ بهِ * قال الغراب : إنّي لَأعرِف

ما يقول الملك . ولكنّ النفسَ الواحدة يُقتَدى بها
اهلُ البيت . واهلُ البيت تُقتدَى بهم القبيلـة .
والقبيلةُ يُقتدَى بها اهلُ المِصْر . واهلُ المِصْر فِدَى
الملك . وقد نزَلت بالمَلِكِ الحاجة . وانا اجعل لهُ
من ذِمّتهِ مخرَجًا : على أَنْ لا يتكلّفَ الملكُ ذلك .
ولا يَلِيَهُ بنفسهِ . ولا يأْمُرَ بهِ احدًا . ولكنّا نحتالــ
بحيلةٍ . لنا ولهُ فيها اصلاحٌ وظَفَر * فسكتَ الاسد
عن جواب الغُراب عن هذا الخِطاب * فلمّا عَرَف
الغُرابُ إقرارَ الاسد . اتى اصحابَهُ . فقال لهم : قد كلّمتُ
الاسد في اكلهِ الجملَ . على أَنْ نجتمعَ نحنُ والجمل عند
الاسد . فنذكُرَ ما اصابهُ . ونتوجّع لهُ اهتمامًا منّا بامرهِ
وحِرْصًا على صَلاحهِ . ويَعْرِضَ كلٌّ واحدٍ منّا نفسهُ
عليهِ تجمُّلاً لياكلهُ . فيرُدَّ الآخَران عليهِ ويسفِّهان

رأيَهُ ويبينّان الضرر في اكلهِ. فاذا فعلَنا ذلك. سَلِمْنا كلُّنا. ورَضِيَ الاسد عنّا * ففعلوا ذلك. وتقدَّموا الى الاسد. فقال الغراب: قد احتجْتَ ايّها الملك الى ما يقوّيك. ونحن احقُّ أَنْ نَهَبَ انفُسَنا لك. فإنّا بك نَعيش. فاذا هلِكتَ. فليس لأَحَدٍ منّا بقاءٌ بعدك. ولا لنا في الحيوة من خِيرة. فليأكُلْني المَلِك. فقد طِبتُ بذلك نفساً * فاجابهُ الذئب وابنُ آوى أَنْ: اسكُتْ. فلا خيرَ المَلِك في اكلك. وليس فيك شِبَع * قال ابن آوى: لكنْ انا اشبعُ الملك. فليأكُلْني. فقد رَضِيتُ بذلك وطِبْتُ عنهُ نفساً * فردَّ عليهِ الذئب والغُراب بقولهما: إنّك لَمُنتِنٌ قَذِرٌ * قال الذئب: إنّي لستُ كذلك. فليأكُلْني المَلِك. فقد سَمَحتُ بذلك. وطِبتُ عنهُ نفساً *

فاعترضهُ الغُراب وابن آوى وقالا: قد قالت الاطبّآء: مَن اراد قتل نفسهِ. فلياكُل لحم ذئب * فظنَّ الجملُ أنَّهُ اذا عرَض نفسهُ على الأكل. التمسوا لهُ عُذرًا كما التمس بعضهم لبعضٍ الأعذارَ. فيسلَمُ. ويرضي الاسد عنهُ بذلك وينجو من المهالك * فقال: لكنْ انا فيَّ للمَلِك شِبَعٌ ورِيٌّ. ولحمي طيّبٌ هنيٌّ. وبطني نظيف. فلياكلني المَلِك ويُطعِمْ أصحابهُ وخدَمهُ. فقد رَضِيتُ بذلك. وطابت نفسي عنهُ وسَمَحتُ بهِ * فقال الذئب والغُراب وابن آوى: لَقَدْ صَدَق الجمل وكَرُم. وقال ما عَرَف. ثمَّ إنهم وثبوا عليهِ فمزّقوهُ *

وانّما ضربتُ لك هذا المَثَل لتعلم أنَّهُ انْ كان اصحاب الاسد قد اجتمعوا على هلاكي. فانّي لستُ

اقدَرُ أنْ امتنع منهم ولا احترس • وان كان رايُ الاسد لي على غير ما هُمْ عليهِ من الراي فيَّ. فلا ينفعني ذلك ولا يُغنيني شيئًا • وقد يقال: خيرُ السلاطين مَن عدَل في الناس * ولو أنّ الاسد لم يكن في نفسهِ لي الاَّ الخيرُ والرحمة. لَغيّرتهُ كثرة الاقاويل • فانّها اذا كثُرت. لم تلبَث دون أنْ تُذهِب الرِقّة والرأفة * ألَا ترى أنّ الماء ليس كالقول. وانّ الحجر اشدّ من الانسان • فالماء اذا دام انحدارهُ على الحجر. لم يلبَثْ حتى يثقبَهُ ويؤثّر فيهِ. وكذلك القول في الانسان * قال دمنه: فماذا تريد أنْ تصنعَ الآن * قال شتربه: ما ارى الاَّ الاجتهادَ والمجاهَدة في القتال. فانّهُ ليس للمصلّي في صلاتهِ. ولا للمتصدّق في صَدَقتهِ. ولا للورِع في وَرَعهِ من الاجر ما للمجاهِد عن نفسهِ اذا

كانت مجاهدتُهُ على الحقّ * قال دمنه : لا ينبغي لاحدٍ انْ يخاطر بنفسهِ وهو يستطيع غير ذلك . ولكنّ ذا الرايِ جاعلُ القتال آخرَ الحِيَل . وباديُّ قبل ذلك بما استطاع من رِفقٍ وتمحُّل . وقد قيل : لا تحقُرنّ العدوّ الضعيف المَهين . ولاسيّما اذا كان ذا حيلةٍ . ويقدرُ على الأعوان . فكيف بالاسد على جَرآءتهِ وشِدّتهِ * فانّهُ مَن أحقرَ عدوّهُ لضعفهِ . أصابهُ ما اصاب وكيل البحر من الطيطَوَى * قال شتربه : وكيف كان ذلك *

قال دِمْنه : زعموا أنّ طائرًا من طيور البحر يقال لهُ الطيطَوَى كان وَطَنُهُ على ساحل البحر ومعهُ زوجةٌ لهُ * فلمّا جآء اوان تفريخها . قالت الأُنثى للذَّكَر : لو التمسْنا مكانًا حريزًا نفرّخ فيهِ . فانّي اخشى

من وكيل البحر اذا مدَّ المآءُ أَنْ يذهب بفِراخنا * فقال لها : أَفرخي مكانَكِ . فانَّهُ موافقٌ لنا . والمآءُ والزهر منّا قريب * قالت لهُ : يا غافِلُ . ليحسُنْ نظرك . فانّي اخاف وكيلَ البحر أَنْ يذهَب بفِراخنا * فقال لها : أَفرِخي مكانَكِ . فانَّهُ لا يفعل ذلك * فقالت لهُ : ما اشدَّ تعنتك . أَمَا تذكُر وعيدَهُ وتهدُّدهُ ايَّاك . أَلَا تَعرِف نفسك وقَدرك * فأَبي أَنْ يُطيعها * فلمَّا اكثرت عليهِ ولم يسمع قولها . قالت لهُ : إِنَّ مَن لم يسمع قول الناصح . يصيبهُ ما اصاب السُّلَحفاةَ حين لم تسمع قول البَطّتين * قال الذَّكَر : وكيف كان ذلك *

قالت الأُنثي : زعموا أَنَّ غديرًا كان عندهُ عُشب . وكان فيهِ بَطّتان . وكان في الغدير سُلَحفاةٌ . بينها

وبين البَطّتين مَوَدَّةٌ وصَداقة * فاتّفق أَنْ غِيضَ
ذلك الماَء . فجاءت البطّتان لِوداع السُّلحفاة وقالتا :
السلامُ عليكِ . فاننا ذاهبتان عن هذا المكان
لاجل نُقصانِ الماَء عنهُ * فقالت : انّما يَبِين نُقصان
الماَء على مِثْلي التي كأنّي السفينةُ . لا اقدر على العيش
الاّ بالماَء . فامّا انتما فتقدَران على العيش حيثُ كنتما .
فاذهبا بي معكما * قالتا لها : نعم * قالت : كيف
السبيلُ الى حَمْلي * قالتا : ناخُذُ بطَرَفَيْ عودٍ .
وتتعلّقين بوسَطِهِ . ونطير بكِ في الجوّ . وايّاكِ اذا
سمعتِ الناسَ يتكلّمون أَنْ تَنطِقي * ثمّ اخذتاها .
فطارتا بها في الجوّ . فقال الناس : عَجَبٌ . سُلحفاةٌ
بين بَطّتين قد حملتاها * فلمّا سمعت ذلك . قالت :
فقأ الله اعينكم ايّها الناس . فلمّا فتحت فاها بالنُّطق .

وقعت على الارض فماتت * قال الذكر: قد سمعتُ مقالتكِ. فلا تخافي وكيلَ البحر * فلمّا مدّ الماء. ذهب بفراخها. فقالت الأنثى: قد عرفتُ في بدء الامر أنّ هذا كائن. قال الذكر: سوف انتقم منهُ* ثمّ مضى الى جماعة الطير. فقال لهنّ: إنكنّ أخواتي وثقاتي فأعِنّني * قلنَ: ماذا تُريد أنْ نفعل * قال: تجتمعن وتذهبن معي الى سائر الطير. فنشكو اليهنّ ما لَقيتُ من وكيل البحر. ونقول لهنّ: إنكنّ طيرٌ مثلُنا. فأعِنّنا * فقالت لهُ جماعةُ الطير: إنّ العَنقاءَ هي سيدتُنا ومَلِكتنا. فاذهب بنا اليها حتى نَصيح بها. فتَظهَر لنا فنشكو اليها ما نالك من وكيل البحر. ونسألها أنْ تنتقم لنا منهُ بقوّة مُلكِها * ثمّ إنهنّ ذهبن اليها مع الطِيطَوَى. فاستغثنَها وصِحنَ بها * فتراءت

لهنّ. فأخبرنها بقِصّتهنّ. وسألنها أَنْ تَصير معهنّ الى مُحارَبة وكيل البحر. فأجابتهنّ الى ذلك * فلمّا علم وكيل البحر أَنّ العَنقاء قد قصدتهُ في جماعة الطير. خاف من محاربة مَلِكٍ لا طاقَة لهُ بِهِ. فردّ فِراخ الطِيطوَى وصالحهُ. فرجعت العنقاء عنهُ *

وانما حدّثتُك بهذا الحديث لتعلم أَنّ القِتال مع الاسد لا اراهُ لك رايًا * قال شَتْرَبه: فما انا بمقاتِلِ الاسدِ. ولا ناصبٍ لهُ العداوة سرًّا ولا علانيَةً. ولا متغيّرٍ لهُ عمّا كنتُ عليهِ حتّى يبدُوَ لي منهُ ما اتخوّف فأُغالبَهُ * فكرِهَ دِمنه قولَهُ. وعلم أَنّ الاسد إِنْ لم يَرَ من الثور العلاماتِ التي كان قد ذكرها لهُ. اتّهمهُ واساءَ بِهِ الظَنّ. فقال دِمنه لشَتْرَبه: اذهب الى الاسد. فستَعرِف حين ينظرُ اليك ما يُريد

منك * قال شتربه : وكيف أَعرِف ذلك * قال دمنه : سترى الاسدَ حين تدخُل عليهِ مُقعِيًا على ذَنَبِهِ رافعًا صدرَهُ اليك . مادًّا بَصَرهُ نحوَك . قد صرَّ أُذُنيهِ وفغر فاهُ واستوى للوثبة * قال شتربه : إنْ رأيتُ هذه العلامات من الاسد . عرَفتُ صِدقك في قوالك *

ثمَّ إنَّ دِمنه لمَّا فرِغ من تحميل الاسد على الشور . والثورِ على الاسد . توجَّه الى كليلة * فلمَّا التقيا . قال كليلة : الى مَ انتهى عملك الذي كنتَ فيهِ * قال دِمنه : قريبًا من الفراغ على ما أُحِبُّ وتُحِبُّ * ثمَّ إنَّ كليلة ودِمنه انطلقا جميعا ليحضَرا قِتال الاسد والثور . وينظُرا ما يجري بينهما ويُعاينِا ما يؤُول اليهِ (عاين) امرُهما * وجاء شَتربه . فدخل على الاسد فرآهُ مُقعِيًا

كما وصفهُ لهُ دِمنه* فقال: ما صاحبُ السُّلطان الاَّ كصاحب الحيَّة التي في مبيتهِ ومَقيلهِ. فلا يَدري متى تَهيج بهِ. ثمَّ إنَّ الاسد نظر الى الثور. فرأى الدَّلالاتِ التي ذكرها لهُ دِمنه. فلم يشُكَّ أنَّهُ جآء لِقتالهِ. فواثبهُ. ونشأ بينهما الحَرْب. واشتدَّ قتال الثور والاسد وطال. وسالت بينهما الدمآء* فلمَّا رأى كايلة أنَّ الأَسد قد بلغ منهُ ما بلغ. قال لدمنه: انَّما السُّلطان بأَصحابهِ. والبحر بأَمواجهِ. وما عِظتي وتأديبي اياك الاَّ كما قال الرجلُ للطائر: لا تلتمسْ تقويمَ ما لا يستقيم. ولا تعالج تأديبَ مَن لا يتأدَّب. قال دِمنه: وكيف كان ذلك*

قال كليله: زعموا أنَّ جماعةً من القِرَدة كانوا سُكَّانًا في جبل. فالتمسوا في ليلةٍ باردةٍ ذاتِ رياحٍ وأَمطارٍ نارًا فلم يجدوا. فرأَوا يرَاعةً تطير كأنَّها شرارةٌ

نارٍ. فظنّوها نارًا. وجمعوا حَطبًا كثيرًا. فالقوهُ عليها وجعلوا ينفُخون طمعًا أَنْ يُوقِدوا نارًا يصطَلُّون بها من البَرْد* وكان قريبًا منهم طائرٌ على شجرةٍ ينظُرون اليهِ وينظر اليهم. وقد رأَى ما صنعوا. فجعل يناديهم ويقول لهم : لا تتعبوا. فانّ الذي رايتموهُ ليس بنار* فلمّا طال ذلك عليهِ. عزم على القُرب منهم لينهاهم عمّا هم فيهِ. فمرّ بهِ رجلٌ فعرَف ما عزم عليهِ. فقال لهُ: لا تلتمس تقويمَ ما لا يستقيم. فانّ الحجر المانع الذي لا ينقطعِ لا تُجرَّب عليهِ السيوف. والعُود الذي لا ينحني لا يُعمل منهُ القوس. فلا تتعب* فابى الطائر أَنْ يُطيعَهُ. وتقدَّم الى القِرَدة ليعرّفهم أَنَّ اليَراعة ليست بنار. فتناولهُ بعضُ القِرَدة فضرب بهِ الارض. فمات* فهذا مَثَلي معك في ذلك. ثمّ قد غلب

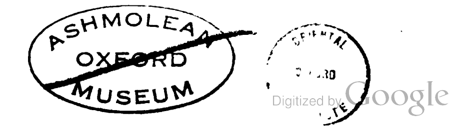
عليك الخبثُ والفجور. وهما خلّتا سوء والخبُّ شرُّهما عاقبةً. ولهذا مثَل* قال دِمنه: وما ذلك المثَل* قال كليله: زعموا إنّ خِبًّا ومغفَّلاً اشتركا في تجارةٍ وسافرا* فبينما هما في الطريق. اذ تخلّف المغفَّل لبعض حاجتهِ. فوجد كيسًا فيهِ الفُ دينار فاخذهُ. فأحسَّ بهِ الخِبُّ. فرجعا الى بلدهما. حتّى اذا دَنَوَا من المدينة. قعدا لاقتسام المال* فقال المغفَّل: خُذ نصفها. وأعطِني نصفها. وكان الخِبُّ قد قرَّر في نفسهِ أنْ يذهب بالالف كلّها* فقال لهُ: لا نقتسِمْ. فانَّ الشِركة والمفاوضة اقربُ الى الصفآء والمخالطة. ولكنْ آخُذُ نفقةً وتأْخُذ مِثلَها. وندفِن الباقيَ في اصل هذه الشجرة. فهو مكانٌ حريزٌ. فاذا احتجنا. جئنا انا وانت. فناخُذ حاجتنا منهُ. ولا يعلم بموضعنا احد*

فاخذا منها يسيرًا. ودفنا الباقي في اصل دَوْحة. ودخلا البلد * ثمّ إنّ الخِبّ خالف المغفّل الى الدنانير فاخذها. وسوّى الارضَ كما كانت. وجاء المغفّل بعد ذلك بأشهرٍ. فقال للخِبّ: قد احتجتُ الى نفقةٍ فانطلقْ بنا ناخذْ حاجتنا * فقام الخبُّ معهُ وذهبا الى المكان. فحفرا فلم يجِدا شيئًا * فاقبل الخِبُّ على وجه المغفّل يلطِمهُ ويقول: لا تغترَّ بصُحبة صاحبٍ. خالفتني الى الدنانير فاخذتَها * فجعل المغفّل يحلِف ويلعن آخِذَها. ولا يزداد الخِبُّ الّا شِدّةً في اللطم وقال: ما اخذها غيرُك. وهل شعرَ بها احدٌ سِواك * ثمّ طال ذلك بينهما. فترافعا الى القاضي. فاقتصّ القاضي قِصّتهما. فادّعى الخبُّ أنّ المغفّل اخذها. وجحد المغفّل * فقال للخِبّ: أَلَكَ على

دعواك بينة. قال: نعم. الشجرةُ التي كانت الدنانيرُ
عِندها تشهد لي أنّ المغفّل اخذها * وكان الخِبُّ
قد امر اباهُ أنْ يذهب فيتوارى في الشجرة بحيثُ
اذا سُئلت. اجاب. فذهب ابو الخِبّ فدخل جوفَ
الشجرة * ثمّ إنّ القاضيَ لمّا سمع ذلك من الخِبّ.
اكبرهُ وانطلق هو واصحابهُ والخِبُّ والمغفّل معهُ. حتى
وافى الشجرةَ. فسألها عن الخبر. فقال الشيخ من
جوفها: نعم إنّ المغفّل اخذها * فلمّا سمع القاضي
ذلك. اشتدّ تعجّبهُ. فدعا بحَطَبٍ. وأمر أنْ تُحرَق
الشجرة * فأُضرمت حولها النيران. فاستغاث ابو
الخِبّ عند ذلك. فأُخرج وقد أشرف على الهلاك *
فسألهُ القاضي عن القِصّة. فأخبرهُ بالخبر. فاوقع
بالخِبّ ضربًا وبأبيهِ صَفعًا. واركبهُ مشهورًا. وغرِم

الخِبُّ الدنانير. فاخذها واعطاها المغفَّل *

وإنَّما ضربتُ لك هذا المَثَل لتعلم أنَّ الخَبَّ والخديعة ربَّما كان صاحبها هو المغبون * وإنك يا دِمنه جامعٌ للخَبِّ والخديعـة والفجور. وإنِّي اخشى عليك ثمرةَ عملك مع أنَّك لستَ بناجٍ من العقوبة. لانَّك ذو لونين ولسانين * وإنَّما عُذوبة ماء الانهر ما لم تبلُغْ الى البحار. وصَلاحُ اهل البيت ما لم يكن فيهم المفسِد. وإنَّهُ لا شيء اشبهُ بك من الحيَّة ذات اللِسانين التي فيها السمُّ. فانَّهُ قد يَجري من لسانك كسَمِّها * وإنِّي لم ازَلْ لذلك السمِّ من لِسانك خائفًا ولِمَا يحُلُّ بك متوقِّعًا. والمفسِدُ بينَ الإخوان والأصحاب كالحيَّة يربيها الرجل ويطعمها ويمسحها ويُكرِمها. ثمَّ لا يكون لهُ منها غيرُ اللدغ * وقد يقال:



الزمْ ذا العقل وذا الكرم واسترسلْ اليهما . وإيّاك ومفارقتَهما. واصحبِ الصاحبَ اذا كان عاقلاً كريماً او عاقلاً غير كريم .فالعاقل الكريم كامل. والعاقلَ غيرَ الكريم اصحبهُ وإِنْ كان غيرَ محمود الخليقة . واحذرْ من سوء أخلاقهِ وانتفع بعقلهِ *والكريمَ غيرَ العاقل الزمهُ . ولا تدَع مواصلتهُ وإِنْ كنتَ لا تحمدَ عقلهُ. وانتفع بكرمهِ. وانفعهُ بعقلك *والفرارَ كلَّ الفرارِ من اللئيم الاحمق. وإِنّي بالفِرار منك لجديرٌ *وكيف يرجو إِخوانُك عندك كرمًا ووُدًّا وقد صنعتَ بملِكك الذي اكرمك وشرّفك ما صنعتَ* وإنّ مَثَلَك مَثَلُ التاجر الذي قال أنّ ارضًا تأكُلُ جُرذانُها مائةَ منٍّ حديدًا ليس بمستنكرٍ لبُزاتها أنْ تختطف الفِيلَة .قال دِمنه: وكيف كان ذلك *

قال كليله : زعموا أَنَّهُ كان بارضٍ كذا تاجرٌ. فاراد الخروج الى بعض الوجوه لابتغاء الرِزق * وكان عندهُ مائةُ مَنٍّ حديدًا . فاودعها رجلاً من إخوانِهِ . وذَهب في وجهِهِ * ثمَّ قَدِم بعد ذلك بمُدّة . فجآء والتمس الحديد . فقال لهُ : إِنَّهُ قد اكلتهُ الجُرذان . فقال : قد سمعتُ أنَّهُ لا شيء اقطعُ من أنيابها للحديد . ففرِح الرجل بتصديقهِ على ما قال وادّعى * ثمَّ إنَّ التاجر خرج . فلَقِيَ ابنًا للرجل . فأخذهُ وذهب بهِ الى منزِلهِ . ثمَّ رجع اليهِ الرجل من الغد فقال لهُ : هل عِندك عِلمٌ بابني * فقال لهُ التاجر : إِنّي لمَّا خرجتُ من عندك بالامس . رايتُ بازيًا قد اختطف صبيًا . فلعلَّهُ ابنك * فلطم الرجلُ على راسهِ وقال : يا قوم هل سمعتم او رأيتم

أنَّ البُزاةَ تختطف الصبيان * فقال: نعم وإنَّ ارضًا تأكل جُرذانها مائةَ مَنٍّ حديدٍ ليس بعجبٍ أنْ تختطف بُزاتُها الفِيَلة . قال له الرجل: انا اكلتُ حديدك وهذا ثمنهُ . فأرْدُدْ عليَّ ابني *

وانّما ضربتُ لك هذا المَثَل لتعلم أنّك اذا غدرتَ بصاحبك. كنتَ لا شكَّ بمن سِواهُ اغدَر. وأنّهُ اذا صاحب احدٌ صاحبًا وغدر بمن سواهُ فقد عَلِم صاحبهُ أنّهُ ليس عِندَهُ للمودّة موضع * فلا شيء اضيعُ من مودّةٍ تُمنَحُ مَن لا وفاءَ له. وجميلٍ يُصطنَع عند مَن لا شُكْر له. وأدبٍ يُحمَل الى مَن لا يتأدّب بهِ ولا يسمعهُ . وسرٍّ يُستودَع عند مَن لا يحفَظهُ * فانَّ صُحبةَ الأخيار تورِث الخير. وصُحبةَ الأشرار تورث الشرّ * كالريح اذا مرّت بالطِيب. حملت

طِيبًا. وإذا مرّت بالنَتْن. حملت نَتْنًا. وقد طال وثَقُل كلامي عليك *

فانتهى كليله من كلامهِ الى هذا المكان. وقد فَرِغ الاسد من اكل الثور* ثمَّ فكر في قتلهِ بعد أنْ قتلهُ وذهب عنهُ الغضب. وقال: لَقد فجعني شَنْزَبه بنفسهِ. وقد كان ذا عقلٍ ورأيٍ وخُلقٍ كريم. ولا أَدري لعلَّهُ كان برِيًّا او مكذوبًا عليهِ. فحَزِن وندِم على ما كان منهُ * وتبيَّن ذلك في وجههِ. وبصُرَ بهِ دِمنه. فترك محاوَرة كليله. وتقدَّم الى الاسد فقال لهُ: أَيهنِك الظَفَر. اذا اهلك الله اعداءَك. فماذا يُحزِنك ايها الملك* قال: انا حزينٌ على عقل شتربه ورأيهِ وأَدبهِ. قال لهُ دِمنه: لا ترحمهُ ايها الملك. فانَّ العاقل لا يرحَمُ مَن يخافهُ. وإنَّ الرجل

الحازم ربَّما ابغض الرجل وكَرِهَهُ ثمَّ قرَّبهُ وادناهُ لِمَا يعلم عندهُ من الغِنى والكِفاية فِعْلَ الرجلِ المتكارِه على الدوآءِ الشنيع رجاءَ منفعتِهِ وربَّما احبَّ الرجلَ واعزَّهُ فاقصاهُ واهلكهُ مخافةَ ضَرَرِهِ. كالذي تلدَغهُ الحيَّة في إِصبعِهِ فيقطعها ويتبرَّأُ منها مخافةَ أَنْ يَسرِي سمّها الى بدَنهِ * فرضي الاسد بقول دمنه. ثمَّ علم بعد ذلك بكِذْبِهِ وغدرِهِ وفجورِهِ. فقتلهُ شرَّ قتلة *

انقضى باب الاسد والثور *

الباب السادس

باب الفحص عن امر دمنه وما كان من معاذيره

قال دَبشَليمُ الملك لبيدَبا الفيلسوف: قد حدَّثتني عن الواشي الماهرِ بالمحال. كيف يُفسِدُ بالنميمة المودَّة الثابتة بين المتحابين. فحدِّثني حينئذٍ بما كان من حال دِمنه وما آلَ امرهُ اليهِ بعد قتل شَترَبه وما كان من معاذيرهِ عند الاسد وأصحابهِ حين راجع الاسدُ رأيَهُ في الثور وتحقق النميمة من دمنه. وما كانت حُجَّتهُ التي احتجَّ بها* قال الفيلسوف: انا وجدتُ في حديث دِمنه أنَّ الاسد حين قتل شَتربه. ندم على قتلهِ. وذكرَ قديمَ صُحبتهِ وجسيمَ خِدمتهِ. وأنَّهُ كان أكرمَ اصحابهِ عليهِ واخصَّهم منزلةً لديهِ. واقربهم وادناهم اليهِ. وكان يواصل بهِ المَشورةَ

دون خَواصّهِ * وكان من أَخَصّ أَصحابهِ عندَهُ بعد الثورِ النمرُ . فاتّفق أَنّهُ امسى النمر ذاتَ ليلةٍ عند الاسد . فخرج من عندهِ جوفَ الليل يُريد منزِلَهُ . فاجتاز على منزِل كليله ودِمنه * فلمّا انتهى الى الباب . سمع كليله يعاتِبُ دِمنه على ما كان منهُ . ويلومهُ على النميمة واستعمالها خصوصًا مع الكَذِب والبُهْتان في حقّ الخاصّة . وعَرَف النمرُ عِصيانَ دِمنه وتَرْكَ القَبول لهُ . فوقَفَ يستمع ما يجري بينهما * فكان في ما قال كليله لدِمنه : لقد ارتكبتَ مَرْكَباً صَعْباً . ودخلتَ مدخَلاً ضيّقًا . وجنيتَ على نفسِك جِنايةً مُوبِقةً . وعاقبتُها وخيمةٌ . وسوف يكون مصرَعُك شديدًا اذا انكشف للاسد امرك واطّلع عليهِ . وعرَف غدرَك ومِحالك . وبقيتَ لا ناصرَ لك * فيجتمع عليك الهوانُ

والقتل مخافةَ شرِّك وحذَرًا من غوائلك . فلستُ بمتّخذك بعدَ اليوم خليلاً . ولا مُفْشٍ اليك سِرًّا . لانّ العلماء قد قالوا : نباعَدْ عن مَن لا رَغبةَ فيهِ . وانا جديرٌ بمباعَدتك والتماس الخلاص لي ممّا وقع في نفس الاسد من هذا الامر * فلمّا سمع النمر هذا من كلامهما . ذهب راجعًا فدخل على أمّ الاسد . فأخذ عليها العهود والمواثيق أنّها لا تُفشي ما يُسِرّ اليها * فعاهدتهُ على ذلك . فأخبرها بما سمع من كلام كليلة ودمنه * فلمّا اصبحت . دخلت على الاسد . فوجدتهُ كئيبًا حزينًا مهمومًا لِمَا ورد عليهِ من قتل شترْبه . فقالت لهُ : ما هذا الهمّ الذي قد اخذ منك وغاب عليك * قال : يحزِنني قتلُ شتربه اذ تذكّرتُ صُحبتهُ ومواظبتهُ على خِدمتي . وما كنتُ اسمع من نصيحتهِ

واسكُن اليهِ من مشاورتهِ . وأَقبل من مناصحتـهِ *
قالت أمُّ الاسد : إِنَّ اشدَّ ما شهِد امرؤٌ على نفسهِ .
وهذا خطأٌ عظيم كيف اقدمتَ على قتل الثور بلا
علمٍ ولا يقين . ولولا ما قالت العلماءُ في إِذاعة
الأسرار . وما فيها من الإِثم والشنار . لَذكرتُ لك
واخبرتُك بما علمتُ * قال الاسد : إِنَّ أَقوال العلماء
لها وجوهٌ كثيرةٌ ومعانٍ مختلفة . وإِنّي لأَعلم صَوابَ
ما تقولين . وإِنْ كان عندكِ رأيٌ . فلا تَطويهِ عنّي .
وإِنْ كان قد أَسرَّ اليك احدٌ سِرًّا . فأَخبريني بهِ
وأَطلعيني عليهِ وعلى جُملة الامر * فاخبرتهُ بجميع ما
القاهُ اليها النمر من غير أَنْ تُخبرَهُ باسمهِ . وقالت :
إِنّي لم اجهلْ قولَ العلماءِ في تعظيم العقوبة وتشديدها
وما يدخُل على الرجل من العار في اذاعة الأَسرار .

ولكنّي احببتُ ان اخبرك بما فيهِ المصلحة لك • وإن وصل خطأهُ وضررهُ الى العامّة . فإصرارهم على خيانة الملك ممّا لا يدفع الشرّ عنهم . وبهِ تحتجّ السفهاء ويستحسنون ما يكون من أعمالهم القبيحة . واشدّ معارهم إقدامُهم على ذي الحزم *

very corrupt (MS.)

فلمّا قضت أمّ الاسد هذا الكلام . استدعى أصحابهُ وجندهُ . فدخلوا عليهِ . فلمّا وقف دِمنه بين يدي الاسد ورأى ما هو عليهِ من الحُزن والكآبة . التفت الى بعض الحاضرين فقال: ما الذي حدث . وما الذي احزن الملك * فالتفتت أمّ الاسد اليهِ وقالت: قد احزن الملكَ بقاؤك ولو طرفةَ عين . ولن يدعك بعدَ اليوم حيّاً * قال دِمنه: ما ترك الأوّلُ للاخير شيئاً . لانّهُ يقال: اشدّ الناس في توقّي الشرّ

بصيبهُ الشرّ قبل المستسلم. فلا يكوننّ المَلِكُ وخاصتهُ وجنودهُ المثَل السوء * وقد علمتُ أنهُ قد قيل: مَن صَحِبَ الأشرار وهو يعلم حالهم. كان أذاهُ من نفسهِ * ولذلك انقطعت النُّسّاك بانفسها عن الخَلق. واختارت الوَحدةَ على المخالطة. وحُبَّ العمل لله على حُبّ الدنيا واهلها * ومَن يجزيِ بالخير خيرًا وبالإحسان احسانًا الاّ الله * ومَن طلب الجزآء على الخير من الناس. كان حقيقًا أنْ يحظَى بالحِرمان. اذ يُخطِئُ الصَّواب في خلوص العمل لغير الله وطلب الجزآء من الناس * وإنْ احقّ ما رغبتْ فيهِ رعيةُ المَلِك هو محاسنُ الاخلاق ومواقعُ الصَّواب وجميلُ السِّيَر * ومُرادي بذلك أنْ لا يعجَلُ المَلِك في امري بشُبهةٍ. ولستُ اقول هذا كَراهةَ للموت. فانهُ وانْ

ادعو عليهم

here comes story of ... by ... servant [illegible]

كان الموت كريهًا. فلا منجَى منهُ. وكلّ حيّ هالك. ولو كانت لي مائةُ نفس وعلمتُ أنّ هَمّ المَلِكِ في إتلافهنّ. طِبتُ لهُ بذلك نفسًا * فقال بعض الجُند: لم ينطِقْ بهذا لِحُبّهِ للمَلِك. ولكنْ لخلاص نفسِهِ والتماس العُذر لها * فقال لهُ دِمنه: ويلَك. وهل عليّ في التماس العُذر لنفسي عيبٌ. وهل احدٌ اقربُ الى الانسان من نفسِهِ واذا لم يلتمس لها العُذر. فمن يلتمسهُ * لقد ظهر منك ما لم تكن تمِلكُ كِتمانَهُ من الحسد والبَغضاء. ولقد عرَف من سمِع منك أنّك لا تُحِبُّ لاحد خيرًا. وأنّك عدوُّ نفسك. فمن سِواها بالأَوْلى * فمِثلُك لا يصلُح أنْ يكون مع البهائم فضلاً عن أنْ يكون مع المَلِك وأنْ يكون ببابِهِ * فلمّا اجابهُ دِمنه بذلك.

خرج مكتئبًا حزينًا مستحيًا * فقالت أُمّ الاسد لدِمنه:
لقد عَجِبتُ منك ايّها المحتال في قِلّة حيائك وكَثرة
قِحتك وسُرعة جوابك لمن كلّمك * قال دِمنه: لانّكِ
تنظُرين اليّ بعينٍ واحدة. وتسمعين منّي بأُذُنٍ واحدة
مع أَنّ شَقاوةَ جَدّي قد زَوَت عنّي كلَّ شيء. حتّى
لقد سَعَوْا الى المَلِكِ بالنميمة عليَّ * ولقد صار من
بباب الملك لاستخفافهم بهِ وطُول كَرامتهِ ايّاهم وما هم
فيهِ من العيش والنِعمة لا يدرُون في ايّ وقت ينبغي
لهم الكلام. ولا متى يجِب عليهم السكوت * قالت: أَلَا
تنظُرون الى هذا الشقيّ مع عِظَم ذنبهِ. كيف يجعل
نفسهُ بريئًا كمن لا ذنب لهُ * قال دِمنه: إِنّ الذين
يعملون غير أَعمالهم ليسوا على شيء. كالذي يضع الرماد
موضِعًا ينبغي أَنْ يضع فيهِ الرمل. ويستعمل فيهِ

السرجين . وكالرجل الذي يلبس لباس المرأة والمرأة
التي تلبس لباس الرجل . والضيف الذي يقول : انا
ربّ البيت . والذي ينطق بين الجماعة بما لا يسأل
عنهُ * وإنما الشقيّ من لا يعرف الامور ولا احوال
الناس . ولا يقدر على دفع الشرّ عن نفسهِ . ولا
يستطيع ذلك * قالت أمّ الاسد : اتظنّ ايها الغادر
المحتال أنك بقولك هذا تخدع الملك فلا يسجنك *
قال دمنه : الغادر الذي لا يأمن عدوهُ مكرهُ . واذا
استمكن من عدوهِ . قتلهُ على غير ذنب * قالت أمّ
الاسد : أيها الغادر الكذوب اتظنّ أنك ناجٍ من
عاقبة كذبك . وأنّ محالك هذا ينفعك مع عظم
جرمك * قال دمنه : الكذوب الذي يقول ما لم
يكن . ويأتي بما لم يُقل ولم يُفعل . وكلامي واضح مبين *

قالت أمُّ الاسد: العلماءَ منكم هم الذين يوضّحون امرهُ بفصل الخِطاب *

ثمَّ نهضت فخرجت. فدفع الاسد دِمنه الى القاضي * فامر القاضي بحبسهِ. فالقي في عُنقِهِ حبلٌ. وانطُلق بهِ الى السّجن * فلمّا انتصف الليل. أُخبر كليله أنّ دِمنه في الحبس. فأتاهُ مستخفيًا * فلمّا رآهُ وما هو عليهِ من ضيق القيود وحَرَج المكان. بكَى وقال لهُ: ما وصلتَ الى ما وصلتَ اليهِ الاّ لاستعمالك الخديعةَ والمَكْرِ وإضرابك عن العِظة. ولكن لابدّ لي فيما مضى مِن إنذارك والنصيحة لك والمسارَعة اليك في خلوص الرَّغبة فيك * فانهُ لكلّ مَقامٍ مَقال. ولكلّ موضعٍ مجَال * ولو كنتُ قصّرتُ في عِظتك حين كنتَ في عافية. لكنتُ اليومَ شريكك

في ذنبك. غيرَ أنَّ العجْبَ دخل منك مدخَلاً فهر رأيك وغلب على عقلك. وكنتُ اضرِب لك الأَمثال كثيرًا. واذكّرك قول العلماء. وقد قالت العلماء أنَّ المحتال يموت قبل أجَلهِ * قال دِمنه: قد عرَفتُ صِدْقَ مقالتك. وقد قالت العلماء: لا تجزَعْ من العذاب اذا وقفتَ منك على خطيئة. ولأَنْ تُعذَّب في الدنيا بجُرمك خيرٌ من أنْ تُعذَّب في الآخِرة بجهنَّم مع الإِثم * قال كليله: قد فهمتُ كلامَك. ولكنَّ ذنبك عظيمٌ وعِقابَ الاسَد شديدٌ اليم * وكان بقُربهما في السِّجن فهدٌ معتقَل. يسمع كلامهما ولا يرَيانهِ. فعرَف معُاتبة كليله لدِمنه على سوءِ فعلهِ وما كان منهُ. وأنَّ دِمنه مقِرٌ بسوءِ عملهِ وعظيم ذنبهِ. فحفِظ المحاورة بينهما وكتمها ليشهَد بها إنْ سُئل

عنها * ثمَّ إنَّ كليلة انصرف الى منزلهِ *

ودخلت أُمُّ الاسد حين اصبحت على الاسد . فقالت لهُ : يا سيِّدَ الوحوش حوشيتَ أَنْ تنسى ما قُلتَ بالامسِ . وأَنَّك امرتَ بهِ لوقتهِ وارضيتَ بهِ ربَّ العباد * وقد قالت العلمآء : لا ينبغي للانسان أَنْ يتوانى في الجِدِّ للتقوي . بل لا ينبغي أَنْ يُدافع عن ذنب الاثيم * فلمَّا سمع الاسد كلامَ أُمِّهِ . امر أَنْ يُحضَر النمر وهو صاحب القضآء * فلمَّا حضر . قال لهُ ولجَوَاش العادل : إجلسا في موضع الحُكم . ونادِيا في الجُند صغيرِهم وكبيرِهم أَنْ يحضروا وينظُروا في حال دِمنه . وابحثوا عن شانهِ . وافحصوا عن ذنبهِ . وثبِّتوا قولهُ وعُذرهُ في كُتُب القضآء . وارفعا اليَّ ذلك يومًا فيومًا * فلمَّا سمع النمر وجَواشُ العادل .

(وكلمن هذا الجولش عمّ الاسد) قالا: سمعًا وطاعةً لِما امر الملك وخرجا من عنده. فعملا بمقتضى ما امرها بهِ. حتّى اذا مضى من اليوم الذي جلسوا فيهِ ثلاثُ ساعاتٍ. امر القاضي أنْ يُؤتَى بدِمنه *فأُتي بهِ. فأُوقف بين يديهِ والجماعة حضور. فلمّا استقرّ بهِ المكان. نادي سيّدُ الجمع باعلى صوتهِ: ايّها الجمع إنّكم قد علمتم أنّ سيّدَ السباع لم يزَلْ منذُ قتَل شتربه خاسرَ النفس كثيرَ الهمّ والحزْن، يرى أنَّهُ قد قتَل شتربه بغير ذنب. وأنّهُ اخذهُ بكذبِ دِمنه ونميمتهِ *وهذا القاضي قد أُمر أنْ يجلسَ مجلس القضاء. ويبحثَ عن شان دمنه. فمن علم منكم شيئًا في امر دمنه من خيرٍ او شرٍّ. فليقُلْ ذلك. وليتكلّم بهِ على رؤوس الجمع والأشهاد. ليكونَ القضاءُ في امرهِ

بحَسَب ذلك * فاذا استوجب القتلَ . فالتثبّت في امره اولى . والعَجَلة من الهوى . ومتابَعة الأَصحاب على الباطل ذِلٌّ * فعندها قال القاضي : ايّها الجمع اسمعوا قولَ سيّدكم . ولا تكتموا ما عرفتم من امر دمنه . واحذَروا في السِتر عليهِ ثلاثَ خِصالٍ : أَمّا إِحداهنّ وهي افضلهنّ أَلّا تزدرُوا فِعلهُ ولا تعدُّوهُ يسيرًا . فمن اعظم الخطايا قتلُ البريّ والذي لا ذنبَ لهُ بالكَذِبِ والنميمة . ومَن عَلِم من امر هذا الكذّاب الذي اتّهم البريء بكِذبهِ ونميمتهِ شيئًا فستر عليهِ . فهو شريكهُ في الإِثم والعقوبة * والثانيةُ : أَنّهُ اذا اعترف المذنِبُ بذنبهِ . كان اسلمَ لهُ . والأَحرى للملك وجندهِ أَنْ يعفُوا عنهُ ويصفحوا * والثالثة تركُ مراعاة اهل الذَّمِّ والفُجور وقطعُ أَسباب مواصَلاتهم

ومودّاتهم عن الخاصّة والعامّة. فمن علم من امر هذا المحتال شيئًا. فليتكلمْ بهِ على رؤوس الأشهاد ممّن حضر ليكونَ ذلك حُجّةً * وقد قيل: إنّهُ مَن كتم شَهادة ميتٍ - أُلجم بلجامٍ من نارٍ يوم القيمة. فليقلْ كلُّ واحد منكم ما علم * فلمّا سمع ذلك الجمعُ كلامَهُ. امسكوا عن القول. فقال دِمنه: ما يُسكتكم. تكلّموا بما علمتم. وأعلموا أنّ لكلّ كلمةٍ جوابًا. وقد قالت العلماء: مَن يشهد بما لم يرَ. او يقُلْ ما لا يعلم. اصابهُ ما اصاب الطبيبَ الذي قال لِمَا لا يعلمهُ إنّي اعلمهُ. قالت الجماعة: وكيف كان ذلك *

قال دِمنه: زعموا أنّهُ كان في بعض المُدُن طبيبٌ لهُ رِفقٌ وعِلمٌ. وكان ذا فِطنةٍ في ما يَجري على يديهِ من المعالجات. فكبُرَ ذلك الطبيب وضَعُفَ بَصَرُهُ *

وكان لملك تلك المدينة ابنة قد زوّجها لابنِ اخٍ له . فعرض لها ما يعرِض للحوامل من الاوجاع . فجيء بهذا الطبيب * فلمّا حضر . سأل الجارية عن وجعها وما تجد . فاخبرتهُ . فعرف داءَها ودواءَها . وقال : لو كنتُ أبصِرُ . لجمعتُ الأخلاط على معرفتي بأجناسها . ولا أثِقُ في ذلك بأحدٍ غيري * وكان في المدينة رجلٌ سفيهٌ . فبلغهُ الخبر . فأتاهم وادّعى علم الطبّ . واعلمهم أنّهُ خبيرٌ بمعرفة أخلاط الادوية والعقاقير . عارفٌ بطبائع الادوية المركّبة والمفردة * فأمرهُ الملك أنْ يدخل خِزانة الادوية . فيأخذَ من أخلاط الدواء حاجتهُ * فلمّا دخل السفيه الخِزانة وعُرضت عليهِ الادوية . وهو لا يدري ما هي . ولا لهُ بها معرفة . فأخذ في جُملة ما اخذ منها صرّةً فيها

سَمٌّ قاتلٌ لوقتهِ . وخلطهُ في الادوية . وهو لا علم لهُ بهِ . ولا معرفةَ عندهُ بجنسهِ * فلمَّا تمَّت أخلاط الادوية. سقى الجاريةَ منهُ . فماتت لوقتها * فلمَّا عرف المَلِكُ ذلك. دعا بالسفيه فسقاهُ من ذلك الدوآء. فمات من ساعتهِ * وانَّما ضربتُ لكم هذا المَثَل لتعلموا ما يدخُل على القائلِ والعامل من الزلَّة بالشُبهة في الخروج عن الحدّ فمَنْ خرج منكم عن حدّهِ . اصابهُ ما اصاب ذلك الجاهلَ ونفسهُ الملومة . وقد قالت العلمآء : رُبَّما جُزي المتكلّم بقولهِ . والكلام بين ايديكم . فآنظروا لانفسكم *

فتكلَّم سيّدُ الخنازير لإِدلالهِ ونيهِ بمنزلتهِ عند الاسد فقال : يا اهل الشَّرف من العلمآء آسمعوا مَقالتي . وَعُوا بأَحلامكم كلامي : فالعلمآء قالوا في

شان الصالحين أنّهم يُعرَفون بسيمآئهم . وانتم معاشرَ ذوي الاقتدار بحُسن صُنع الله لكم وتَمام نِعْمتهِ لديكم تعرِفون الصالحين بسيمآئهم وصُوَرهم وتَخبُرون الشيء الكبير بالشيء الصغير * وهاهنا اشيآء كثيرةٌ تدلُّ على هذا الشقيّ دِمنه وتُخبِر عن شرِّهِ . فاطلبوها على ظاهر جِسمِهِ . لتستيقنوا وتسكُنوا الى ذلك * قال القاضي لسيّد الخنازير : قد علمتُ وعَلِم الجماعةُ الحاضرون أنّك عارفٌ بما في الصُّوَر من علامات السوء . ففسِّر لنا ما تقول . وأطلِعْنا على ما ترى في صورة هذا الشقيّ * فاخذ سيّد الخنازير يذُمّ دمنه . وقال : إنّ العلمآء قد كتبوا واخبروا أنّهُ مَن كانت عينهُ اليُسرى اصغرَ من عينهِ اليمنى وهي لا تزال تختلج وكان أنفهُ مائلاً الى جنبهِ الايمن . فهو شقيٌّ

خبيثٌ. جامعٌ للخَبَثِ والفجور * فلمّا سمع دمنه ذلك. قال: شأنكَ عجبٌ ايها القَذِرُ ذو العلاماتِ الفاضحة القبيحة. ثمَّ العَجَب من جرآءتك على طَعام الملك وقيامك بين يديهِ مع ما بجِسمكَ من القَذَر والقُبْح ومع ما تَعرِفهُ انت ويعرِفهُ غيرك من عيوب نفسك. أَفتتكلَّم في النقيِّ الجِسم الذي لا عيبَ فيهِ * ولستُ انا وحدي أَطّلع على عيبك. لكنْ جميع مَن حضَر قد عرَف ذلك * وقد كان يحجُزني عن إظهارهِ ما بيني وبينك من الصَّداقة. فأمَّا اذ قد كذبتَ عليَّ وبَهَتني في وجهي وقمتَ بعداوتي فقلتَ ما قلتَ فيَّ بغير عِلمٍ على رؤوس الحاضرين. فانّي اقتصر على إظهار ما أعرِف من عيوبك وتَعرفهُ الجماعة. وحقٌّ على مَن عرفك حقَّ معرفتك أنْ يمنع الملك من

استعمالِهِ اياك على طَعامِهِ * فلو كُلِّفتَ ان تعمل الزِّراعة . لكنتَ جديرًا بالخذلان فيها . فالأَحْرى بك أَنْ لا تدنو الى عملٍ من الأَعمال . وأَنْ لا تكونَ دبَّاغًا ولا حجَّامًا لعلفيٍّ فضلاً عن خاصّ خِدمة الملك * قال سيّد الخنازير : اتقول لي هذهِ المَقالة وتلقاني بهذا الملقى * قال دمنه : نَعَمْ وحقًّا قلتُ فيك . وإيَّاك أَعني ايها الاعرج المكسور الساق . الافدع الرِّجل . المنفوخ البطن . الافلح الشَّفتين . السيّء المنظر والمَخبَر * فلمَّا قال ذلك دمنه . تغيَّر وجهُ سيّد الخنازير . واستعبر واستحيا . وتلجلج لسانهُ . وأَستكان وفَتَرَ نشاطهُ * فقال دمنه حين رأى انكسارَهُ وبكاءَهُ : انَّما ينبغي أَنْ يطولَ بكاؤُك اذا اطَّلع الملك على قَذَرك وعيوبك . فعزلك عن طَعامِهِ . وحال

بينك وبين خِدمتِهِ . وابعدك عن حضرتِهِ *

ثمَّ إنَّ شعهرًا كان الاسد قد جرَّبهُ . فوجد فيهِ أمانةً وصِدقًا . فرتَّبهُ في خدَمهِ . وامرهُ أنْ يحفظ ما يجري بينهم ويُطلِعهُ على ذلك * فقام الشعهر فدخل على الاسد . فحدَّثهُ بالحديث كلِّهِ على جليَّتهِ * فامر الاسد بعزل سيِّد الخنازير عن عملِهِ . وأمر أنْ لا يدخُلَ عليهِ ولا يرى وجههُ . وأمر بدِمنه أنْ يُسجَن وقد مضى من النهار اكثرهُ . وجميع ما جرى وقالوا وقال قد كُتب وخُتم عليهِ بخاتم النمر . ورجع كلُّ واحدٍ منهم الى منزلِهِ *

ثمَّ إنَّ شعهرًا كان يقال لهُ رُوزبه كان بينهُ وبين كليله إخاءٌ ومودَّة . وكان عند الاسد وجيهًا وعليهِ كريمًا * واتَّفق أنَّ كليله اخذهُ الوَجد إشفاقًا وحذرًا

عليَ نفسهِ واخيهِ . فمرض ومات . فانطلق هذا الشعهر الى دِمنه . فاخبرهُ بموت كليله . فبكى وحزِن وقال: ما اصنع بالدنيا بعد مُفارقة الاخ الصفيّ . ولكنْ احمدُ اللهَ تعالى حيث لم يُمتْ كليله حتّى ابقى لي من ذوي قرابتي اخًا مِثلَك . فانّي قد وَثِقتُ بنعمة الله تعالى وإحسانهِ اليَّ في ما رأيتُ من اهتمامك بي ومراعاتك لي . وقد علمتُ أنّك رجائي ورُكني في ما انا فيهِ * فأُريد من إنعامك أنْ تنطلق الى مكانٍ كذا . فتنظُرَ الى ما جمعتهُ انا واخي بحيلتنا وسَعيِنا ومشيئة الله تعالى فتأتيَني بهِ * ففعل الشعهر ما امرهُ بهِ دِمنه . فلمّا وضع المال بين يديهِ . اعطاهُ شَطرَهُ . وقال لهُ : إنّك على الدخول والخروج على الاسد أَقدَرُ من غيرك . فتفرّغ لشاني . واصرِف اهتمامك اليَّ . واسمع

ما أُذكَرُ بهِ عند الاسد اذا رُفِع اليهِ ما يجري بيني
وبين الخَصوم . وما يبدو من أُمّ الاسد في حقّي . وما
ترى من مُتابَعة الاسد لها ومخالفتهِ ايّاها في امري .
واحفظ ذلك كلّهُ * فاخذ الشعهر ما اعطاهُ دِمنه .
وانصرف عنهُ على هذا العهد . فانطلق الى منزلهِ .
فوضع المال فيهِ *

ثمّ إنّ الاسد بكّر من الغد . فجلس حتّى اذا مضى
من النّهار ساعتان . آستاذن عليهِ أَصحابهُ . فأذِن لهم *
فدخلوا عليهِ . ووضعوا الكتاب بين يديهِ . فلمّا
عرَف قولهم وقول دمنه . دعا أُمّهُ . فقرأ عليها ذلك *
فلمّا سمعت ما في الكتاب . نادَتْ باعلى صوتها : إِنْ
انا اغلظتُ في القول . فلا تَلُمني . فانّك لستَ تعرِف
ضُرّك من نفعك . اليس هذا ممّا كنتُ انهاك عن

سَماعهِ. لانهُ كلامُ هذا المُجرِمِ المسيء الينا الغادرِ بذِمتنا * ثم إنها خرجت مغضبةً. وذلك بعين الشهر الذي آخاهُ دِمنه وبسمعهِ جميعَ ما قالت أمُّ الاسد * فخرج في أثرها مسرعًا. حتى اتى دمنه. فحدَّثهُ بالحديث * فبينما هو عندهُ. اذ جاء رسولٌ. فانطلق بدِمنه الى المجمع عند القاضي * فلمَّا مثُل بين يدي القاضي. أستفتح سيّدُ المجلس فقال: يا دِمنه قد أنبأني بخبرك الامينُ الصادق. وليس ينبغي لنا أنْ نفحص عن شانك اكثر من هذا. لانَّ العلماء قالوا أنَّ الله تعالى جعل الدنيا سببًا ومِصداقًا للآخرة. لانها دارُ الرُسُل والانبياء الدالّين على الخير. الهادين الى الجنَّة. الداعين الى معرفة الله تعالى * وقد ثبت شانُك عندنا. واخبرَنا عنك من وثِقنا بقوله * الآ

أَنَّ سيّدَنا أمرَنا بالعَوْد في امرك والفحصِ عن شأنك وإن كان عندنا ظاهرًا بيّنًا * قال دِمنه : اراك ايها القاضي لم تتعوّدِ العدلَ في القضاء . وليس في عدل الملوك دفعُ المظلومين ومَن لا ذنبَ لهُ الى قاضٍ غيرِ عادل . بل المخاصمةُ عنهم والذبّ . فكيف ترى أَنْ أُقتلَ ولم اخاصِمْ . وتعجّلُ ذلك موافقةً لهواك . ولم تمضِ بعد ذلك ثلاثةُ أيّام * ولكنْ صَدَقَ الذي قال إنّ الذي تعوّدَ عملَ البرِّ هيِّنٌ عليهِ عَمَلُهُ وإنْ اضرّ بهِ * قال القاضي : إنّا نجد في كُتُب الاوّلين أنّ القاضيَ العدلَ ينبغي لهُ أَنْ يعرِف عملَ المُحْسِن والمُسيء ليجازيَ المحسن بإحسانهِ والمسيء بإساءتهِ . فاذا ذهب الى هذا . ازداد المحسنون حِرصًا على الإحسان والمسيئون اجتنابًا للذنوب * والرأي لك يا دمنه

أَنْ تنظرُ الذي وقعتَ فيهِ . وتعترفَ بذنبك ونُقِرّ بهِ وتتوب * فاجابهُ دمنه : إِنَّ صالحي القُضـاةِ لا يقطعون بالظنّ . ولا يعملون بهِ لا في الخاصّة ولا في العامّة . لعلمهم أَنَّ الظنّ لا يُغني عن الحقّ شيئًا * وانتم إِنْ ظَنَنتم أَنّي مجرمٌ في ما فعلتُ . فانّي أَعْلَمُ بنفسي منكم . وعلي بنفسي يقينٌ لا شَكَّ فيهِ . وعِلمكم بي غايةُ الشّك * وانَّما قُبحُ امري عندكم أَنّي سعيتُ بغيري . فما عُذري عندكم اذا سعيتُ بنفسي كاذبًا عليها فأَسلمتُها للقتل والعَطَب . على معرفةٍ منّي ببرَاءَتي وسلامتي ممَّا قُرِفتُ بهِ * ونفسي اعظم الانفس عليَّ حُرمةً واوجبُها حقًّا . فلو فعلتُ هذا بأَقصاكم وادناكم . لَمَا وَسِعني في دِيني . ولا حَسُنَ بي في مروّتي . ولا حقّ لي أَنْ افعلهُ . فكيف افعلهُ بنفسي * فاكففْ ايها القاضي

عن هذه المَقالة • فإنها إنْ كانت منك نصيحةً. فقد اخطأْتَ موضِعَها • وانْ كانت خديعة. فانَّ اقبحَ الخِداع ما نظرتَهُ وعرَفتَ أنَّهُ من غير اهلِهِ. مع أنَّ الخِداعَ والمَكْر ليسا من أعمال صالحي القُضاة ولا ثِقاتِ الوُلاة * واعلم أنَّ قولَكَ مما يتخذهُ الجُهّال والأشرار سُنَّةً يقتدُون بها. لانَّ امور القَضاء يأخذ بصَوابها اهلُ الصواب. وبخطأها اهل الخطأ والباطل والقليلوا الوَرَع * وانا خائفٌ عليك ايها القاضي من مَقالتك هذه اعظمَ الرزايا والبلايا. وليس من البلاء والمَصيبةِ أنَّك لم تزَل في نفسِ المَلِك والجُنْد والخاصّةِ والعامّة فاضلاً في رأيك مُقنعًا في عدلك مَرْضيًا في حكمك وعَفافك وفضلك • وانما البَلاء كيف أُنسيتَ ذلك في امري * أوَما

بلغَك عن العُلَمآء ما قالوا في شان مَنِ ادَّعى عِلمَ ما لا يعلم. وشَهِدَ على الغَيْب • ولا حاجة أَنْ أُطيلَ الكلامَ عليك ايّها القاضي لتزداد عِلمًا بوَخامةِ عاقبةِ الشّهادة بالكَذِب في الدنيا والآخِرة *

فلمّا سمع القاضي ذلك من لفظ دمنه. نهض فرفعهُ الى الاسد على وجههِ. فنظر فيهِ الاسد. ثمّ دعا امّهُ فعرضهُ عليها * فقالت حين تدبّرتْ كلامَ دِمنه للاسد: لَقد صار اهتمامي بما اتخوّف مِن احتيال دمنه لك بمَكْرِهِ ودُهائهِ حتّى يقتلُكَ او يُفسِدَ عليك امرَك اعظمَ من اهتمامي بما سلَف من ذنبهِ اليك في الغِشّ والسِعاية حتّى قتلت صديقَك بغير ذنب * فوقع قولُها في نفسهِ. فقال لها: أَخبِريني عن الذي أَخبرَكِ عن دِمنه بما اخبركِ. فيكون حُجّةً لي في قتلي

Story of the falconer taught to slander master's wife

دمنه * فقالت: لَأَكره أَنْ أُفشِيَ سِرَّ مَنِ استكتمنيهِ . فلا يهنِئني سروري بقتل دمنه اذا تذكّرتُ أَنّي استظهرتُ عليهِ بركوب ما نَهَتْ عنهُ العلماء من كشف السرّ. ولكنّي اطالب الذي استودعَتنيهِ أَنْ يحالِلَني من ذِكرهِ لك ويقومَ هو بعلمهِ وما سمعهُ من دمنه * ثمّ انصرفت وارسلت الى النمر. وذكرت لهُ ما يحقّ عليهِ من تزيين الاسد وحُسْن معاونتهِ على الحقّ وإِخراجِ نفسهِ من الشّهادة التي لا يكتمُها مِثلُهُ مع ما يحقّ عليهِ من نصر المظلومين وتثبيت حُجّة الحقّ في الحيوة والممات * فانّ العلماء قد قالت: مَن كتم حُجّةَ ميتٍ. اخطأ حُجّتهُ يومَ القيامة * فلم تزَل بهِ حتّى قام. فدخل على الاسد . فشهد عِندهُ بما سمع من إِقرار دِمنه * فلمّا شهد النمر بذلك. ارسل الفهدُ

المحبوسُ الذي سمع إقرارَ دمنه وحفظهُ الى الاسد فقال: إنَّ عندي شهادةً * فأخرجوهُ. فشهد على دمنه بما سمع من إقرارهِ * فقال لهما الاسد: ما منعكما أنْ تقوما بشهادتكما. وقد علمتما امرَنا واهتمامَنا بالفحص عن امر دمنه * فقال كلُّ واحدٍ منهما: قد علمنا أنَّ شهادةَ الواحد لا توجب حكمًا. فكرِهْنا التعرُّضَ لغير ما يُمضَى بهِ الحُكْم. حتّى اذا شهد احدنا. قام الآخَر بشَهادتهِ. فقَبِل الاسد قولهما. وامر بدمنه أنْ يُقتَل في حبسهِ. فقُتل اشنعَ قتلةٍ * فمَن نظر في هذا. فليعلم أنَّ مَن اراد منفعة نفسهِ بضُرّ غيرهِ بالخِلابة والمَكر. فانَّهُ سيُجزَى على خِلابتهِ ومكرهِ *

انقضى باب الفحص عن امر دمنه *

الباب السابع

باب الحمامة المطوّقة فهو مَثَل اخوان الصفا

قال دَبْشَليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعتُ مَثَل المتحابَّيْن كيف قطع بينهما الكَذُوب والى ماذا صار عاقبةُ امرهِ من بعد ذلك . فحدّثني إنْ رايتَ عن إخوان الصَّفاء كيف يبتدئ تواصُلهم ويستمتع بعضُهم ببعض * قال الفيلسوف : إنَّ العاقل لا يعدِلُ بالاخوان شيئًا . فالإخوان هم الأعوان على الخير كلّهِ والمؤاسون عند ما ينوب من المكروه * ومن أَمثال ذلك مَثَلُ الحمامة المطوّقة والجُرَذِ والظَّبْيِ والغُراب . قال الملك : وكيف كان ذلك * قال بيدَبا : زعموا أنّهُ كان بارض سكاوَنْدَجينَ عند مدينة داهَرَ مكانٌ كثيرُ الصيدِ ينتابهُ

الصيّادون. وكان في ذلك المكان شجرةٌ كثيرةُ
الأَغصان. ملتفةُّ الورق. فيها وَكْرُ غُراب * فبينما
هو ذاتَ يومٍ ساقطٌ في وَكْرِهِ. اذ بصُر بصيَّادٍ قبيحِ
المنظر سيّئ الخَلْق. على عاتقهِ شبكةٌ. وفي يدهِ عصاً.
مُقبِلاً نحوَ الشجرة. فذُعر منهُ الغُراب وقال: لَقد
ساق هذا الرجلَ الى هذا المكان إِمَّا حِيني وإِمَّا
حِينُ غيري. فلأَثبُتنّ مكاني حتّى انظُرَ ماذا يصنع *
ثمّ إِنّ الصيّاد نصب شَبَكتهُ. ونثر عليها الحَبّ.
وكَمِنَ قريبًا منها * فلم يلبَثْ الّا قليلاً حتّى مرّت بهِ
حمامةٌ يقال لها المطوَّقةُ. وكانت سيّدةَ الحَمَام. ومعها
حَمامٌ كثيرٌ. فعَمِيت هي وأَصحابُها عن الشَّرَك.
فوقعن على الحَبّ بلتقطنَهُ. فعلِقنَ في الشبكةِ
كلُّهنّ. واقبل الصيّادُ فَرِحًا مسرورًا. فجعلت كلُّ

حمامة تضطرب في حبائلها . وتلتمس الخلاصَ
لنفسها * قالت المطوّقةُ : لا تخاذلْنَ في المعالجة .
ولا تكُنْ نفسُ إحداكنّ أهمّ اليها من نفس
صاحبتها . ولكنْ نتعاون جميعًا فنقلع الشبكة . فينجو
بعضُنا ببعض * فقلعتِ الشبكةَ جميعهُنّ بتعاوُنِهنّ .
وعَلَوْن في الجوّ . ولم يقطعِ الصيّادُ رَجاءَهُ منهنّ .
وظنّ أنهنّ لا يجاوِزن الّا قريبًا ويقَعْن * فقال
الغُراب : لَأتبعهُنّ وانظرُ ما يكون منهنّ . فالتفتت
المطوّقة فرأت الصيّاد يتبعهنّ . فقالت للحمام : هذا
الصيّاد مُجِدٌّ في طَلَبكنّ . فإنْ نحن اخذْنا في الفَضاء .
لم يَخْفَ عليهِ امرُنا . ولم يزَل يتبعنا . وإنْ نحن توجّهنا
الى العُمْران . خَفِيَ عليهِ امرنا وانصرف * وبمكانِ
كذا جُرَذٌ هو لي اخٌ . فلو انتهينا اليهِ . قطع عنّا هذا

الشَّرَكَ * ففعلن ذلك . وأَيِسَ الصيَّاد منهنَّ وانصرف . وتبعهنَّ الغُراب * فلمَّا انتهتِ الحمامة المطوَّقة الى الجُرَذ. امرتِ الحمام أَنْ يسقُطْن . فوقعنَ . وكان للجُرَذ مِايَةُ غارٍ للمَخاوِف . فنادتْهُ المطوَّقة باسمِهِ. وكان اسمُهُ زِيرَك * فاجابها الجُرَذ من غارهِ : مَن انت * قالت : انا خليلتك المطوَّقة * فاقبل اليها الجُرَذ يسعَى . فقال لها : ما اوقعكِ في هذه الوَرطة . قالت لهُ : الم تعلمْ أَنَّهُ ليس من الخير والشرّ شيءٌ الاَّ وهو مقدَّرٌ على مَن تُصيبهُ المقادِير . وهي التي اوقعتْني في هذه الورطة . فقد لا يمتنع من القَدَر مَن هو اقوى منّي واعظمُ امرًا . وقد تنكسِفُ الشمس والقمر اذا قُضي ذلك عليهما * ثمَّ إنَّ الجُرَذ اخذ في قَرْض العِقْد الذي فيهِ المطوَّقة . فقالت لهُ المطوَّقة :

ابدأ بقطعِ عِقدِ سائر الحمام. وبعد ذلك أَقبِلْ على عِقدي * فاعادت ذلك عليهِ مِرارًا وهو لا يلتفت الى قولها * فلمَّا اكثرت عليهِ القولَ وكرَّرتهُ. قال لها: لقد كرَّرتِ القولَ عليَّ كأنَّكِ ليس لكِ في نفسكِ حاجةٌ ولا لكِ عليها شَفَقة ولا ترْعَين لها حقًّا * قالت: إنّي اخاف إنْ انتَ بدأتَ بقطع عِقدي أنْ تَملَّ وتكسَلَ عن قطع ما بَقِي. وعرَفتُ أنَّك إنْ بدأتَ بهِنَّ قبلي وكنتُ انا الآخِرةَ. لم ترضَ (وإنْ ادركك الفتورُ) أنْ ابقى في الشَّرَك. قال الجُرَذ: هذا مِمَّا يَزيد الرَّغبةَ والمودَّة فيكِ * ثمَّ إنَّ الجُرَذ اخذ في قرض الشبكة حتَّى فرِغ منها. فانطلقت المطوَّقة وحمامُها معها * فلمَّا رأى الغُراب صُنْعَ الجُرَذ. رغِب في مصادَقتهِ. فجآء وناداهُ باسمهِ.

فأخرج الجُرَذ رأسهُ . فقال لهُ : ما حاجتك . قال : إنّي اريد مصادقتك * قال الجُرَذ : ليس بيني وبينك تواصلٌ . وإنّما العاقل ينبغي لهُ أنْ يلتمس ما يَجِدُ اليهِ سبيلاً ويترُك ٱلتماس ما ليس اليهِ سبيلٌ . فما انت الاّ آكِلٌ . وانا طَعامٌ لك * قال الغراب : إنّ اكلي ايّاكَ وإنْ كنتَ لي طعامًا مما لا يُغني عنّي شيئًا . وإنّ مودّتك آنَسُ لي مما ذكرتَ . ولستَ بحقيقٍ اذا جئتُ اطلُب مودّتَكَ أنْ ترُدَّني خائبًا * فانّهُ قد ظهر لي منك من حُسْن الخُلق ما رغّبني فيك وإنْ لم تكن تلتمس إظهار ذلك . فانّ العاقل لا يخفَى فضلُهُ وإنْ هو اخفاهُ . كالمِسك الذي يُكَتم ثمّ لا يمنعهُ ذلك من النشر الطيّب والأَرَج الفائح * قال الجُرَذ : إنّ اشدَّ العَداوة عداوةُ الجوهر . وهي عداوتان : عداوة ما هو

متكافئ. كعداوةِ الفيل والاسد. فانهُ ربّما قتل الاسدُ الفيلَ او الفيلُ الاسدَ. وعداوةٌ ما قوّتهُ من احد الجانبين على الآخر. كعداوةِ مابيني وبين النسور وبيني وبينك. فانّ العداوة التي بيننا ليست تضرُّك وانّما ضررُها عائدٌ عليّ* فإنّ الماءَ لو اطيل إسخانهُ. لم يمنعهُ ذلك من إطفائهِ النار اذا صُبّ عليها. وانّما مُصاحِبُ العدوّ ومُصالِحُهُ كصاحب الحيّة يحمِلُها في كُمّهِ. والعاقل لا يستأنس الى العدوّ الاريب* قال الغُراب: قد فهمتُ ما تقول. وانت خليقٌ أنْ تأخُذَ بفضلِ خليقتِك وتعرِفَ صِدق مَقالتي. ولا تصعّبَ عليّ الامرَ بقولك ليس الى التواصُل بيننا سبيل* فانّ العقلاءَ الكِرامَ لا يبتغُون على معروفٍ جزاءً* والمودّةُ بين الصالحين سريعٌ اتّصالها

بَطِيءٌ انقطاعها • ومَثَلُ ذلك مَثَلُ كوز الذهب. بطيءُ الانكسار. سريعُ الاعادة. هيّنُ الإصلاح إنْ اصابهُ ثَلْمٌ او كَسْرٌ * والمودّةُ بين الأشرار سريعٌ انقطاعُها. بطيءٌ اتّصالها • ومَثَلُ ذلك مَثَلُ كوزِ الفخّار. سريعُ الانكسار. ينكسر من ادنى عَيْث. ولا وصلَ لهُ ابدًا * والكريمُ يوُدُّ الكريمَ. واللئيمُ لا يوُدُّ احدًا الاّ عن رَغبةٍ او رَهبة • وانا الى وُدِّك ومعروفك محتاجٌ. لانّك كريمٌ. وانا ملازِمٌ لبابك غيرُ ذائقٍ طعامًا حتّى تواخِيَني * قال الجُرَذ: قد قبلتُ إخاءَك. فانّي لم اردُدْ احدًا عن حاجةٍ قطٌّ. وانّما بدأْتُكَ بما بدأْتك بِهِ ارادةَ التوثّق لنفسي • فإنْ انت غدرتَ بي. لم تقُل إنّي وجدتُ الجُرَذ سريعَ الانخداع * ثمّ خرج من غارهِ. فوقف عند

الباب . فقال لهُ الغُراب : ما يمنعك من الخروج اليَّ والاستئناسِ بي . فهل في نفسك بعدَ ذلك مني رِيبة * قال الجُرَذ : إنَّ اهل الدنيا يتعاطَوْن فيما بينهم امرين . ويتواصلون عليهما . وهما ذاتُ النفس وذاتُ اليد . فالمتباذِلون ذاتَ النفس هم الاصفياءَ . وأمَّا المتباذلون ذات اليد فهم المتعاوِنون الذين يلتمس بعضُهُم الانتفاع ببعضٍ * ومَن كان يصنع المعروف لبعضٍ منافع الدنيا . فأنَّما مَثَلهُ في ما يَبذِل ويعطي كَمثَل الصيَّاد وإِلقائهِ الحَبَّ للطير . لا يريد بذلك نفعَ الطير . وأنَّما يريد نفعَ نفسهِ * فتعَاطِي ذاتِ النفس افضلُ من تعاطي ذاتِ اليد . وإِنّي وثقتُ منك بذات نفسك . ومنحتك من نفسي مِثْلَ ذلك . وليس يمنعني من

الخروج اليك سُوءُ ظَنٍّ بك. ولكنْ قد عرفتُ أَنَّ لك أَصحابًا جوهرهم كجوهرك. وليس رأْيهم فيَّ كرأيك * قال الغراب: إِنَّ من علامةِ الصَدِيق أَنْ يكون لصديقِ صديقهِ صديقًا. ولعدوّ صديقهِ عدوًّا. وليس لي بصاحبٍ صديقٍ مَن لا يكون لك مُحِبًّا. وإِنّي يهون عليَّ قطيعةُ مَن كان كذلك من جوهري * ثمَّ إِنَّ الجُرَذ خرج الى الغُراب. فتصافحًا وتصافيًا. وأَنِس كلُّ واحد منهما بصاحبهِ. حتّى اذا مضت لهم أَيّام. قال الغراب للجُرَذ: إِنَّ بيتَك قريبٌ من طريق الناس. واخافُ أَنْ يَرْمِيَك بعضُ الصِبيان بحَجَرٍ. ولي مكانٌ في عُزلةٍ. ولي فيهِ صديقٌ من السلاحف. وهو مُخصِب من السمك. ونحن واجدون هناك ما ناكُل. فاريد أَنْ

انطلقَ بك الى هناك لنعيشَ آمنين * قال الجُرَذ: إنّ لي أخبارًا وقِصَصًا سأقصُّها عليك اذا انتهينا حيثُ تُريد. فافعل ما تشاءُ * فاخذ الغرابُ بذَنَب الجُرَذ وطار بهِ. حتّى بلغ بهِ حيث اراد * فلمّا دنا من العين التي فيها السُّلَحفاة. بصُرتِ السُّلَحفاةُ بغُرابٍ ومعهُ جُرَذٌ. فذُعرت منهُ. ولم تعلم أنّهُ صاحبها. فناداها. فخرجت اليهِ وسألتهُ: من اين اقبلتَ. فاخبرَها بقِصّتهِ حين تبعَ الحَمامَ وما كان من امرهِ وأمرِ الجُرَذ. حتّى انتهى اليها * فلمّا سمعت السُّلَحفاةُ شأنَ الجُرَذ. عَجِبتْ من عقلهِ ووَفائهِ. ورحّبت بهِ. وقالت لهُ: ما ساقك الى هذه الارض * قال الغراب للجُرَذ: اقصُصْ عليّ الأخبار التي زعمتَ أنّك تحدّثني بها. فأخبِرْني بها مع

جوابِ ما سألتِ السُّلحفاةُ . فانَّها عندكِ بمنزلتي *

فبدأ الجُرَذ وقال: كان منزلي اوَّلَ امري بمدينة ماروتَ في بيت رجلٍ ناسكٍ . وكان خاليًا من الاهل والعِيال . وكان يُؤتَى في كلّ يومٍ بسلّةٍ من الطعام . فيأكُل منها حاجتهُ ويعلّقُ الباقي * وكنتُ ارصُدُ الناسك حتى يخرُجَ . وأَثِبُ الى السلّة . فلا ادعُ فيها طعامًا الّا اكلتهُ . وارمي بهِ الى الجُرذان * فجهِد الناسكُ مِرارًا أنْ يعلّق السلّةَ مكانًا لا انالهُ . فلم يقدَرْ على ذلك . حتى نزَل بهِ ذاتَ يومٍ ضيفٌ . فاكلا جميعًا . ثمَّ اخذا في الحديث * فقال الناسك للضيف : من ايّ ارض اقبلت . واين تُريدُ الآنَ . وكان الرجل قد جاب الآفاق ورأى عجائب * فانشأ يحدّثُ الناسك عمّا وَطِئَ من البلاد وما رأى

من العجائب * وجعل الناسكُ خِلالَ ذلك يصفق بيديهِ لِيُنفِّرَني عن السلة. فغضب الضيفُ وقال: انا احدثك وانت تهزأ بحديثي. فما حملك على أنْ تسألني * فاعتذرَ اليهِ الناسك وقال: انما اصفقُ بيديَّ لأُنفِّرَ جُرَذًا قد تحيّرتُ في امرهِ. ولستُ اضع في البيت شيئًا الّا واكلهُ * فقال الضيف: جُرَذٌ واحدٌ يفعل ذلك. ام جُرْذانٌ كثيرة * فقال الناسك: جُرْذانُ البيت كثيرة. ولكنَّ فيها جُرَذًا واحدًا هو الذي غلبني. فما استطيعُ لهُ حيلةً. قال الضيف: لقد ذكّرتني قولَ الذي قال: لامرٍ ما باعت هذه المرأةُ سِمسِمًا مقشورًا بغير مقشور. قال الناسك: وكيف كان ذلك *

قال الضيف: نزلتُ مرّةً على رجل بمكانِ كذا

فتعشّينا . ثمّ فرش لي . وانقلب الرجل على فِراشهِ هو وزوجتهُ. وبيني وبينهما خُصٌّ من قَصَب* فسمعت الرجل يقول في آخر الليل لامرأتهِ : إِنّي أُريد أَنْ ادعوَ غدًا رَهطًا ليأكلوا عندنا. فاصنعي لهم طعامًا* فقالت المرأة : كيف تدعو الناسَ الى طعامك وليس في بيتك فضلٌ عن عِيالك . وانت رَجُلٌ لا تُبقي شيئًا ولا تدخرُهُ* قال الرجل : لا تندَمي على شيء اطعمناهُ وانفقناهُ . فانّ الجمعَ والادّخار ربّما كانت عاقبتهُ كعاقبة الذئب* قالت المرأة : وكيف كان ذلك* قال الرجل : زعموا انّهُ خرج ذاتَ يوم رجلٌ قانصٌ ومعهُ قوسهُ ونَشّابهُ. فلم يجاوز غيرَ بعيدٍ . حتّى رمى ظَبيًا . فحملهُ ورجع طالبًا منزلَهُ* فاعترضهُ خِنزيرٌ برّيٌّ. فرماهُ بنشّابةٍ فنفذت فيهِ . فادركهُ الخِنزير

وضربهُ بأنيابهِ ضربةً اطارت من يدهِ القوسَ ووقعا ميّتين. فاتى عليهم ذئب. فقال: هذا الرجل والظبيُ والخنزير يكفيني اكلهم مُدّة . ولكن ابدأُ بهذا الوتر فآكلهُ . فيكون قوتَ يومي . فعالج الوَتَرَ حتّى قطعهُ . فلمّا انقطع . طارت سِيَةُ القوس . فضربت حلقهُ فمات *

وانّما ضربتُ لكِ هذا المثل لتعلمي أنّ الجمعَ والادّخار وخيمُ العاقبة * فقالت المرأة: نِعمَ ما قلت. وعندنا من الأرُزّ والسِمسِم ما يكفي سِتّةَ أنفارٍ او سبعةً. فانا غاديةٌ على اصطناع الطّعام. فادعُ من احببت * واخذتِ المرأة حينَ اصبحت سِمسِمًا. فقشرتهُ وبسطتهُ في الشمس ليجِفّ. وقالت لغلامٍ لهم: اطرُدْ عنهُ الطيرَ والكِلاب. وتفرّغت المرأة لصُنعها. وتغافل

الغُلامُ عن السِمْسِمِ. فجآء كلبٌ فعاث فيهِ. فاستقذرتهُ المرأةُ وكرِهت أَنْ تصنعَ منهُ طَعَامًا * فذهبت بهِ الى السُّوق. فاخذت بهِ مُقَايَضَةَ سِمْسِمًا غيرَ مقشور مِثْلًا بمِثْل. وانا واقفٌ في السُّوق. فقال رجلٌ: لِأَمرٍ ما باعت هذه المرأةُ سِمْسِمًا مقشورًا بغيرِ مقشور * وكذلك قَوْلي في هذا الجُرَذ الذي ذكرتَ أَنهُ على غير عِلَّةٍ ما لا يقدرُ على ما شكوتَ منهُ. فٱلتمِسْ لي فاسًا لَعَلّي احتفر غارهُ فأَطَّلعَ على بعض شأنهِ * فاستعارَ الناسكُ من بعض جيرانهِ فاسًا. فاتى بها الضيفَ. وانا حينئذٍ في غارٍ غير غاري اسمعُ كلامَهما. وفي غاري كيسٌ فيهِ مائةُ دينارٍ لا أَدري مَن وضعَها * فاحتفر الضيف حتى انتهى الى الدنانير. فاخذها وقال للناسك: ما كان هذا الجُرَذ يقوى على الوثوب

حيثُ كان يَثِبُ الّا بهذه الدنانير. فانّ المال يجعل قُوَّةً وزيادةً في الرأي والتمكّن. وسترى بعد هذا أنَّهُ لا يقدَرُ على الوثوب حيث كان يَثِب * فلمّا كان من الغد. اجتمع الجُرْذان التي كانت معي. فقالت: قد اصابَنا الجُوعُ وانت رَجاؤُنا. فانطلقتُ ومعي الجُرْذان الى المكان الذي كنتُ أَثِبُ منهُ الى السلّة. فحاولتُ ذلك مرارًا. فلم اقدَرْ عليهِ. فاستبان للجُرْذان نقصُ حالي * فسمِعتُهُنَّ يقُلن: انصرِفْنَ عنهُ. ولا تطمَعْنَ في ما عندهُ. فإنّا نرى لهُ حالاً لا نَحسبهُ فيها الّا وقد احتاج الى مَن يعولهُ * فتركنني ولحِقن بأعدائي وجَفَوْنني. واخذنَ في غِيبتي عند مَن يعاديني ويحسُدني * فقلتُ في نفسي: ما الإخوانُ ولا الأعوان ولا الاصدقاءَ الّا بالمال. ووجدتُ مَن لا مال لهُ اذا

اراد امرًا. قعد بهِ العَدَمُ عمَّا يُريدهُ. كالماءِ الذي يبقى في الاودية من مطر الشتاءِ لا يمرُّ الى نهر ولا يجري الى مكان فتشربهُ ارضهُ * ووجدتُ مَن لا إخوانَ لهُ لا اهلَ لهُ. ومَن لا ولدَ لهُ لا ذِكر لهُ. ومَن لا مالَ لهُ لا عقلَ لهُ ولا دُنيا ولا آخِرة لهُ * لانّ الرجل اذا افتقر. قطعهُ قرائبهُ وإِخوانهُ. فانّ الشجرةَ النابتةَ في السِباخ المأكولة من كلِّ جانب كحالِ الفقير المحتاج الى ما في ايدي الناس * ووجدتُ الفقرَ رأسَ كلِّ بلاءٍ وجالبًا الى صاحبهِ كلَّ مقتٍ ومعدِن النميمة * ووجدتُ الرجل اذا أُفتقر. اتّهمهُ مَن كان لهُ مُؤتمِنا. وأساءَ بهِ الظنَّ مَن كان يظنُّ فيهِ حسنًا * فانْ اذنب غيرُهُ. كان هو للتهمة موضِعًا * وليس من خلّةٍ هي للغنيّ مَدْحٌ الاّ وهي للفقير ذمٌّ. فان كان شُجاعًا. قيل أهوجُ. وإِنْ كان

جَوَادًا . سُمّي مُبذِرًا * وإن كان حليمًا. سُمّي ضعيفًا * وان كان وَقورًا. سُمّي بليدًا * فالموت اهوَنُ من الحاجة التي تُحوِجُ صاحبها الى المسئلة ولاسيّما مسئلةِ الأشحّاء واللئام * فانّ الكريم لو كُلّف أنْ يُدخِلَ يدهُ في فم الافعى فيُخرِجَ منهُ سمًّا فيبتلعهُ . لكان ذلك أهوَنَ عليهِ وأحبَّ اليهِ من مسئلة البخيل اللئيم * وقد كنتُ رأيتُ الضيفَ حين اخذ الدنانير فقاسمها الناسكَ . جعل الناسكُ نصيبَهُ في خريطةٍ عند راسهِ لمّا جَنَّ الليل * فطمعتُ أنْ أُصيبَ منها شيئًا فاردُّهُ الى غاري . ورجوتُ أنْ يزيدَ ذلك في قوّتي ويراجعني بسببهِ بعضُ اصدقائي * فانطلقتُ الى الناسك وهو نائمٌ حتى انتهيتُ عند راسهِ . ووجدتُ الضيف يقظانَ وبيدهِ قضيبٌ . فضربني

على راسي ضربةً مُوجِعَةً. فسعَيْتُ الى غاري. فلمّا
سكن عنّي الالم. هيّجني الحِرْص والشَّرَه. فخرجتُ طمعاً
كطمعي الاوّل. واذا الضيفُ يرصُدني. فضربني
بالقضيبِ ضربةً أَسالت منّي الدم* فتقلّبتُ ظهراً
لبطنٍ الى غاري. فخَرَرْتُ مغشيّاً عليّ. فأَصابني من
الوجعِ ما بَغّض اليّ المال. حتّى لا اسمع بذِكرهِ الاّ
تداخلني من ذِكرهِ رِعدةٌ وهَيبةٌ* ثمّ تذكّرتُ
فوجَدتُ البَلآء في الدنيا انّما يسوقهُ الحِرصُ والشَّرَه
ولا يزالُ صاحبُ الدنيا في بليّة وتعب ونَصَب.
ووجدتُ تجشُّمَ الأَسفارِ البعيدة في طَلَب الدنيا
أهوَنَ عليّ من بسط اليد الى السخيّ بالمال. ولم أَرَ
كالرِضآء شيئاً. فصار امري الى أَنْ رضيتُ وقنِعتُ
وانتقلتُ من بيت الناسك الى البرّيّة* وكان لي

صديقٌ من الحَمام . فسِيقتْ اليَّ بصَداقتهِ صداقةُ الغُراب. ثمَّ ذكر لي الغُرابُ ما بينك وبينهُ من المودّة. واخبرني أنَّهُ يريدُ إتيانك. فأحببتُ أنْ آتيك معهُ . فكرِهتُ الوَحدة. فانَّهُ لا شيء من سرور الدنيا يَعدِلُ صُحبة الإخوان . ولا غمَّ فيها يَعدِل البُعد عنهم * وجرَّبتُ فعلمت أنَّهُ لا ينبغي للعاقل أنْ يلتمس من الدنيا غيرَ الكَفاف الذي يدفعُ بهِ الأذى عن نفسهِ. وهو اليسير من المَطْعَم والمشرَب اذا اشتمل على صِحّة البَدَن ورَفاهة البال * ولو أنَّ رجلاً وُهبت لهُ الدنيا بما فيها . لم يكُ ينتفع من ذلك الاَّ بالقليل الذي يدفع بهِ عن نفسهِ الحاجةَ * فأَقبلتُ مع الغُراب اليك على هذا الرأي . وانا لك اخٌ . فلتكُن منزلتي عندك كذلك *

فلمّا فرِغ الجُرَذُ من كلامهِ: اجابتهُ السُّلحفاةُ بكلامٍ رقيقٍ عذْب. وقالت: قد سمعتُ كلامَك. وما احسنَ ما تحدَّثتَ بهِ. الاَّ أَنّي رأَيتُك تذكُر بقايا امورٍ هي في نفسك. وٱعلَمْ أَنَّ حُسْن الكلام لا يتمّ الاَّ بحسن العملِ. وأَنَّ المريض الذي قد علم دواءَ مرضهِ. إِنْ لم يتَداوَ بهِ. لم يُغنِ علمهُ بهِ شيئًا. ولم يجِدْ لدائهِ راحةً ولا خِفّةً * فٱستعمِلْ رأيك. ولا تحزَنْ لقِلّة المال. فانَّ الرجل ذا المُرُوءَة قد يُكرَم على غيرِ مالٍ. كالأَسد الذي يُهاب وإِن كان رابضًا * والغنيُّ الذي لا مُرُوءَةَ لهُ يُهان وإِنْ كان كثيرَ المال. كالكلب لا يُحفَل بهِ وان طُوِّق وخُلخِل بالذهب * فلا تكبُرَنَّ عليك غُربتك. فانَّ العاقل لا غُربةَ لهُ. كالأَسد الذي لا ينقلب الاَّ ومعهُ قوَّتهُ * فلتُحسِنْ

تعاهُدَكَ لنفسك . فانك اذا فعلتَ ذلك . جاءك الخيرُ يطلُبك كما يطلب الماءُ انحدارَهُ . وانما جُعل الفضل للحازم البصيرِ بالامور . واما الكسلان المتردد فانَّ الفضل لا يصحبهُ . كما انَّ المرأةَ الشابَّةَ لا تطيب لها صُحبةُ الشيخِ الهرِم * وقد قيل في اشياءَ ليس لها ثَبات ولا بقاء : ظِلُّ الغمامة في الصيف . وخُلَّةُ الأشرار . وعِشقُ النساء . والبِناءُ على غير اساس . والمالُ الكثير * فالعاقل لا يحزَن لقِلَّتهِ . وانما مالُ العاقل عقلُهُ وما قدَّم من صالح عملهِ . فهُوَ واثقٌ بانهُ لا يُسلَب ما عمل . ولا يُؤاخَذ بشيءٍ لم يعملْهُ . وهو خليقٌ انْ لا يغفَل عن امر آخرتهِ . فانَّ الموت لا ياتي الاَّ بغتةً . ليس لهُ وقتٌ معيَّن * وانت عن موعِظتي غنيٌّ بما عندك من العِلم . ولكنْ رأيتُ انْ

أَقضِيَ ما لك من حقٍّ قِبلَنا . لانّك اخونا . وما عندنا من النُّصح مبذولٌ لك *

فلمّا سمع الغُرابُ كلامَ السُّلحَفاة للجُرَذ وردَّها عليهِ ومُلاطَفتها ايّاهُ . فرح بذلك وقال : لقد سَرَرْتِني وانعمتِ عليَّ . وانتِ جديرةٌ أَنْ تَسُرّي نفسَكِ بمِثل ما سررتِني بهِ * وإِنَّ أَوْلَى اهلِ الدنيا بشِدَّةِ السرور مَن لا يزال رَبْعُهُ من إِخوانهِ واصدقائهِ من الصالحين معمورًا . ولا يزال عندهُ منهم جماعةٌ يسُرُّهم ويسُرُّونهُ . ويكون من وراءِ امورهم وحاجاتهم بالمِرصاد . فانَّ الكريمَ اذا عَثِرَ . لا يأخذُ بيدهِ الاّ الكِرام . كالفيل اذا وحِلَ لا تُخرِجهُ الاّ الفِيَلة * فبينما الغُرابُ في كلامهِ . اذ اقبل نحوَهم ظَبيٌ يسعَى . فذُعرت منهُ السُّلحَفاة فغاصت في الماء .

وخرج الجُرَذ الى غارهِ. وطار الغُراب فوقع على شجرةٍ * ثمّ إنّ الغُراب تحلّق في السمآء لينظُر هل للظبيِ طالبٌ. فنظر فلم يرَ شيئًا. فنادى الجُرَذَ والسلحفاةَ. فخرجا * فقالت السلحفاةُ للظبي حين رأتْهُ ينظُرُ الى المآء: اشرَبْ ان كان بك عطش. ولا تخَفْ فانّهُ لا خوفَ عليك * فدنا الظبيُ. فرحّبتْ بهِ السُلحفاة وحيّتهُ. وقالت لهُ: من اين اقبلتَ * قال: كنتُ أسنَحُ بهذهِ الصّحارى. فلم تزَلِ الأساورةُ تطرُدني من مكانٍ الى مكانٍ. حتّى رايتُ اليوم شَبَحًا. فخفتُ أنْ يكون قانصًا * قالت: لا تخَفْ. فإنّا لم نرَ ههنا قانصًا قطُّ. ونحن نبذِلُ لك وُدّنا ومكانَنا. والمآءُ والمَرْعَى كثيرٌ عندنا. فارْغب في صُحبتنا * فاقام الظبيُ معهم. وكان لهم عريشٌ يجتمعون فيهِ. ويتذاكرون الأحاديثَ

شبحًا؟

والأخبار * فبينما الغرابُ والجرذُ والسلحفاةُ ذات يومٍ في العريش . غاب الظبيُ . فتوقّعوهُ ساعةً فلم يأتِ * فلمّا ابطأ . أشفقوا أنْ يكونَ قد أصابهُ عَنَت * فقال الجرذُ والسلحفاةُ للغراب : انظرْ هل ترى ممّا يلينا شيئًا * فتحلّق الغراب في السمآء . فنظر فاذا الظبيُ في الحبائل مقتنَصًا . فانقضّ مسرِعًا فاخبرهما بذلك * فقالت السلحفاة والغراب للجرذ : هذا امر لا يُرجَى فيهِ غيرُك . فأغِث اخاك * فسعى الجرذ مسرعًا . فاتى الظبيَ فقال لهُ : كيف وقعتَ في هذه الورطة وانتَ من الأكياس . قال الظبي : هل يُغني الكَيْسُ معَ المقادير شيئًا * فبينما هما في الحديث . اذ وافتهما السلحفاة . فقال لها الظبي : ما اصبْتِ بمجيئك الينا . فانّ القانص لو انتهى الينا وقد قطع الجرذُ الحبائلَ .

استبقتهُ عَدْوًا. وللجُرَذ أغوارٌ كثيرة. والغُراب يطير. وانتِ ثقيلة لا سَعيَ لكِ ولا حركة. واخاف عليكِ القانص * قالت: لا عَيْشَ مع فِراق الأَحبَّةِ. واذا فارقَ الإليفُ اليفَهُ. فقد سُلِبَ فؤادَهُ. وحُرم سرورَهُ وغُشي بَصَرُهُ * فلم ينتهِ كلامُها. حتى وافى القانص ووافقَ ذلك فَراغَ الجُرَذِ من قطع الشَّرك. فنجا الظبيُ بنفسهِ. وطار الغُراب متحلِّقًا. ودخل الجُرَذُ بعضَ الاغوار. ولم يبقَ غيرُ السُّلحفاة * ودنا الصيَّادُ. فوجَد حِبالتَهُ مقطَّعةً. فنظر يمينًا وشِمالاً. فلم يجِدْ غيرَ السُّلحفاة تدبُّ. فأخذها وربطها * فلم يلبَثِ الغُرابُ والجُرَذُ والظَّبيُ أَنْ اجتمعوا. فنظروا القانصَ قد ربط السُّلحفاةَ. فاشتدَّ حُزنهم. وقال الجرذ: ما ارانا نجاوز عَقَبَةً من البلاَء الاَّ صرنا في اشدَّ منها.

ولقد صدَق الذي قال: لا يزال الانسانُ مستمِرًّا في إقباله ما لم يعثَرْ. فاذا عثَرِ لجَّ بهِ العِثار وإنْ مشى في جَدَد الارض * وحذَري على السُّلحفاة خيرِ الاصدقاء التي خُلَّتها ليست للمُجازاة ولا لالتماس مكافاة. ولكنَّها خُلَّة الكرَم والشرف. خُلَّةٌ هي افضلُ من خُلَّة الوالد لولدهِ. خُلَّةٌ لا يُزيلها الاَّ الموت * ويحٌ لهذا الجسد الموكَّل بهِ البلآء. الذي لا يزال في تصرُّف وتقلُّب. ولا يدوم لهُ شيءٌ. ولا يلبَث معهُ امر. كما لا يدوم للطالعِ من النجوم طلوعٌ. ولا للآفِل منها أُفول. لكن لا يزال الطالع منها آفِلاً والآفِل طالعًا. وكما تكون آلامُ الكُلوم وانتِقاض الجَراحات. كذلك مَن قُرِحت كُلومهُ بفقد إخوانهِ بعدَ اجتماعهِ بهم * فقال الظبيُ والغراب للجُرَذ: إنَّ حذَرنا وحذَرك وكلامَك

وإنْ كان بليغًا. كلٌّ منها لا يُغني عن السلحفاة شيئًا. وإنَّهُ كما يقال انَّما يُختبَر الناس عند البلآء. وذو الأَمانة عند الاخذ والعطآء. والاهل والولد عند الفاقة. كذلك تُختبَر الإخوان عند النوائب * قال الجُرَذ: ارى من الحيلة أنْ تذهبَ ايُّها الظبي فتقعَ بمنظرٍ من القانص كأنَّك جريحٌ. ويقعَ الغُراب عليك كأنَّهُ ياكُلُ منك. وأَسعَى انا فاكونَ قريبًا من القانص مراقبًا لهُ. لعلَّهُ أنْ يرمِيَ ما معهُ من الآلة. ويضعَ السلحفاةَ ويقصُدَك طامعًا فيك راجيًا تحصيلك * فاذا دنا منك. ففِرَّ عنهُ رُوَيدًا بحيثُ لا ينقطع طَمَعهُ منك. ومكِّنْهُ من اخذك مرَّةً بعدَ مرَّةٍ. حتى يبعُدَ عنَّا. وانحُ منهُ هذا النحوَ ما استطَعْتَ. فانّي أرجو أنْ لا ينصرف الّا وقد قطعتُ الحبائل

عن السلحفاة وانجوَ بها * ففعل الغُراب والظبي ما امرها بهِ الجُرَذ . وتبعهُما القانص . فاستجرَّهُ الظبي حتى ابعدهُ عن الجُرَذ والسلحفاة . والجُرَذ مُقبِلٌ على قطع الحبائل حتى قطعها ونجا بالسلحفاة * وعاد القانص مجهودًا لاغبًا . فوجد حِبالتهُ مقطَّعةً . ففكَّر في امرهِ مع الظبي المفلِت . فظنَّ أَنهُ خُولِط في عقلهِ . وفكَّر في امر الظبي والغُراب الذي كأَنَّهُ يأكل منهُ وتقريضِ حِبالتهِ . فاستوحش من الارض وقال : هذه ارض جِنٍّ او سَحَرَةٍ . فرجع مولّيًا لا يلتمس شيئًا ولا يلتفت اليهِ * واجتمع الغراب والظبي والجُرَذ والسلحفاة الى عريشهم سالمين آمنين كأَحسنِ ما كانوا عليهِ *

فاذا كان هذا الخَلق مع صِغَرهِ وضَعفهِ قد قَدِرَ على التخلُّص من مرابِط الهَلَكة مرَّةً بعد اخرى بمودَّتهِ

وخلوصهِ وثَبات قلبهِ عليها واستمتاعهِ مع أَصحابهِ بعضهم ببعض . فالانسان الذي قد أُعطيَ العقلَ والفَهْمَ . وأُلهم الخيرَ والشرَّ . ومُنحَ التمييزَ والمعرِفة . أَولى واحرى بالتواصُل والتعاضُد *

فهذا مَثَل إِخوان الصفآء وائتلافهم في الصُّحبَة *

انقضى باب الحمامة المطوّقة

الباب الثامن

باب البوم والغربان

قال دَبْشَليم الملك لِبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ مَثَلَ إخوان الصَّفاء وتعاونهم. فأَضرِبْ لي مَثَلَ العدوّ الذي لا ينبغي أَنْ يُغتَرّ بهِ وإِنْ اظهر تضرُّعًا وملَقًا * قال الفيلسوف: مَنْ اغترّ بالعدوّ الذي لم يزَلْ عدوًّا. اصابَهُ ما اصاب البُومَ من الغِرْبان. قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال بِيدَبا: زعموا أَنَّهُ كان في جبلٍ من الجبال شجرةٌ من شجر الدَّوح. فيها وَكْرُ الفِ غُرابٍ. وعليهنّ والٍ من انفسِهنّ * وكان عندَ هذه الشجرة كهفٌ فيهِ الفُ بُومةٍ. وعليهنّ والٍ منهنّ. فخرج مَلِكُ البوم لبعض غَدَواتهِ ورَوْحاتهِ. وفي نفسهِ العداوةُ لِملِكِ

الغِربان. وفي نفس الغربان ومَلِكها مثلُ ذلك للبوم * فأغار مَلِكُ البُوم في أصحابهِ على الغِربان في أوكارها. فقتل وسبى منها خَلقًا كثيرًا. وكانت الغارةُ ليلاً * فلمَّا اصبحتِ الغِربان. اجتمعن الى مَلِكِها. فقُلنَ لهُ: قد علمتَ ما لَقِينا الليلةَ من مَلِك البوم. وما منّا الاّ مَن اصبح قتيلاً او جريحًا او مكسورَ الجَناح او منتوفَ الريش او مقطوفَ الذَّنب. واشدُّ ممَّا اصابنا ضرًّا علينا جرآءتهنَّ علينا وعِلمهُنَّ بمكاننا. وهُنَّ عائداتٌ الينا غيرُ منقطعاتٍ عنّا لعلمهنَّ بمكاننا. فانّما نحن لك. ولك الرأي ايُّها الملك. فانظُر لنا ولنفسك * وكان في الغِربان خمسٌ معتَرَفٌ لهنَّ بحُسْن الرأي. يُسنَد اليهنَّ في الامور. ويُلقَى عليهنَّ أزِمَّة الاحوال * وكان المَلِكُ كثيرًا ما يشاوِرُهنَّ في الامور. ويأخذ بآرائهنَّ

في الحوادث والنوازل * فقال الملك للاوّل من الخمس: ما رأيك في هذا الامر * قال: رأيي قد سبقتنا اليه العلماء. وذلك أنّهم قالوا: ليس للعدوّ الحنق الاّ الهرب منهُ * قال الملك الثاني: ما رأيك انت في هذا الامر * قال: رأيي ما رأى هذا من الهرب * قال الملك: لا أرى لكما ذلك رأيًا ان نرحل عن اوطاننا. ونخليها لعدوّنا من اول نكبةٍ اصابتنا منهُ. ولا ينبغي لنا ذلك. ولكنْ نجمعُ امرَنا ونستعدّ لعدوّنا. ونُذكي نارَ الحرب فيما بيننا وبين عدوّنا. ونحترس من الغِرّةِ اذا اقبل الينا. فنلقاهُ مستعدّين. ونقاتلهُ قتالاً غيرَ مراجِعين فيهِ ولا مقصِّرين عنهُ * ونلقى أطرافنا اطرافَ العدوّ. ونتحرّز بحصوننا. وندافِع عدوّنا بالأناة مرّةً وبالجِلاد اخرى. حيث نُصيبُ فُرصتَنا

وبُغيتنا وقد ثَنينا عدوَّنا عنّا * ثمَّ قال الملك للثالث : ما رأيك انت * قال : ما أَرى ما قالا رأيًا . ولكنْ نَبثّ العُيون ونبعَثُ الجواسيس . ونُرسِل الطوالع بيننا وبين عدوّنا . فنعلم ايريد صلحَنا امرلا . أَوَيريد حَربَنا ام يريد الفِدْية * فإِنْ رأينا امرهُ امرَ طامع في مالٍ . لم نكرهِ الصلح على خَراجٍ نؤدّيهِ اليهِ في كلّ سنةٍ . ندفع بهِ عن انفسنا ونطمئنّ في اوطاننا . فانّ من آرآءِ الملوك اذا اشتدّت شوكةُ عدوّهم فخافوهُ على انفسهم في بِلادهم أَنْ يجعلوا الأَموال جُنّةَ البلاد والمُلكِ والرعيّة * قال الملك للرابع : فما رأيك في هذا الصلح * قال : لا اراهُ رأيًا . بل أَنْ نفارقَ اوطانَنا ونَصْبِرَ على الغُربة وشِدّة المَعيشة خيرٌ من أَنْ نُضيعَ أَحسابَنا ونخضع للعدوّ الذي نحن أَشرف منهُ . مع

أنَّ البومَ لو عرضْنا ذلك عليهِنَّ. لمَا رضِينَ منّا الّا بالشَّطَط * ويقال في الأمثال: قَارِب عدوّك بعضَ المُقارَبة لتنال حاجتك. ولا تقاربْهُ كلَّ المقاربة. فيجترئَ عليك ويضعَف جُندُك وتَذِلَّ نفسك * ومَثَلُ ذلك مَثَلُ الخشبةِ المنصوبة في الشمس. اذا أَمَلْتَها قليلاً. زاد ظلُّها. واذا جاوزتَ بها الحدَّ في إمالتها. نقَص الظِلّ. وليس عدوّنا براضٍ منّا بالدُّون في المقاربة. فالرأي لنا ولك المحاربة * قال الملك للخامس: ما تقول انت. وماذا ترى. القِتال ام الصلحَ ام الجَلاءَ عن الوطن * قال: أمّا القِتالُ فلا سبيلَ للمرء الى قِتال مَن لا يقوَى بِهِ. وقد يقال أنَّهُ من لا يَعرِف نفسهُ وعدوَّهُ وقاتل مَن لا يقوى بِهِ. حمل نفسهُ على حَتْفِها. مع أنَّ العاقل لا يستصغر عدوًّا.

فانهُ مَن استصغر عدوَّهُ . اغترَّ بهِ • ومَن اغترَّ بعدوّهِ .
لم يسلَمْ منهُ * وانا للبوم شديدُ الهيبة وإنْ اضربنَ
عن قتالنا . وقد كنتُ اهابُها قبل ذلك . فانَّ الحازم
لا يأمَنُ عدوَّهُ على كلّ حال : إنْ كان بعيدًا . لم يأمن
سَطوتهُ • وإن كان مكثبًا . لم يأمَن وثبتَهُ • وإنْ كان
وحيدًا . لم يأمن مكرَهُ * واحزم الاقوام وأكيَسهُم مَن
كرِه القِتال لاجل النَّفقة فيهِ . فانَّ ما دونَ القِتال
النفقةُ فيهِ من الأموال والقول والعَمَل . وحقيقة
القتال نَفَقةُ الأنفس والأبدان * فلا يكوننَّ القتالُ
من رأيك ايُّها المَلِك للبوم • فانَّ مَن قاتل مَن لا
يقوى بهِ . فقد غرَّر بنفسهِ * فاذا كان المَلِك محصِّنًا
للأسرار . مختبِرًا للوزراء . مهيبًا في اعين الناس . بعيدًا
من ان يُقدَر عليهِ . كان خليقًا أَنْ لا يُسلَبَ صحيحَ

ما أُوتيَ من الخير. وانت ايها الملك كذلك * وقد استشرتني وتريد الجواب مني. فاعلم أنَّ عندي رأيًا في بعضهِ علانيةٌ. وفي بعضهِ سرٌّ. وللأسرار منازل. منها ما يدخُل فيهِ الرَّهط. ومنها ما يُستعانُ فيهِ بالقوم. ومنها ما يدخُلُ فيهِ الرَّجُلان. ولستُ ارى لهذا السرّ على قَدَرِ منزلتِهِ أنْ يُشارَكَ فيهِ الّا اربعُ آذانٍ ولسانان *

فنهض الملك من ساعتِهِ. وخلا بهِ فاستشارهُ. فكان اوَّل ما سألهُ عنهُ أنَّهُ قال: هل تعلم بدء عداوة بيننا وبين البُوم * قال: نعم كَلِمةٌ تكلَّمُ بها الغُراب * قال الملك: وكيف كان ذلك * قال الغُراب: زعموا أنَّ جماعةَ من الكراكيِّ لم يكن لها مَلِكٌ. فأجمعت أمرَها على أنْ يملِّكن عليهنَّ مَلِكَ البوم * فبينما هي في

مجمعها . اذ وقع قريبًا منها غُرابٌ. فقالت : لو جاءنا هذا الغُراب . لاستشرناهُ في امرنا * فلم يلبثْنَ دونَ أنْ جاءهنَّ الغراب. فاستشرنَهُ. فقال: لو أنَّ النسورَ بادت من الاقاليم وفُقد الطاووس والبطُّ والنَّعام والحَمام من العالم . لَمَا اضطُرِرتُنَّ الى أنْ تملّكنَ عليكنَّ البوم التي هي اقبحُ الطير منظرًا. وأسوأُها خَلقًا. واقلُّها عقلاً. واشدُّها غضبًا. وابعدُها من كلّ رحمة . مع عَماها وما بها من العَشَى بالنهار. واشدُّ من ذلك واقبحُ امورِها سَفَهُها وسوء أخلاقها . الاَّ أنْ تَرَيْنَ أنْ تملّكنها وتكُنَّ انتنَّ تدبّرن الامور دونها برأيكنَّ وعقولكنَّ. كما فعلَتِ الارنب التي زعمت أنَّ القمر مِلكُها. ثمّ برأيها عملت * قالت الطير: وكيف كان ذلك * قال الغُراب: زعموا أنَّ ارضًا من اراضي الفِيَلة

تتابعت عليها السنون . واجدبت وقلَّ ماؤها . وغارت عيونها . وذوى نبتها . ويبس شجرها . فاصاب الفيلة عطش شديد . فشكون ذلك الى ملكهن * فارسل الملك رسله وروّاده في طلب الماء في كل ناحية . فرجع اليه بعض الرسل فاخبره قائلاً : قد وجدت بمكان كذا عيناً يقال لها عين القمر . كثيرة الماء * فتوجه ملك الفيلة باصحابه الى تلك العين ليشرب منها هو وفيلته . وكانت العين في ارض للارانب . فوطئن وهن في اغوارهن . فهلك منهن كثير * فاجتمعن الى ملكهن فقلن له : قد علمت ما اصابنا من الفيلة * فقال : ليحضر كل ذي راي رايه * فتقدمت واحدة من الارانب يقال لها فيروز . وكان الملك يعرفها بحسن الراي والادب . فقالت :

إِنْ رأَى المَلِكُ أَن يبعثَني الى الفِيلة ويُرسِل معي امينًا ليرى ويسمع ما اقولُ ويرفعهُ الى الملك * فقال لها المَلِك : أنتِ امينة . ونرضى بقولكِ. فانطلقي الى الفِيَلة . وبلّغي عنّا ما تريدين . واعلمي أَنّ الرسول برأيِهِ وعقلِهِ ولِينِهِ وفضلِهِ يُخبِر عن عقل المُرسِل . فعليكِ باللِّين والمؤاتاة . فانّ الرسول هو الذي يليّن الصدور اذا رَفِق . ويخشّن الصدورَ اذا خَرِق * ثمّ إِنّ الارنب انطلقت في ليلةٍ قمراء . حتّى انتهت الى الفِيَلة . وكرهت أَنْ تدنوَ منهنّ مخافةَ أَنْ يطأنها بارجلهنّ فيقتلنها وإِنْ كنّ غير متعمّدات * ثمّ اشرفت على الجبل . ونادت مَلِكَ الفِيَلة وقالت لهُ : القمر ارسلني اليك . والرسولُ غيرُ ملومٍ في ما يبلّغ وإِنْ اغلظ في القول * قال مَلِكُ الفِيلة : فما الرسالة *

قالت: يقول لك: إنَّهُ مَن عَرَفَ قُوَّتَهُ على الضُّعفاءَ فاغترَّ بذلك بالأقوياءِ. كانت قوَّتهُ وَبالاً عليهِ * وانت قد عرَفتَ فضلَ قوَّتك على الدوابّ. فغرَّك ذلك. فعَمَدت الى العين التي تسمَّى باسمي فوردتَها وكدَّرتها * فأرسلني اليك لأُنذرَك أنْ لا تعودَ الى مِثْل ذلك. وأنَّك إنْ فعلتَ. أُغشِي بَصَرَك وأُتلِفُ نفسك. وإنْ كنتَ في شَكٍّ من رِسالتي. فهلُمَّ الى العين من ساعتك. فانّي موافيك اليها * فعجِب مَلِكُ الفيلة من قول الارنب. فانطلق الى العين مع فيروزَ الرسول. فلمَّا نظر اليها. رأى ضوءَ القمر فيها. فقالت لهُ فيروز: خذ بخُرطومك من الماء فاغسِل بهِ وجهَك. واسجُد للقمر * فادخل الفيل خُرطومَهُ في الماء فتحرَّك. فخُيِّل لهُ أنَّ القمر ارتعد. فقال: ما

شانُ القمرِ ارتعد . أَتراهُ غَضِب من إدخالي جحفلتي في المآء * قالت الارنب : نَعَمْ. فسجد الفيل للقمر مرَّةً اخرى . وتاب اليهِ ممَّا صنع . وشَرَط أَنْ لا يعود الى مِثْلِ ذلك هو ولا احدٌ من فِيَلَتهِ *

قال الغُراب : مع ما ذكرتُ من امر البوم فإِنَّ فيها الخُبْثَ والمَكْر والخديعة . وشرُّ الملوك المُخادِع . ومَن ابتُلي بسُلطانٍ مخادِع وخَدَمَهُ.اصابهُ ما اصاب الارنبَ والصِفرِد حينَ احتكما الى السِنَّوْر * قالت الكَرَاكيُّ : وكيف كان ذلك * قال الغُراب . كان لي جارٌ من الصفاردة في اصل شجرةٍ قريبةٍ من وَكري. وكان يكثِّر مُواصَلتي . ثمَّ فقدتُهُ فلم اعلمْ اين غاب . وطالت غِيبتهُ عنّي حتى جآءَتْ ارنبٌ الى مكانهِ فسكنتهُ . فكرِهتُ أَنْ اخاصِمَها . فلبثتْ فيهِ

زمانًا * ثمَّ إنَّ الصِفرِد آبَ بعدَ مُدَّةٍ . فأتي منزلهُ . فوجَد الارنب قد تبوَّأتهُ. فقال لها : هذا المكانُ لي : فانتقلي عنهُ * قالت الارنب : المسكنُ لي وتحت يدي . وإنَّما انت مدَّعٍ بهِ : فإنْ كان لك حقٌّ . فاستعدِ عليَّ * قال الصِفرِد : القاضي منَّا قريبٌ . فامضي بنا اليهِ * قالت الارنب : ومَن القاضي * قال الصِفرِد : إنَّ بساحلِ البحر سِنَّوْرًا متعبِّدًا يصوم النهارَ ويقومُ الليلَ كلَّهُ . ولا يؤْذي دابَّةً . ولا يهرِيق دمًا . عَيشهُ من الحشيش وممَّا يقذِفهُ اليهِ البحر . فانْ احببتَ . تحاكمنا اليهِ ورضِينا بهِ * قالت الارنب : ما ارضاني بهِ اذا كان كما وصفتَ * فانطلقا اليهِ . فتبعتهما لأَنظرُ الى حكومة الصوَّام القوَّام * فلمَّا بصرُ السِنَّوْر بالارنب والصِفرِد مقبلَيْن نحوَهُ . انتصب

قائمًا يصلّي . واظهر الخشوع والتنسّك . فعجبا لما رأيا من حالهِ . ودَنوَا منهُ هائبَيْن لهُ . وسلّما عليهِ . وسألاهُ أَنْ يَقضِيَ بينهما * فامرهما أَنْ يقصّا عليهِ القِصّة . ففعلا * فقال لهما : لَقد بلغني الكِبَر . وثَقُلت أُذُناي . فأدنُوَا منّي فأَسمِعاني ما تقولان * فدَنوَا منهُ . واعادا عليهِ القِصّة . وسألاهُ الحكم * فقال : قد فهمتُ مَقالتكما . واستوعبتُ دعواكما . وانا مبتدِئُكما بالنصيحة قبلَ الحُكم . وآمِرُكما بتقوى الله وأَنْ لا تطلُبا الّا الحقّ . فانّ طالب الحقّ هو الذي يُفلِحُ وإِنْ قُضي عليهِ . وطالب الباطل مخصوم وإِنْ قُضي لهُ * وليس لصاحب الدنيا من دُنياهُ شيءٌ . لا مالٌ ولا عملٌ . سوى العملِ الصالح يقدّمهُ . فذو العقل حقيقٌ أَنْ يكون سَعيُهُ في طلب ما يدوم ويعود عليهِ نَفعُهُ في

الآخِرة . وأَنْ يُعرِض عمّا سوى ذلك من امور الدنيا * فإنّ منزلة المال عند العاقل بمنزلة المَدَر . ومنزلةُ الناسِ في ما يُحِبُّ لهم من الخير ويكرَه من الشرّ بمنزلة نفسهِ * ثمّ إنّهُ لم يزَلْ يقُصّ عليهما من جنس هذا وأَشباههِ . حتّى أَنِسا اليهِ واقبلا عليهِ . ودَنَوَا منهُ كلّ الدُّنوّ . فوثَب عليهما فمزّقهما ايَّ ممزّقٍ * قال الغُراب : ثمّ إنّ البُوم يجمع مع ما وصفتُ لكُنّ من الشؤم سائرَ العيوب . فلا يكونَنّ تمليكُ البوم من رأيكنّ *

فلمّا سمعت الكراكيُّ ذلك من كلام الغُراب . أَضربن عن تمليك البوم . وكان هناك بُومٌ حاضرٌ قد سمع ما قالوا . فقال للغُراب : لَقد وتَرتني اعظمَ التِرة . ولا اعلمُ سَلَفَ منّي اليك سوءٌ أَوْجبَ هذا

أم لا * وبعدُ فاعلم أنّ الفاسَ يُقطَع بهِ الشجر فيعود ينبت. والسيفُ يقطع اللحم فيعود فيندمل. واللسانُ لا يندمل جُرحهُ ولا تُوسى مَقَاطِعهُ. والنَّصْل من السهم يَغيب في اللحم ثمّ يُنزَع فيُخرَج * وأشباهُ هذا النصولُ من الكلام: اذا وصلتِ القلب. لم تُنتزَع ولم تُستخرَج * ولكلّ حريقٍ مُطفئٌ. فللنار الماءُ. وللسمّ الدواءُ. وللحُزن الصبر. وللعِشق الفِرقة. ونارُ الحِقد لا تخبو ابدًا. وقد غرستم معاشرَ الغِربان بيننا وبينكم شَجَرَ الحِقد والعداوة والبَغضاء * فلمّا قضى البومُ مَقالتهُ. ولّى مُغضبًا. فأخبر مَلِكَ البُوم بما جرى وما كان من قول الغُراب * ثمّ إنّ الغُراب نَدِم على ما فرَط منهُ. وقال: والله لقد خَرِقتُ في قولي الذي جلبتُ بهِ العداوة والبَغضاء على نفسي وقومي.

وليتني لم أُخبِرِ الكراكيَّ بهذه الحال ولا اعلمتها بهذا الامر. ولعلَّ اكثرَ الطيرِ قد رأى اكثرَ مما رأيتُ وعَلِمِ أضعافَ ما علمتُ. فمنعها من الكلام بمثْل ما تكلمتُ أتقاءَ ما لم أتقِ والنظرُ في ما لم انظُرْ فيهِ من حِذار العواقب. ولاسيما الكلامِ الذي يلقى منهُ سامعهُ وقائلهُ المكروهَ. وما يُورِث الحِقْد والضغينة * فلا ينبغي لأشباهِ هذا الكلام أَنْ تُسمَّى كلامًا. لكنْ سِهامًا. والعاقل وإِنْ كان واثقًا بقوَّتهِ وفضلهِ. فلا يَحمِلهُ ذلك على أَنْ يَجلب العداوة على نفسهِ أتكالاً على ما عندهُ من الرأي والقوَّة. كما أَنَّهُ وإِنْ كان عندهُ النِرياق. لا ينبغي لهُ أَنْ يشرَب السمَّ أتكالاً على ما عندهُ * وصاحبُ حُسْن العمل وإِنْ قَصُرَ بهِ القولُ في مُستقبَل الامر. كان فضلهُ بيِّنًا في

العاقبة والاختبار * وصاحب حُسْنِ القول وإنْ
اعجب الناسَ حُسْنُ صِفتهِ للامور. لم يَحْمَدْ غِبَّ
امرهِ * وانا صاحبُ القول الذي لا عاقبةَ لهُ .
أَوَليس من سَفَهي اجترائي في التكلُّم في جسيمةٍ لا استشيرُ
فيها احدًا ولا ارتأي فيها * وإنَّهُ مَنْ لم يستشرِ
النُّصحاءَ الاولياءَ وعَمِل برأيهِ من غير تكرارِ النَّظَر
والرَّويَّة . لم يغتبط بمواقع رأيهِ * فما كان اغناني عمَّا
كَسَبْتُ يومي هذا وما وقعتُ فيهِ من الهمّ * فهذا
ما سألتَني عنهُ من ابتداءَ العداوة بيننا وبين البوم .
وأمَّا القِتالُ فقد علمتَ رأيي فيهِ وكَراهتي لهُ . ولكنَّ
عندي من الرأي والحيلة غيرَ القتالِ ما يكون فيهِ
الفَرَجُ إنْ شاءَ الله تعالى . فانَّهُ رُبَّ قومٍ احتالوا
بآرائهم حتَّى نظروا ما ارادوا . ومن ذلك حديث

الجماعة الذين ظَفِروا بالناسك واخذوا عريضهُ *
قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال الغُراب: زعموا أنَّ ناسكًا اشترى عريضًا ضَخمًا ليجعلهُ قُربانًا. وانطلق بهِ يقودهُ * فبَصُر بهِ قومٌ من المَكَرة. فأتمروا بينهم أَنْ ياخُذوهُ منهُ. فعرَض لهُ احدهم. فقال: ما هذا الكلب الذي معك * ثمَّ عرض لهُ الآخَر. فقال لصاحبهِ: ما هذا ناسكًا. لانَّ الناسكَ لا يقود كلبًا * فلم يزالوا معهُ على هذا ومثلهِ. حتَّى لم يشُكَّ أنَّ الذي يقودهُ كلبٌ. وأنَّ الذي باعهُ لهُ سَحَرَ عينيهِ. فاطلقهُ من يدهِ. فاخذهُ المحتالون ومضوا بهِ *

وانَّما ضربتُ لك هذا المَثَل لِما ارجو أَنْ نُصيب من حاجتنا بالرِفق والحيلة. وإنّي اريد من الملك

أَنْ ينقرُني على رؤوس الأشهاد . ويَنتِفَ ريشي وذَنبي.
ثمّ يطرَحني في اصل هذه الشجرة . ويرتحل الملكُ هو
وجنودهُ الى مكانِ كذا . فارجو أنّي أَصبِر واطّلع على
أَحوالهم ومواضع تحصينهم وأَبوابهم . فاخادعهم وآتي
اليكم لنَهجِم عليهم وننال منهم غرَضَنا إِنْ شآءَ الله تعالى *
قال الملك : أَتطيب نفسُك لذلك * قال : نعم .
وكيف لا تَطيب نفسي لذلك وفيهِ اعظم الراحات
للملك وجنودهِ . ففعل الملك بالغُراب ما ذكر *
ثمّ ارتحل عنهُ . فجعل الغُراب يئِنّ ويهمِس . حتى
سمعتهُ البُوم ورأَتهُ يَئِنّ . فاخبرنَ ملِكَهنّ بذلك .
فقصد نحوهُ ليسئَلَهُ عن الغِربان * فلمّا دنا منهُ . امر
بوماً أَنْ يسئَلَهُ . فقال لهُ : مَن انت . واين الغِربان *
فقال : أَمّا اسمي ففلان . وأَمّا ما سألتني عنهُ فانّي

احسِبك ترى أنّ حالي حالُ مَن لا يعلم الاسرار *
فقيل لملك البوم: هذا وزيرُ مَلِك الغِربان وصاحبُ
رأيهِ . فلنسألْهُ بايّ ذَنْب صُنع بهِ ما صُنع * فسُئل
الغُراب عن امرهِ . فقال: إنّ مَلِكنا استشار جماعتنا
فيكنّ . وكنتُ يومئذٍ بمحضرٍ من الامر . فقال: ايّها
الغِربان ما ترون في ذلك . فقلتُ: ايّها الملك لا
طاقةَ لنا بقِتال البُوم . لانهنّ اشدُّ بطشًا واحدٌ قلبًا
منّا . ولكنْ ارى أنْ نلتمس الصلح ثمّ نَبذِل الفِدْية في
ذلك . فإنْ قبلَتِ البُوم ذلك منّا . والّا هربْنا في
البلاد * وإذا كان القتال بيننا وبين البوم . كان
خيرًا لهنّ وشرًا لنا . فالصلح افضلُ من الخصومة *
وامرتُهنّ بالرجوع عن الحرب . وضربتُ لهنّ الأَمثال
في ذلك . وقلتُ لهنّ: إنّ العدوّ الشديد لا يُرَدّ

باسُهُ وغضبهُ بمثلِ الخضوع لهُ . ألَا تَرَيْنَ الى الحشيش كيف يسلمُ من عاصف الريح لِلينهِ وميلهِ معها حيثُ مالت * فعصينني في ذلك . وزعمن أنَّهنَّ يُرِدْنَ القتال . واتَّهمنني في ما قلتُ . وقلن : إنَّك قد مالأْتَ البُومَ علينا * ورددنَ قولي ونصيحتي . وعذَّبنني بهذا العذاب . وتركني المَلِكُ وجنودهُ وارتحل . ولا عِلمَ لي بهنَّ بعد ذلك * فلمَّا سمع ملك البوم مَقالة الغُراب . قال لبعض وُزرائهِ : ما تقول في الغراب . وما ترى فيهِ * قال : ما ارى الَّا المعالجة لهُ بالقتل . فانَّ هذا افضلُ عدد الغِربان . وفي قتلهِ لنا راحةٌ من مكروهٍ . وفقدهُ على الغِربان شديد * ويقال : مَن ظَفِر بالساعة التي فيها ينجح العمل ثمَّ لا يعالجهُ بالذي ينبغي لهُ . فليس بحكيمٍ . ومَن طلب الامر الجسيم

فأمكنهُ ذلك فاغفلهُ . فاتهُ الامر . وهو خليقٌ أنْ لا تعود لهُ الفُرصة ثانيةً . ومَن وجد عدوَّهُ ضعيفًا ولم يُنجِزْ قتلهُ . نَدِم اذا استقوى ولم يقدرْ عليهِ * قال الملك لوزيرٍ آخَر: ما ترى انت في هذا الغُراب * قال : أرى أنْ لا نقتلهُ. فانَّ العدوَّ الذليل الذي لا ناصرَ لهُ اهلٌ لِأنْ يُستبقَى ويُرحَم ويُصفَح عنهُ. ولا سيَّما المستجير الخائف. فانَّهُ اهلٌ لأنْ يؤمَّن * قال لوزيرٍ آخَر من وزرآئهِ: ما تقول في الغُراب * قال: اری أنْ تستبقيهُ وتُحسِن اليهِ. فانَّهُ خليقٌ أنْ ينصحك. والعاقل يرى مُعاداةَ بعضِ اعدآئهِ بعضًا ليظفر ظَفَرًا حَسَنًا. ويرى اشتغال بعض الاعدآء ببعض ليبلُغَ خلاصًا لنفسهِ منهم ونجاةً. كنجاة الناسك من اللصّ والشيطان حين اختلفا عليهِ * قال المَلِك: وكيف كان ذلك *

قال الوزير: زعموا أنّ ناسكًا اصاب من رجلٍ بقرةً حلوبةً. فانطلق بها يقودها الى منزلهِ. فعرض لهُ لصٌّ فأراد سرقتها. وتبعهُ شيطانٌ يريد اختطافهُ* فقال الشيطان للّصّ: مَن انت* قال: انا اللّصّ. أُريد ان اسرِق هذه البقرة من الناسك اذا نام. فمَن انت* قال: انا الشيطان أُريد ان اختطفهُ هو اذا نام واذهب بهِ* فانتهيا على هذا الى المنزل. فدخل الناسك منسِكهُ. ودخلا هما خلفهُ. وادخل البقرة فربطها في زاوية المنزِل. وتعشّى ونام* فاقبل اللّصّ والشيطان يأتمران فيهِ. واختلفا على مَن يبدأ بشُغلهِ اوّلاً* فقال الشيطان للّصّ: إنْ انت بدأْتَ بأخذ البقرة. ربّما استيقظ وصاح. واجتمع الناس. فلا اقدَر على اخذهِ. فانتظِرْني ريثما آخذهُ. وشأنك

وما تريد * فاشفق اللّصُّ إنْ بدأ الشيطان باختطافهِ . أنْ يستيقظ فلا يقدرَ على اخذ البقرة . فقال : لا . بل أنظرني انت حتّى آخُذَ البقرة . وشانُك وما تُريد * فلم يزالا في المجادلة هكذا . حتّى نادى اللصّ : ايّها الناسك انتبهْ . فهذا الشيطان يُريد اختطافك . ونادى الشيطان : ايّها الناسك انتبه . فهذا اللصّ يريد أن يَسرِق بقرتك * فانتبه الناسك وجيرانهُ بأصواتهم . وهرب الخبيثان *

قال الوزير الاوّل الذي اشار بقتل الغُراب : اظُنّ انّ الغُراب قد خدعكنّ . ووقع كلامهُ في نفس الغبيّ منكنّ موقِعَهُ . فترِدْن ان تضَعن الرأي في غير موضعهِ * فمهلاً مهْلاً ايّها الملك عن هذا الرأي . ولا تكونَنّ كالصائغ الذي كذّب بما رأى . وصدّق بما

سمع. وانخدع بالمحال * قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال الوزير: زعموا أنّهُ كان رجلٌ صائغٌ. وكان لهُ امرأةٌ يحبّها. وكان قد بلغهُ عنها أنّها تدخل مع اخيها في غيابهِ الى خزانتهِ فيفتحُ لها الصندوق بمفتاح مغشوش. فتسرق من الذهب والفضّة ما بدا لها * ولم يكن يصدّق بذلك. حتّى يراهُ عِيانًا ليقابِل امرأتهُ بحقّ * فقال لها: اريد الذّهاب الى قريةٍ كذا. وهي منّا على فراسخَ. لبعض عَمَلٍ للسّلطان. فأعدّي لي زادًا * ففرحت المرأة حيث يذهب. ويخلو وجهها بأخيها * ثمّ لمّا اراد الخروج. قال لامرأتهِ: استوثقي من الباب والمَمْرَق * واراها أنّهُ يخرُج. وعطف الى مكانٍ خفيٍّ خلفَ الباب. فاختفى فيهِ. فانسلّ

ودخل الخزانةَ واختفى تحت سريرٍ كان هناك * ثمَّ
إنَّ المرأة ارسلت الى اخيها أنْ : إيتِ * فأتاها .
وخلا بها في المنزلِ طولَ الليل . وفتحا الصندوقَ .
وشرعا يعُدّان قِطَعَ الذهب والفِضّة ويحسُبانها *
ثمَّ إنَّ الصائغ غلبهُ النُّعاس . فنام . فمدَّ رِجلْهُ .
فخرجت من تحتِ السرير * فلمَّا رآتها زوجتهُ . عرفتها
فايقنت بالشرّ . فقالت لاخيها : سَلني وارفعْ صوتك .
وقُلْ : أيُّما احبُّ اليكِ . زوجُكِ ام انا * فسألها .
فقالت : ما يضطرّك الى هذه المسألة . الم تعلَمْ أنّا
معاشرَ النِساءِ أنَّما غايةُ مُنيتنا أنْ نسلُبَ العالم
ونجمع كلَّ شيءٍ الى بيت زوجنا . وكلُّ امرأةٍ عاقلة
تستعمل جميعَ مَن لها من الاقرباءِ لمنفعة زوجها . فانَّ
الزوجَ هو اعزُّ من الوالد والاخ . وانت أنَّما دعوتُك

الى هنا لتفرح معي في غِياب زوجي بكَثرة ما عندهُ من الذهب والفِضّة والجواهر. فقبحَ اللهُ امرأةً لا يكون زوجها عديلَ نفسها * فلمّا سمع زوجها كلامَها. رقّ لها واخذتهُ الرحمة. وغلبتهُ العَبْرة ووَثِق منها بالمودّة والخلوص. ولم يبرحْ من مكانهِ حتّى اصبح وايقن أنّ اخاها قد ذهب * ثمّ خرج من تحتِ السرير. فوجد امرأتهُ نائمة. فقعد عند رأسها يروّحها * فلمّا انتبهت: قال لها يا حبيبةَ قلبي نامي. فقد بِتِّ ساهرةً. ولولا كراهةُ ما يسوءكِ. لكان بيني وبين اخيكِ صَخَبٌ وأمرٌ شديد * وانّما ضربتُ لك هذا المَثَل ارادةَ أنْ لا تكون كذلك الصائغ الذي كذّب بما رأى وصدّق بما سمع * فلم يلتفتِ الملك الى قولهِ. وامر بالغُراب أنْ يُحمَل الى منازِل البُوم ويُكرَم ويُستوصَى

بهِ خيرًا * ثمَّ إنَّ الغُراب قال للملك يومًا . وعندهُ جماعةٌ من البُوم . وفيهنَّ الوزير الذي اشار بقتلهِ : ايُّها الملك قد علمتَ ما جرى عليَّ من الغِربان . وإنَّهُ لا يستريح قلبي دون اخذي بثاري منهنَّ . وإنّي قد نظرتُ في ذلك . فاذا بي لا اقدَر على ما رُمْتُ لانّي غُرابٌ * وقد رُوي عن العلماءَ أنّهم قالوا : مَن طابت نفسهُ بان يُحرِقها . فقد قرَّب لله اعظمَ القُربان . لا يدعو عند ذلك بدَعوةٍ الاَّ استُجيب لهُ * فان رأى الملك أنْ يامُرَني فأحرِقَ نفسي . وادعُوَ ربّي أنْ يحوّلني بُومًا . فاكونَ اشدَّ عداوةً واقوى باسًا على الغِربان . لعلّي انتقم منهنَّ * قال الوزير الذي اشار بقتلهِ : ما اشبهكَ في خيرِ ما تُظهر وشرِّ ما تُخفي الاَّ بالخَمرة الطيّبة الطَعْمِ

والريحِ المنقعِ فيها السمُّ. أرأيتَ لو احرقنا جسمك بالنار. كان جوهرك وطباعك متغيرة. اليست أخلاقك تدور معك حيثما درتَ. وتصير بعد ذلك الى اصلك وطويتك. كالفارة التي خيّرت في الأزواج بين الشمس والريح والسحاب والجبل. فلم يقع اختيارها الأعلى الجرذ * قيل له: وكيف كان ذلك *

قال: زعموا انهُ كان ناسكٌ مستجاب الدعوى. فبينما هو ذاتَ يومٍ جالسٌ على ساحل البحر. اذ مرّت به حِدَأَةٌ في رِجلها دِرْصُ فارة. فوقعت منها عند الناسك. وادركتهُ لها رحمةٌ. فأخذها ولفّها في ورقة. وذهب بها الى منزلهِ * ثمّ خاف أنْ تشقّ على اهلهِ تربيتُها. فدعا ربّهُ أنْ يحوّلها جاريةً حسناء. فانطلق بها الى امرأتهِ. فقال لها: هذه ابنتي. فاصنعي

معها صنيعكِ بولدي * فلمّا بلغت مبلَغَ النساءَ. قال لها الناسك: يا بُنيّةُ. إنّكِ قد ادركتِ. ولا بُدَّ لكِ من زوجٍ. فاختاري من أحببتِ حتى ازوّجكِ منهُ * فقالت: أمّا اذا خيّرتني. فانّي اختار زوجًا يكون اقوى الاشياءَ * فقال الناسك: لعلّكِ تريدين الشمس * ثمّ انطلق الى الشمس: فقال: ايّها الخلقُ العظيم. لي جاريةٌ. وقد طلبتْ زوجًا يكون اقوى الاشياءَ. فهل انتَ متزوّجُها * فقالت الشمس: انا ادُلّك على مَن هو اقوى منّي: السّحابُ الذي يغطّيني. ويرُدُّ حِرمَ شُعاعي. ويكسِف أشِعّةَ أنواري * فذهب الناسك الى السّحاب. فقال لهُ ما قال للشمس * فقال السّحاب: وانا ادُلّك على مَن هو اقوى منّي: اذهبْ الى الريح التي تُقبِل بي وتُدبِر.

وتذهب بي شرقًا وغربًا * فجآء الناسك الى الريح . فقال لها كقولهِ للسَّحاب . فقالت : وإنا ادُلُّك على مَن هو اقوى منّي . وهو الجبل الذي لا اقدَرُ على تحريكهِ * فمضى الى الجبل فقال لهُ القولَ المذكور . فاجابهُ الجبل وقال لهُ : انا ادُلُّك على مَن هو اقوى منّي : الجُرَذ الذي لااستطيع الامتناعَ منهُ اذا خرَقني واتّخذني مسكِنًا * فانطلق الناسك الى الجُرَذ فقال لهُ : هل انت متزوّجٌ هذه الجارية . فقال : وكيف اتزوّجها وغاري ضيقٌ . وإنّما يتزوّجُ الجُرَذُ الفارةِ * فدعا الناسك ربّهُ أن يحوّلها فارةً كما كانت . وذلك برِضاء الجارية . فأعادها الله الى عنصُرها الاوّل . فانطلقت مع الجُرَذ *

فهذا مثلك ايها المخادع *فلم يلتفتْ مَلِكُ البوم

الى ذلك القول . ورَفِق بالغُراب . ولم يزدَدْ له الّا اكرامًا . حتى اذا طاب عَيشُهُ . ونبت رِيشُهُ . واطّلع على ما اراد أنْ يطّلع عليهِ . راغ روغةً فأتى اصحابَهُ بما رأى وسمع * فقال للمَلِك : إنّي قد فرِغتُ ممّا كنتُ اريد . ولم يبقَ الّا أنْ تسمع وتُطيع * قال له : انا والجُندُ تحت امرك . فاْحتكِمْ كيف شئتَ * قال الغراب : إنّ البُومَ بمكانٍ كذا في جبلٍ كثير الحَطَب . وفي ذلك الموضع قطيعٌ من الغَنَم مع رجلٍ راعٍ . ونحن مُصيبون هناك نارًا . ونُلقيها في أثقابِ البُوم . ونَقذِف عليها من يابِسِ الحَطَب . ونتراوح عليها ضربًا بأجنحتنا حتى تضطرمَ النار في الحَطَب . فمَن خرج منهنّ . احترق . ومَن لم يخرُج . مات بالدُّخان موضِعَهُ * ففعل الغِربان ذلك . فاهلكن البوم قاطبةً . ورجعن

الى منازلهنّ سالماتٍ آمناتٍ * ثمّ انّ ملك الغربان
قال لذلك الغُراب: كيف صبرت على صُحبة البوم.
ولا صَبرَ للأخيار على صُحبة الأشرار * فقال الغراب:
إنّ ما قلتَهُ ايّها الملك لَكذلك. ولكنّ العاقل اذا
اتاهُ الامرُ الفظيع العظيم الذي يخاف من عَدَم
تحمّلهِ الجائحةَ على نفسهِ وقومهِ. لم يجزَعْ من شِدّة
الصبر عليهِ لِما يرجو من أنْ يُعقبَهُ صبرُهُ حُسنَ
العاقبة وكثير الخير * فلم يجِدْ لذلك ألمًا. ولم تكره
نفسهُ الخضوعَ لمن هو دونَهُ. حتّى يبلُغَ حاجتَهُ فيغتبطَ
بخاتمةِ امرهِ وعاقبة صبرهِ * فقال الملك: أخبِرْني عن
عقول البُوم * قال الغراب: لم اجد فيهنّ عاقلاً الاّ
الذي كان يحثّهنّ على قتلي. وكان يحرّضهنّ على
ذلك مِرارًا. فكنّ اضعفَ شيءٍ رأيًا. فلم ينظُرْن في

امري ويذكرن أنّي قد كنتُ ذا منزلةٍ في الغربان. وأنّي أُعَدُّ من ذوي الرأي* ولم يتخوّفن مكري وحيلتي. ولا قَبِلن من الناصح الشفيق. ولا أَخْفَيْن دوني أسرارهنّ* وقد قالت العلمآء: ينبغي للملك أَنْ يُحصِنَ امورَهُ من اهل النميمة. ولا يُطلِعَ احدًا منهم على مواضع سِرّهِ* فقال الملك: ما أَهْلَكَ البُومَ في نفسي الاّ البَغْيُ وضُعْفُ رأي الملك وموافقتهُ وزرآءَ السوء* فقال الغُراب: صَدَقتَ ايها الملك: إِنّهُ قَلّما ظَفِرَ احدٌ بغِنًى ولم يُطْغَ. وقلّما حَرِص الرجلُ على النِسآء ولم يفتضح. وقلّ من اكثَرَ من الطعام ولم يمرَضْ. وقلّ مَن وَثِق بوزرآء السوء وسَلِم من أَنْ يقعَ في المَهالك* وكان يقال: لا يطمعَنّ ذو الكِبْر في حُسْن الثّنآء. ولا الخِبُّ في كَثرة الصِدق. ولا

السيّئ الادبِ في الشَّرَف. ولا الشحيحُ في البِرّ. ولا الحريصُ في قِلّة الذنوب. ولا المَلِك المحتال المتهاون بالامور الضعيفُ الوزرآء في ثبات مُلكهِ وصَلاح رعيّتهِ * قال الملك: لَقد احتملتَ مشقّةً شديدةً في تصنّعك للبوم وتضرّعك لهنّ * قال الغُراب: إنّهُ مَن احتمل مَشقّةً يرجو نفعها. ونحّى عن نفسهِ الأنَفَةَ والحَمِيّةَ. ووطّنها على الصبر. حَمِدَ غِبَّ رأيهِ. كما صبر الأسْوَد على حَمْلِ مَلِك الضفادع على ظهرهِ. وشَبِع بذلك وعاش * قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال الغُراب: زعموا أنّ أسْوَدَ من الحيّات كَبُرَ. وضَعُفَ بَصَرُهُ. وذهبت قوّتُهُ. فلم يستطِعْ صيدًا. ولم يقدَرْ على طَعام * وإنّهُ انسابَ يلتمس شيئًا

يَعِيش بِهِ. حتّى انتهى الى عينٍ كثيرةِ الضفادع. قد كان ياتيها قبلَ ذلك فيُصيب من ضفادعها رِزقَهُ * فرمى نفسهُ قريبًا منهنّ مُظهِرًا للكآبة والحُزْن. فقال لهُ ضِفدِعٌ: ما لي اراك ايّها الأَسْوَد كئيبًا حزينًا * قال: ومَن أَحرَى بطُول الحُزْن منّي. وانّما كان اكثرُ معيشتي ممّا كنتُ أُصيب من الضفادع. فابتُليتُ ببلآءٍ حُرِّمتْ عليّ الضفادع من اجلهِ. حتّى أنّي اذا التقيتُ ببعضها. لا اقدرُ على إمساكهِ * فانطلق الضِفدِع الى مَلِك الضفادع. فبشّرَهُ بما سمع من الأَسْوَد * فأَتى مَلِكُ الضفادعِ الى الاسود فقال لهُ: كيف كان امرُك * قال: سَعَيْتُ مُنْذ أَيّامٍ في طلب ضِفدِع. وذلك عند المسآء. فاضطَررتُهُ الى بيت ناسكٍ. ودخلتُ في أَثرِهِ في

الظُّلمة. وفي البيت ابنٌ للناسك. فأَصَبتُ إِصبعهُ. فظننتُ أَنَّها الضِفدِع فلدغتُهُ فمات * فخرجتُ هاربًا. فتبِعني الناسك في اثري. ودعا عليَّ ولعنني وقال: كما قتلتَ ابنيَ البريءَ ظُلمًا وتَعدِّيًا. كذلك ادعو عليك أَنْ تَذِلَّ وتصير مركبًا لِمَلِك الضفادع. فلا تستطيعَ اخذَها ولا اكلَ شيءٍ منها الأَ ما يتصدَّق بهِ عليك مَلِكُها * فأَتيتُ اليك لتركبَني مُقِرًّا بذلك راضيًا بهِ * فرغِب ملك الضفادع في ركوب الأَسْوَد. وظنَّ أَنَّ ذلك فخرٌ لهُ وشرف ورِفعةٌ. فركِبَهُ واستطاب ذلك * فقال لهُ الاسود: قد علِمتَ ايها الملك العادل أَنّي محروم. فأجعل لي رِزقًا اعيش بهِ * قال مَلِكُ الضفادع: لَعَمري لا بُدَّ لك من رِزقٍ يقوم بك اذ كنت

مركبي * فأمر لهُ بضِفدِعَيْن يُوخَذان في كلّ يوم ويُدفَعان اليهِ • فعاش بذلك . ولم يضُرَّهُ خضوعهُ للعدوّ الذليل . بل انتفع بذلك وصار لهُ رِزقًا ومَعِيشة * وكذلك كان صبري على ما صرتُ اليهِ التماسًا لهذا النفع العظيم الذي اجتمع لنا فيهِ الأَمْنُ والظفَرُ وهَلاكُ العدوّ والراحة منهُ . ووجدتُ صَرْعةَ اللين والرِفق اسرعَ واشدّ استئصالاً للعدوّ من صَرعة المُكابَرة . فانّ النار لا تزيدُ بحِدّتها وحرّها اذا اصابت الشجرةَ على أَنْ تُحرِقَ ما فوقَ الارض منها . والماء ببَرْدهِ ولِينهِ يستاصل ما تحت الارض منها * ويقال : اربعةُ اشياء لا يُستقَلّ قليلُها : النارُ والمرض والعدوّ والدَّيْن * قال الغراب : وكلّ ذلك كان من رأي الملك وادبهِ وسَعادة

جَدِّهِ. وإنّهُ كان يقال: اذا طلب اثنان امرًا. ظَفِرَ بهِ منهما افضلُهما مُرُوءةً. فإن اعتدلا في المروءة. فأشدُّهما عزمًا. وإن استويا في العزم. فأسعدهما جَدًّا * وكان يقال: مَن حارب الملك الحازم الاريب المتضرّع الذي لا تُبطِرُهُ السرّآء. ولا تُدهِشهُ الضرّآء. كان هو داعِيَ الحَتْفِ الى نفسهِ. ثمّ لاسيّما اذا كان مِثْلَك. ايّها المَلِك العالِمُ بفرض الأعمال ومواضع الشدّة واللِين والغضب والرِضآء والمعاجَلة والأَناة. الناظرُ في امر يومهِ وغدِهِ وعواقب أعمالهِ * قال الملك للغُراب: بل برأيك وعقلك ونصيحتك ويُمن طالعك كان ذلك. فانّ رَأْيَ الرجل الواحد العاقل الحازم ابلغُ في هلاك العدوّ من الجنود الكثيرة من ذوي الباس والنجدة والعدد والعُدّة *

وإنَّ من عجيب امرك عندي طُولَ لَبثِك بين ظَهرَانَي البُوم. تسمع الكلام الغليظ. ثمَّ لم تسقُطْ بينهنَّ بكلمةٍ * قال الغُراب: لم ازلْ متمسكًا بأدبك ايُّها الملك. أصحبُ البعيدَ والقريبَ بالرِفق واللِين والمبالغة والمؤاتاة * قال الملك: اصبحتُ وقد وجدتُكَ صاحبَ العمل. ووجدتُ غيرَك من الوزراء أصحابَ اقاويلَ ليس لها عاقبةٌ حميدة. فقد مَنَّ الله علينا بك مِنَّةً عظيمة لم نكُن قبلَها نجد لَذَّة الطَّعام ولا الشَّراب ولا النوم ولا القَرار * وكان يقال: لا يَجِد المريض لَذَّةَ الطعام والنوم حتَّى يبرأ. ولا الرجل الشَّرِه الذي قد اطمعهُ سلطانهُ في مالٍ وعملٍ في يدِهِ حتَّى يُنجِزَهُ. ولا الرجل الذي قد الحَّ عليهِ عدوُّهُ وهو يخافهُ صباحًا ومساءً حتَّى يستريح

منهُ قلبهُ • ومَن وضع الحِمْل الثقيل عن يدهِ . اراح نفسهُ • ومَن أَمِن عدوّهُ . ثلَج صدرهُ * قال الغراب: أَسأل الله الذي اهلك عدوّك أَنْ يمتّعك بسُلطانك . وأَنْ يجعل في ذلك صَلاحَ رعيّتك . ويُشرِكهم في قُرّة العين بمُلْكك . فانّ المَلِك اذا لم يكن في ملكهِ قُرَّةُ عيون رعيّتهِ . فمثَلهُ مَثَلُ زَنَمة العنزِ التي يمُصّها الجَدْيُ وهو يَحْسَبها حَلَمةَ الضّرع . فلا يصادف فيها خيرًا * قال الملك : ايها الوزير الصالح كيف كانت سيرةُ البُوم ومَلِكها في حروبها وفي ما كانت فيهِ من امورها * قال الغُراب : كانت سيرتهُ سيرةَ بَطَرٍ وأَشَرٍ وخُيَلاءَ وعجْزٍ وفخر مع ما فيهِ من الصِفات الذميمة • وكلُّ أَصحابهِ ووزرائهِ شبيهٌ بهِ . الّا الوزيرَ الذي كان يُشِير عليهِ بقتلي . فانهُ كان

حكيمًا اريبًا فيلسوفًا حازمًا عالمًا. قلّما يُرَى مِثلهُ في عُلُوّ الهِمّة وكمال العقل وجودة الرأي * قال الملك: وايّ خَصلةٍ رأيتَ منهُ كانت أَدَلّ على عقلهِ * قال: خلّتان. إحداهما رأيهُ في قتلي. والأُخرى أَنّهُ لم يكن يكتمُ صاحبهُ نصيحتهُ وان استقلّها. ولم يكن كلامهُ كلامَ عُنف. بل كلامَ رِفقٍ ولِينٍ. حتى أَنّهُ ربّما اخبرهُ ببعض عيوبهِ وهو لا يصرّحُ بحقيقة الحال. بل يَضرِب لهُ الأَمثال. ويحدّثهُ بعيب غيرهِ فيَعرِف عيبهُ. فلا يَجِدُ مَلِكهُ الى الغضب عليهِ سبيلاً * وكان مّما سمعتهُ يقول لملكهِ أَنّهُ قال: لا ينبغي للمَلِك أَنْ يغفَل عن امرهِ. فانّهُ امرٌ جسيم لا يظفَرُ بهِ من الناس الّا قليلٌ. ولا يُدرَك الّا بالحَزم * فانّ الملك عزيزٌ. فمن ظَفِر بهِ. فليُحسِنْ حِفظَهُ

وتحصينهُ . فانهُ قد قيل : انهُ في قلّةِ بقائهِ بمنزلةِ قلّةِ
بقاءِ الظلّ عن ورق النيلوفر . وهو في خفّة زوالهِ
وسرعة إقبالهِ وإدباره كالريح . وفي قلّة ثباتهِ كاللبيب
مع اللئام . وفي سرعة اضمحلالهِ كحباب الماء
من وقع المطر * فهذا مثلُ اهلِ العداوة
الذين لا ينبغي ان يُغترّ بهم
وإنْ هم اظهروا تودُّدًا
وتضرُّعًا *

انقضى باب البوم والغربان

الباب التاسع

باب القرد والغيلم

قال دَبْشَليمُ المَلِكُ لبِيدَبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المَثَل. فاضرِبْ لي مَثَلَ الرجل الذي يطلُب الحاجة. فاذا ظَفِر بها. اضاعها * قال الفيلسوف: إنَّ طَلَب الحاجة اهوَنُ من الاحتفاظ بها. ومن ظفِر بحاجة. ثمَّ لم يُحْسِن القيامَ بها. اصابهُ ما اصاب الغيلَمْ * قال الملك: وكيف كان ذلك * قال بيدبا: زعموا أنّ قِردًا يقال لهُ ماهر كان مَلِكَ القِرَدة. وكان قد كَبُرَ وهرِم. فوثَب عليهِ قِرْدٌ شابٌّ من بيت المملكة. فتغلَّب عليهِ واخذ مكانهُ * فخرج هاربًا على وجههِ. حتّى انتهى الى الساحل. فوجد شجرةً من شَجَر التين. فارتقى اليها. وجعلها

مُقامَهُ * فبينما هو ذاتَ يوم ٍ ياكُلُ من ذلك التين . اذ سقطت من يدهِ تينةٌ في الماء . فسمع لها صوتًا وإيقاعًا . فجعل ياكل ويرمي في الماء . فأطربهُ ذلك . فأكثر من طرح التين في الماء * وثمَّ غيلمٌ كلما وقعت تينةٌ . اكلها * فلمَّا كثُر ذلك . ظنَّ أنَّ القرد انَّما يفعل ذلك لاجلهِ . فرغِب في مصادقتهِ . وأَنِس اليهِ وكلَّمهُ . وأَلِف كلُّ واحد منهما صاحبهُ * وطالت غيبة الغَيلْم عن زوجتهِ . فجزِعت عليهِ . وشكَت ذلك الى جارةٍ لها وقالت : قد خِفتُ أنْ يكون قد عرَض لهُ عارضُ سوءٍ فاغتالهُ . فقالت لها : إنَّ زوجكِ بالساحل قد أَلِفَ قِردًا وأَلِفهُ القِرْد . فهو مؤَاكِلهُ ومُشارِبهُ . وهو الذي قطعهُ عنكِ . ولا يقدَر أنْ يُقيم عندكِ حتى تحتالي لهلاك القِرْد * قالت :

وكيف اصنع * قالت جارتها : اذا وصل اليكِ . فتمارضي . فاذا سألكِ عن حالكِ . فقولي : إنْ الحكماء وصفوا لي قلبَ قِرْدٍ * ثمّ انّ الغيلم انطلق بعد مُدّة الى منزلِهِ . فوجد زوجتهُ سيّئةَ الحالِ مهمومةً . فقال لها الغيلم : ما لي اراكِ هكذا * فاجابتهُ جارتها وقالت : إنّ زوجتك مريضةٌ مسكينة . وقد وصف لها الأطباءُ قلبَ قِرْدٍ . وليس لها دواءٌ سِواهُ * قال الغيلم : هذا امرٌ عسير . من اين لنا قلبُ قِردٍ ونحن في الماء . ولكنْ سأحتال لصديقي * ثمّ انطلق الى ساحل البحر . فقال لهُ القِرد : يا اخي ما حبَسك عنّي * قال لهُ الغيلم : ما حبسني عنك الاّ حَيَائي . فلم أعرِف كيف اجازيك على إحسانك اليّ . وأُريد أنْ تُتِمّ احسانك اليّ بزيارتك لي في

منزلي . فانّي ساكنٌ في جزيرةٍ طيّبة الفاكهة. فاركب ظهري لاسبحَ بك * فرغِب القِرد في ذلك . ونزَل فركِبَ ظهْرَ الغيلم. فسبح بهِ. حتّى اذا قطع بهِ مسافةً . عرَض لهُ قُبحُ ما اضمر في نفسهِ من الغدْر. فنكّس راسهُ * فقال لهُ القرد : ما لي اراك مهتمًّا * قال الغيلم: انّما هَمّي لانّي ذكرتُ أنّ زوجتي شديدةُ المرض. وذلك يمنعني من كثيرٍ ممّا أُريد أنْ ابلُغَهُ من كرامتك وملاطفتك * قال القِرد : إنّ الذي اعرف من حِرصك على كرامتي يكفيك مؤونة التكلّف * قال الغيلم : أجَلْ . ومضى بالقِرد ساعةً . ثمّ توقّف بهِ ثانيةً * فساءَ ظنّ القِرد وقال في نفسهِ : ما احتباسُ الغيلم وإبطاؤهُ الّا لامر. ولستُ آمِنًا أنْ يكون قلبهُ قد تغيّر لي وحال عن مودّتي فاراد بي سوءًا . فانّهُ

لا شيء اخفَّ واسرع تقلُّبًا من القلب * وقد يقال ينبغي للعاقل أنْ لا يغفَل عن التماس ما في نفس اهلهِ ووَلدِهِ وإخوانهِ وصديقهِ عند كلّ امرٍ وفي كلّ لحظةٍ وكلمةٍ وعند القيام والقعود وعلى كلّ حال . فانّ ذلك كلّهُ يشهد لما في القلوب * وقد قالت العلماء : اذا دخل قلبَ الصديق من صديقهِ ريبةٌ . فليأخُذْ بالحَزْم في التحفّظ منهُ . وليتفقّد ذلك في لَحَظاتهِ وحالاتهِ . فانْ كان ما يظُنّ حقًّا . ظفِر بالسلامة . وان كان باطلاً . ظفِر بالحزم . ولم يضُرّهُ ذلك * ثمّ قال للغيلم : ما الذي يَحبِسُك . وما لي اراك مهتمًّا كأنّك تحدّث نفسك مرّةً اخرى * قال الغيلم : يهمّني أنّك تأتي منزِلي فلا تجِدُ امري كما أُحِبّ . لانّ زوجتي مريضة * قال : لا تهتمّ . فانّ

الهمّ لا يُغني عنك شيئاً. ولكن التمسْ ما يُصلحُ زوجتك من الادوية والاغذيــة. فانهُ يقالــ: لِيبذِلْ ذو المال مالهُ في ثلاثةِ مواضعَ: في الصدقة. وفي وقت الحاجة. وعلى الزوجة* قال الغيلم: صدقتَ. وقد قالت الاطبّآء انهُ لا دوآء لها الّا قلب قِرد* فقال القرد في نفسهِ: وَاسوْأتاهُ لقد ادركني الحِرص والشَرَهُ على كِبَر سِنّي حتّى وقعتُ في شرّ ورطةٍ. ولقد صدق الذي قال: يعيش القانع الراضي مستريحاً مطمئنّاً. وذو الحِرص والشره يعيش ما عاش في تعب ونَصَب. وانّي قد احتجتُ الى عقلي في التماس المخرج مما وقعتُ فيهِ* ثمّ قال للغيلم: وما منعك أنْ تعلمني عند منزلي حتّى كنتُ احمِل قلبي معي. وهذه سنّةٌ فينا معاشرَ القِرَدة أنّهُ اذا خرج احدنا لزيارة

صديق . خلّف قلبهُ عند اهلهِ او في موضعهِ لننظر اذا نظرنا الى حَرَم المَزور وليس قلوبنا معنا * قال الغيلم: واين قلبك الآن . قال: خلّفتهُ في الشجرة . فان شئتَ. فارجع بي الى الشجرة حتى آتيك بهِ * ففرح الغيلم بذلك. ثمّ رجع بالقرد الى مكانهِ * فلمّا قارب الساحل. وثب عن ظهرهِ وارتقى الشجرة . فلمّا ابطأ على الغيلم. ناداهُ : يا خليلي احمل قلبك وانزل فقد حبستني * فقال القرد : هيهات. اتظنُّ أنّي كالحمار الذي زعم ابن آوى أنّهُ لم يكن لهُ قلبٌ ولا أُذُنان . قال الغيلم : وكيف كان ذلك *

قال القرد : زعموا أنّهُ كان أسدٌ في أَجَمة . وكان معهُ ابنُ آوى، يأكُلُ من فواضل طعامهِ * فاصاب الاسدَ جَرَبٌ وضَعفٌ شديدٌ وجُهدٌ . فلم يستطع

الصيد. فقال لهُ ابن آوى: ما بالُكَ يا سيّدَ السِّباع قد تغيّرت احوالك * قال: هذا الجَرَب الذي قد اجهدني. وليس لهُ دواءٌ الّا قلبُ حِمارٍ واذُناهُ * قال ابن آوى: ما أيسَرَ هذا. وقد عرفتُ بمكانِ كذا حِمارًا مع قصّارٍ يحمِلُ عليهِ ثيابَهُ. وانا آتيك بهِ * ثمّ دلَف الى الحِمار. فاتاهُ وسلّم عليهِ. فقال لهُ: ما لي اراك مهزولاً * قال: ما يُطعِمني صاحبي شيئًا. فقال لهُ: وكيف ترضى المُقامَ معهُ على هذا * قال: ما لي حيلةٌ في الهَرَب منهُ. فلستُ اتوجّه الى جِهةٍ الّا اضرَّ بي انسانٌ فكدّني واجاعني * قال ابنُ آوى: فانا ادلّك على مكانٍ معزولٍ عن الناس. لا يمُرّ بهِ انسانٌ. خِصبِ المرْعى. فيهِ أتانٌ لم ترَ عينٌ مِثلَها حُسنًا وسِمَنًا * قال الحِمار: وما يحبِسُنا عنها. فانطلق

بنا اليها * فانطلق بهِ ابن آوى نحوَ الاسد . وتقدَّم ابنُ آوى ودخلَ الغابةَ على الاسد . واخبرهُ بمكان الحمار * فخرج اليهِ . فاراد أنْ يَثِبَ عليهِ . فلم يستطعْ لضَعفهِ . وتخلّص الحمارُ منهُ . فافلت هَلَعًا على وجههِ * فلمّا راى ابنُ آوى أنَّ الاسدَ لم يقدَرْ على الحمار . قال لهُ : أعجزتَ يا سيّدَ السباع الى هذه الغاية * فقال لهُ : إنْ جئتَني بهِ مرّةً أُخرى . فلن ينجو منّي ابدًا * فمضى ابنُ آوى الى الحمار . فقال لهُ : ما الذي جرى عليك . إنَّ الذي رايتَهُ كان اتانًا اقبلت لتحيّيك . وقد أُعِدَّ لك عَلَفٌ سمين * فلمّا سمع الحمار بذِكر الأتان والعَلَف . اخذ طريقهُ الى الاسد ثانيةً . فسبقهُ ابنُ آوى الى الاسد واعلمهُ بمكانهِ . وقال لهُ : استعِدَّ لهُ . فقد خدعتهُ لك . فلا يُدرِكنَّك الضَّعفُ في هذه

النوبة . فانهُ إنْ افلت . فلن يعود معي ابدًا * فجاش جاشُ الاسد لتحريضِ ابن آوى لهُ . وخرج الى موضع الحمار . فلمَّا بصُرَ بهِ . عاجلهُ بوثبةٍ افترسهُ فيها . ثمَّ قال : قد ذكرتِ الاطبَّآءِ أنْ لا يوكَل الَّا بعد الغسل . فاحتفِظ بهِ حتَّى اعود . فآكُل قلبَهُ وأُذنيهِ واترُك ما سوى ذلك قوتًا لك . فلمَّا ذهب الاسد ليغتسِل . عمد ابنُ آوى الى الحمار . فاكلَ قلبَهُ وأُذنيهِ رجآءَ أنْ يتطيَّر الأسد منهُ فلا ياكُلَ منهُ شيئًا * ثمَّ إنَّ الاسد رجع الى مكانهِ . فقال لابن آوى : اين قلبُ الحمار وأُذناهُ * قال ابن آوى : الم تعلم أنَّهُ لو كان لهُ قلبٌ وأُذنان . لم يرجع اليك بعدما افلت ونجا من الهَلَكة *

وإنَّما ضربتُ لك هذا المَثَل لتعلَم أنِّي لستُ

كذلك الحمار الذي زعم ابنُ آوى أنَّهُ لم يكن لهُ قلبٌ وأُذنان. ولكنَّك احتلْتَ عليَّ وخدعتني. فخدعتُك بمثل خديعتك. واستدركتُ فارطَ امري*

وقد قيل: إِنَّ الذي يُفسِدهُ الحِلمْ. لا يُصلحهُ الاَّ العِلم*

قال الغيلم: صدقتَ. الاَّ أنَّ الرجل الصالح يعترف بزَلَّتهِ. واذا اذنب ذنبًا. لم يستحيِ أَنْ يؤَدَّب لصِدقهِ في قولهِ وفعلهِ. وإِنْ وقع في وَرطةٍ. امكنهُ التخلُّص منها بحيلتهِ وعقلهِ. كالرجل الذي يعثَر على الارض ثمَّ ينهض عليها معتمِدًا* فهذا مَثَل الرجل الذي يطلُب الحاجة فاذا ظفر بها. اضاعها*

انقضى باب القرد والغيلم*

الباب العاشر

باب الناسك وابن عرس

قال دَبْشليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المَثَل. فاضرب لي مَثَلَ الرجل العَجلان في امره من غير رَوِيةٍ ولا نظرٍ في العواقب * قال الفيلسوف: إنّهُ مَن لم يكن في امرهِ متثبتاً. لم يزَل نادماً. ويصير امرُهُ الى ما صار اليهِ الناسك من قتل ابن عِرسٍ. وقد كان لهُ وَدودًا * قال الملك: وكيف كان ذلك* قال الفيلسوف: زعموا أنّ ناسكًا من النُسّاك كان بأرض جُرْجان. وكانت لهُ امرأةٌ جميلةٌ. لها معهُ صُحبة. فمكثا زمانًا لم يُرزَقا ولدًا * ثمّ حملت منهُ بعد الأياس. فسُرّت المرأة وسُرَّ الناسك بذلك. فحَمِدَ اللهَ تعالى وسألهُ أنْ يكون الحَمْل ذكرًا. وقال

لزوجتهِ : أَبشِري . فاني ارجو أَنْ يكونَ غُلامًا لنا فيهِ منافعُ وقُرَّةُ عينٍ . أَختار لهُ احسنَ الاسمآءِ . وأُحضِرُ لهُ سائرَ الادبآءِ * فقالت المرأة : ما يَحمِلك ايُّها الرجلُ على أَنْ تتكلَّمَ بما لا تَدري أَيكون ام لا . ومَن فعل ذلك . اصابهُ ما اصابَ الناسك الذي هَرَاق على راسهِ السَّمْنَ والعسلِ * قال لها : وكيف كان ذلك * قالت : زعموا أَنَّ ناسكًا كان يَجري عليهِ من بيتِ رجلٍ تاجرٍ في كلِّ يومٍ رِزقٌ من السمنِ والعسل . وكان ياكُل منهُ قوتَهُ وحاجتَهُ . ويرفع الباقيَ ويجعلهُ في جرَّةٍ . فيعلِّقها في وتدٍ في ناحية البيت . حتَّى امتلأَت * فبينما الناسكُ ذاتَ يومٍ مُستَلقٍ على ظهرهِ والعكَّازُ في يدهِ والجرَّةُ معلَّقةٌ على راسهِ . تفكَّر في غلآءِ السمنِ والعسل . فقال : سأَبيع ما في

هذه الجَرَّة بدينارٍ . واشتري بهِ عَشَرَ أَعنُزٍ . فيحبلن ويلِدن في كلّ خمسةِ اشهرٍ بطنًا . ولا تلبثُ الاَّ قليلاً حتى تصيرَ غنماً كثيرة اذا وَلَدَتْ اولادُها * ثمَّ حرَّر على هذا النحو سنين . فوجَد ذلك اكثرَ من اربعمايةِ عنز . فقال : انا اشتري بها مائةً من البقر . بكلّ اربعِ أَعنُزٍ ثورًا او بقرةً . واشتري ارضًا وبَذْرًا . واستأجر أُكرةً . وازرع على الثيران . وانتفع بأَلبان الإناث ونِتاجها * فلا تاتي عليَّ خمسُ سنين الاَّ وقد اصبْتُ من الزرع مالاً كثيرًا . فأَبني بيتًا فاخرًا . واشتري إِماءً وعبيدًا . واتزوّج امرأَةً جميلةً ذاتَ حُسنٍ . فتحبلُ وتاتي بغلامٍ سَريٍّ نجيبٍ . فأَختار لهُ احسن الاسماء . فاذا ترعرع . ادَّبتهُ واحسنتُ تاديبهُ * واشدّد عليهِ في ذلك . فإِنْ يقبَلْ منّي . والاَّ ضربتهُ

بهذه العكّازة. واشار بيده الى الجرّة فكسرها. فسال ما كان فيها على وجهه *

وإنّما ضربتُ لك هذا المثل لكي لا تعجّل بذِكر ما لا ينبغي ذِكرهُ. وما لا تدري أيصحّ ام لا يصحّ. فاتّعظ الناسك بما حكت زوجتهُ * ثمّ إنّ المرأة ولَدت غلامًا جميلاً. ففرح بهِ ابوهُ. وبعد ايّامٍ حان لها أن تتطهّر. فقالت المرأة للناسك: اقعدْ عند ابنك. حتّى اذهب الى الحمّام فأغتسل واعود * ثمّ إنّها انطلقت الى الحمّام. وخلّفت زوجَها والغُلام. فلم يلبَثْ أنْ جاءهُ رسول المَلِك يستدعيهِ. ولم يجد مَن يخلفهُ عند ابنهِ غيرَ ابنِ عِرْسٍ داجنٍ عندهُ. كان قد ربّاهُ صغيرًا. فهو عندهُ عديل ولدهِ * فتركهُ الناسك عند الصبيّ. واغلق عليهما البيت.

وذهب مع الرسول * فخرج من بعض أغوار البيت حيَّةٌ سوداء . فدنت من الغُلام. فضربها ابنُ عِرس. ثمَّ وَثَبَ عليها فقتلها. ثمَّ قطَّعَها وامتلأ فمُهُ من دمها* ثمَّ جاء الناسك وفتح الباب . فالتقاهُ ابن عِرس كالمبشِّرِ لهُ بما صنع من قتل الحيَّة . فلمَّا رآهُ ملوَّثًا بالدم وهو مذعورٌ . طار عقلهُ وظنَّ أنَّهُ قد خنق ولدهُ . ولم يتثبَّتْ في امرهِ . ولم يَتَروَّ فيهِ . حتَّى يعلم حقيقة الحال ويعمل بغير ما ظنَّ من ذلك . ولكن عجَّل على ابن عِرس وضربهُ بعكَّاز كان في يدهِ على أُمِّ رأسهِ فمات * ودخل الناسك . فرأى الغُلام سليمًا حيًّا . وعندهُ أَسْوَدُ مقطَّعٌ . فلمَّا عرَف القِصَّة وتبيَّنَ لهُ سوء فِعلهِ في العَجَلة . لطم على رأسهِ . وقال : ليتني لم أُرزَقْ هذا الولد ولم أَغدِرْ هذا الغَدر * ودخلت

امرأتهُ . فوجدتهُ على تلك الحال . فقالت لهُ : ما شانك . فاخبرها بالخبر من حُسْن فِعل ابن عِرس وسوء مكافأتهِ لهُ . فقالت : هذه ثمرةُ العجلة * فهذا مَثَل مَن لا يتثبَّت في امرهِ . بل يفعل أغراضهُ بالسُّرعة والعجلة *

انقضى باب الناسك وابن عرس *

الباب الحادي عشر

باب الجرذ والسنّور

قال دَبْشليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعتُ هذا المَثَل . فاضربْ لي مَثَلَ رَجُلٍ كَثُرَ أعداؤهُ واحدقوا بهِ من كلّ جانب . فاشرف منهم على

الهلاك . فالتمس النجاةَ والمخرَجَ بمُوالاة بعض اعدائهِ ومصالحتهِ . فسلِمَ من الخوف وأَمِن . ثمَّ وفى لمن صالحهُ منهم * قال الفيلسوف : إنَّ المودَّةَ والعداوة لا تثبُتان على حالةٍ واحدة ابدًا . وربَّما حالتِ المودَّةُ الى العداوة . وصارت العداوة ولايةً وصداقة * ولهذا حوادثُ وعِلَلٌ وتجارب . وذو الرأي يُحدِث لكلّ ما يحدُث من ذلك رأيًا جديدًا . أمَّا من قِبَل العدوّ فبالبأس . وأمَّا من قِبَل الصَّديق فبالاستئناس * ولا تمنع ذا العقل عداوةٌ كانت في نفسهِ لعدوّهٍ من مقارَبتهِ والاستنجاد بهِ على دفع مَخوفٍ او جَرّ مرغوبٍ . ومَن عَمِل في ذلك بالحزْم . ظفِر بحاجتهِ . ومَثَلُ ذلك مَثَل الجرُذ والسِنَّوْر حين وقعا في الوَرْطة . فنجَوَا باصطلاحهما جميعًا من الورطة

والشِّدَّة * قال الملك : وكيف كان ذلك *

قال بِيدبا : زعموا أنَّ شجرةً عظيمةً كان في اصلها غارُ سِنَّوْرٍ يقال لهُ رومي. وكان قريبًا منهُ غار جُرَذ يقال لهُ فَرِيدون* وكان الصيَّادون كثيرًا يتداولون ذلك المكان فيصيدون فيهِ الوحش والطير * فنزَل ذاتَ يومٍ صيَّادٌ . فنصب حِبالتهُ قريبًا من موضع رومي . فلم يلبث أنْ وقع فيها . فخرج الجُرَذ يدبُّ ويطلُب ما ياكل وهو حذِرٌ من رومي * فبينما هو يسعى. اذ بَصُرَ بِهِ وهو في الشَّرَك . فسُرَّ واستبشر. ثمَّ التفت فرأى خلفهُ ابنَ عِرْس يُريدُ اخذَهُ . وفي الشجرة بُومًا يُريدُ اختطافهُ . فتحيَّر في امرهِ وخاف: إن رجع وراءهُ . اخذَهُ ابنُ عِرْس . وإنْ ذهب يمينًا او شِمالاً . اختطفهُ البوم . وإنْ تقدَّم امامهُ . افترسهُ

السِنَّوْر * فقال في نفسهِ : هذا بلآء قد اكتنفني . وشرورٌ تظاهرت عليَّ. ومِحَنٌ قد احاطت بي • وبعد ذلك فمعي عقلي. فلا يفزِعَنّي امري. ولا يهولَنّي شاني. ولا يلحقني الدَّهْش. ولا يذهب قلبي شُعاعًا * فالعاقل لا يفرَق عند سَداد رأيهِ . ولا يغرُب عنهُ ذِهنهُ على حال. وانّما العقل شبيهٌ بالبحر الذي لا يُدرَك غَوْرهُ * ولا يبلُغ البلآء من ذي الرأي مجهودَهُ فيُهلِكهُ . وتحقُّقُ الرَّجآء لا ينبغي أنْ يبلُغَ منهُ مبلغًا يُبطِرهُ ويُسكِرهُ . فيعمى عليهِ امرهُ * ولستُ ارى لي من هذا البلآء مخلَصًا الّا مُصالحةَ السِنَّوْر. فانهُ قد نزَل بهِ من البلآء مِثلَ ما قد نزَل بي او بعضهُ • ولعلّهُ إِنْ سمع كلامي الذي اكلّمهُ بهِ ووعَى عنّي فصيحَ خِطابي ومَحْضَ صِدقي الذي لا خِلافَ فيهِ ولا خِداع معهُ

ففهمهُ. طَمِعَ في مَعونتي ايَّاهُ فنخلُص جميعًا * ثمَّ إنَّ الجُرَذ دَنا من السنّور فقال لهُ: كيف حالك. قال لهُ السنّور: كما تُحِبُّ في ضَنْكٍ وضيقٍ * قال: وانا اليوم شريكُك في البَلآء. ولستُ ارجو لنفسي خلاصًا الاَّ بالذي ارجو لك بهِ الخلاص. وكلامي هذا ليس فيهِ كَذِبٌ ولا خديعةٌ. وابنُ عِرس ها هو كامنٌ لي. والبُوم يرصُدني. وكلاهما لي ولك عدوٌّ. فإنْ انتَ جعلتَ لي الامان. قطعتُ حبائلك وخلّصتُك من هذه الورطة. فاذا كان ذلك. تخلَّص كلُّ واحدٍ منّا بسبب صاحبهِ. كالسفينة والرُّكّاب في البحر. فبالسفينة ينجون. وبهم تنجو السفينة * فلمّا سمع السنّور كلامَ الجُرَذ وعرَف أنَّهُ صادقٌ. قال لهُ: إنَّ قولك هذا لَشبيهٌ بالحقّ. وانا ايضًا راغبٌ في

ما ارجو لك ولنفسي بهِ الخلاص • ثمَّ إِنَّك إِنْ فعلتَ ذلك . فسأَشكُرك ما بقِيتُ * قال الجُرَذ : فانّي سأَدنو منك . فأَقطع الحبائلَ كلَّها . الّا حبلاً واحدًا أُبقيهِ لاستوثِقَ لنفسي منك * ثمّ اخذ في تقريض حبائلهِ • واما البوم وابنُ عِرس فلمّا رأَيا دُنُوَّ الجُرَذ من السنَّوْر . أَيِسا منهُ وانصرفا * ثمّ إنّ الجُرَذ ابطأَ على رومي في قطع الحبائل . فقال لهُ : ما لي لا اراك مُجِدًّا في قطع حبائلي • فإِنْ كنتَ قد ظفِرتَ بحاجتك فتغيَّرت عمّا كنتَ عليهِ وتوانيت في حاجتي . فما ذلك من فِعل الصالحين • فانَّ الكريمَ لا يتوانى في حقّ صاحبهِ * وقد كان لك في سابق مَوَدَّتي من الفائدة والنفع ما قد رأَيتَ . وانتَ حقيقٌ أَن تكافِئَني بذلك ولا تذكُرَ العداوة التي بيني

وبينك * فالذي حدث بيني وبينك من الصلح حقيقٌ أَنْ يُنسيك ذلك. مع ما في الوفاء من الفضل والاجر وما في الغدر من سوء العاقبة * فانَّ الكريمَ لا يكون الاَّ شكورًا غيرَ حقودٍ. تُنسيهِ الخَلَّة الواحدة من الاِحسان الخِلالَ الكثيرة من الاساءة. وقد يقال إِنَّ اعجَلَ العقوبة عقوبةُ الغدر. ومَن اذا تُضُرِّعَ اليهِ وسُئِلَ العفو لم يرحم ولم يعفُ. فقد غدر * قال الجُرَذ: إِنَّ الصديق صديقان: طامعٌ ومضطرٌّ. وكلاهما يلتمسان المنفعة ويحترسان من المضرَّة * فأَمَّا الطامع فيُسترسَل اليهِ. ويُؤمَن في جميع الأَحوال. وأَمَّا المضطَرّ ففي بعض الأَحوال يُسترسَل اليهِ. وفي بعضها يُتحذَّر منهُ. ولا يزال العاقل يرتهن منهُ بعضَ حاجاتهِ لبعض ما يتقي ويخاف. وليس عاقبةُ

التواصُل من المواصَل الّا لطَلَب عاجل النفع وبلوغ مامولهِ * وانا وافٍ لك بما جعلتُ لك . ومحترسٌ منك مع ذلك . من حيثُ اخافك تخوّفًا أَنْ يصيبني منك ما الجأني خوفُهُ الى مصالحتك والجاك الى قبول ذلك مني * فانّ لكلّ عملٍ حيناً . فما لم يكن منهُ في حينهِ . فلا حُسْنَ لعاقبتهِ * وانا قاطعٌ حبائلك كلّها . غير أنّي تاركٌ عُقدةً واحدةً ارتهنك بها . ولا اقطعها الّا في الساعة التي اعلم أنّك فيها عنّي مشغولٌ . وذلك عند معاينتي الصيّاد *

ثمّ إنّ الجُرَذ اخذ في قطع حبائل السنّور . فبينما هو كذلك . أذ وافى الصيّاد . فقال لهُ السِنّور : الآن جاء الجِدُّ في قطع حبائلي * فأجهد الجُرَذ نفسهُ في القرض . حتى اذا فرغ . وثب السنّورُ الى الشجرة

على دهشٍ من الصيّاد . ودخل الجُرَذ بعض الأغوار . وجاءَ الصيّاد فأخذ حبائلَهُ مقطّعة وانصرف خائبًا * ثمّ إنّ الجُرَذ خرج بعد ذلك . وكَرِهَ أنْ يدنوَ من السِنّور . فناداهُ السِنّور : ايّها الصّديقُ الناصح ذو البلآء الحَسَن عندي . ما منعك من الدُنُوّ منّي لاجازيَك بأحسنِ ما اسديتَ اليّ : هلمّ اليّ ولا تقطعْ إخائي . فانّهُ مَن اتّخذ صديقًا وقطع إخاءَهُ واضاع صداقتهُ . حُرم ثمرةَ إخائِهِ . وايس من نفعِهِ الإخوانُ والأصدقآء * وإنّ يدَك عندي لا تُنسَى . وانت حقيقٌ أنْ تلتمس مكافأةَ ذلك منّي ومن إخواني واصدقائي . ولا تخافنّ منّي شيئًا . واعلم أنّ ما قِبَلي لك مبذولٌ * ثمّ حلف واشهد على صِدقِهِ في ما قال * فناداهُ الجُرَذ : رُبَّ صداقةٍ

ظاهرة باطنها عداوةٌ كامنة. وهي اشدّ من العداوة الظاهرة. ومَن لم يحترس منها. وقع موقعَ الرجل الذي يركَبُ نابَ الفيل المغتلم. ثمّ يغلبُهُ النعاس. فيستيقظ تحت فَراسِن الفيل. فيدوسهُ ويقتلُهُ * وانّما سمّي الصديق صديقًا لِمَا يُرجَى من نفعهِ. وسمّي العدوّ عدوًّا لِمَا يُخاف من ضررهِ * والعاقل اذا رجا نفعَ العدوّ. اظهر لهُ الصّداقة. واذا خاف ضُرَّ الصديق. اظهر لهُ العداوة * ألَا تَرَى تتبُّعَ البهائمِ أُمّهاتِها. رَجاءَ ألبانها. فاذا انقطع ذلك. انصرفت عنها * وربّما قطع الصديقُ عن صديقهِ بعضَ ما كان يَصِلُهُ بهِ. فلم يَخَفْ شرَّهُ. لانَّ اصل امرهِ لم يكن عداوةً * فامّا مَن كان اصلُ امرهِ عداوةً جوهريّةً. ثمّ احدث صداقةً لحاجةٍ حملتهُ على ذلك. فانّهُ

اذا زالت الحاجةُ التي حملتهُ على ذلك. زالت صَداقتهُ فتحوَّلت عداوةً. وصار الى اصل امرهِ. كالماء الذي يُسخَّن بالنار. فاذا رُفع عنها. عاد باردًا * وليس من اعدائي عدوٌّ اضرُّ لي منك. وقد اضطرَّني وإيَّاك حاجةٌ الى ما احدثنا من المُصالحة. وقد ذهب الامر الذي احتجتَ اليَّ واحتجتُ اليك فيهِ. واخاف أَنْ يكون مَع ذَهابهِ عَوْدُ العداوة * ولا خيرَ للضعيف في قُرب العدوّ القويّ. ولا للذليل في قُرب العدوّ العزيز * ولا اعلم لك قِبَلي حاجةً. الاَّ أَنْ تكون تُريد اكلي. ولا اعلم لي قِبَلك حاجةً. وليس عندي بك ثِقةٌ. فانّي قد علمتُ أَنَّ الضعيفَ المحترس من العدوّ القويّ اقربُ الى السلامة من القويّ اذا اغترَّ بالضعيف واسترسل اليهِ * والعاقل

يصالح عدوَّهُ اذا اضطرَّ اليهِ ويصانعهُ . ويُظهِر لهُ وُدَّهُ . ويريهِ من نفسهِ الاسترسال اليهِ اذا لم يجد من ذلك بدًّا . ثمَّ يعجّل الانصراف عنهُ حين يجد الى ذلك سبيلاً * وأعلم أنَّ سريعَ الاسترسال لا تُقال عثرتهُ . والعاقل يَفي لمن صالحهُ من اعدائهِ بما جعل لهُ من نفسهِ . ولا يثق بهِ كلَّ الثقة . ولا يامنهُ على نفسهِ مع القُرب منهُ . وينبغي أنْ يبعدَ عنهُ ما استطاع * وانا اودُّك من بعيدٍ . وأُحِبُّ لك من البَقَاء والسلامة ما لم اكن أُحِبُّهُ لك من قبلُ . ولا عليك أنْ تجازيني على صنيعي الاَّ بمثلِ ذلك . اذ لا سبيل الى اجتماعنا . والسلام *

انقضى باب الجرذ والسنّور *

الباب الثاني عشر

باب ابن الملك والطائر فنزه

قال دَبْشَليمُ الملكُ لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل. فاضرب لي مَثَلَ اهل التِرات الذين لا بُدَّ لبعضهم من اتّقاء بعض * قال بيدبا: زعموا أَنَّ مَلِكًا من ملوك الهند كان يقال لهُ برِيدون. وكان لهُ طائرٌ يقال لهُ فَنَّزة. وكان لهُ فرخٌ. وكان هذا الطائرُ وفرخُهُ ينطِقان بأحسن مَنطِق. وكان الملك بهما مُعْجَباً. فامر بهما أَنْ يُجعَلا عند امرأتهِ. وامرهـا بالمحافظة عليهما * واتّفق أَنَّ امرأةَ الملك ولَدت غُلامًا. فأَلِف الفرخُ الغُلامَ. وكِلاهما طِفلان يلعبان جميعًا * وكان فنَّزة يذهَبُ الى الجبل كلّ يوم فيأتي بفاكهةٍ لا تُعرَفُ. فيطعِمُ ابنَ الملك شَطرَها ويُطعِم

فرخهُ شَطرها . فاسرع ذلك في نشأتهما . وزاد في شبابهما . وبانَ عليهما أثرهُ عند الملك * فازداد لفَنَّزه إكرامًا وتعظيمًا ومحبةً . حتى اذا كان يومٌ من الايام وفنَّزة غائبٌ في اجتناء الثمرة وفرخهُ في حِجر الغُلام . ذَرَق في حِجره . فغضِب الغلامُ . فاخذ الفرخَ وضرب بهِ الارضَ . فمات * ثمَّ إنَّ فَنَّزه اقبل فوجدَ فرخهُ مقتولاً . فصاح وحزن وقال : قُبحًا للملوك الذين لا عهدَ لهم ولا وفاء . ويلٌ لمن ابتُلي بصُحبة الملوك الذين لا حَميَّةَ لهم ولا حُرمة . ولا يحبُّون احدًا . ولا يكرُمُ عليهم احدٌ . الّا اذا طمعوا في ما عندهُ من غِنى واحتاجوا الى ما عندهُ من عِلم . فيكرمونهُ لذلك . فاذا ظفِروا بحاجتهم منهُ . فلا وُدَّ ولا إخاءَ ولا إحسانَ ولا غُفران ذنب ولا معرفةَ حقٍّ * وهم الذين امرُهم

مَبنيٌّ على الرياء والفجور. وهم يستصغرون ما يرتكبون من عظيم الذنوب. ويستعظمون اليسيرَ اذا خُولِفت فيهِ أهواؤُهم. ومنهم هذا الكَفُورُ الذي لا رحمةَ لهُ الغادرُ بأليفهِ وأخيهِ * ثمَّ وثب في شِدَّة حَنَقِهِ على وجه الغُلام ففقأ عينهُ. ثمَّ طار فوقع على شُرفة المنزِل * ثمَّ إِنَّهُ بلغ الملكَ ذلك. فجزِع اشدَّ الجزَع. ثمَّ طَمِع أَنْ يحتال لهُ. فوقف قريبًا منهُ وناداهُ وقال لهُ: انك آمِنٌ فانزِل يا فَنزة * فقال لهُ: ايُّها الملك إِنَّ الغادرَ مأخوذٌ بغدْرِهِ. وانَّهُ إِنْ اخطأهُ عاجلُ العقوبة. لم يخطئهُ الآجِل. حتى أنَّهُ يُدرِك الأعقاب وأعقابَ الأعقاب. وإِنَّ ابنَك غدر بابني فعجَّلتُ لهُ العقوبة * قال الملك: لَعَمري قد غدرنا بابنك فانتقمتَ منَّا. فليس لك قِبَلَنا ولا لنا قِبَلك وِترٌ

مطلوبٌ فارجع الينا آمنًا* قال فنزة : لستُ براجعٍ اليك ابدًا. فانَّ ذوي الرأي قد نهَوا عن قُرْب الموتور. فإنَّهُ لا يُجدِيك لُطفُ الحقود ولينهُ وتكرِمتهُ اياك الاَّ وحشةً منهُ وسوءَ ظنٍّ بهِ . فانَّك لا تجِد للحقود الموتور أمانًا هو أوثقُ لك من الذُّعرِ منهُ ولا أجودَ من البُعْد عنهُ . والاحتراسُ منهُ اولى . وقد كان يقال : إنَّ العاقل يعدُّ ابويهِ اصدقاءَ والإخوةَ رُفقاءَ والأزواج ألفاءَ والبنين ذُكراءَ والبناتِ خُصماءَ والاقارب غُرماءَ . ويعدُّ نفسهُ فريدًا. وانا الفريد الوحيد الغريب الطريد قد تزوَّدتُ من عندِكم من الحُزْن عِبئًا ثقيلاً لا يحمِلهُ معي احد . وانا ذاهبٌ . فعليك منّي السلام * قال لهُ الملك : إنَّك لو لم تكُن قد اجتزيتَ منَّا في ما صنعناهُ بك بل كان صنيعُك

بنا من غير ابتداء منّا بالغَدْر. كان الامرُ كما ذكرت. وأمّا اذ كنّا نحن قد بدأناك. فما ذنبُك. وما الذي يمنعك من الثقة بنا. هلمّ فارجع. فانّك آمنٌ * قال فَنزّة : اعلَم أنّ الاحقاد لها في القلوب مواقع ممكّنةٌ موجِعة . فالالسُن لا تُصَدّق في خبرها عن القلوب . والقلب اعدَل شهادةً من اللِسان على القلب * وقد علمتَ أنّ قلبي لا يشهد للسانك . ولا قلبك للساني * قال الملك : الم تعلم أنّ الضغائِنَ والاحقاد تكون بين كثيرٍ من الناس . فمن كان ذا عقل . كان على أمانة الحِقد احرصَ منهُ على تربيتهِ * قال فنّزة : انّ ذلك لكَما ذكرتَ . ولكن ليس ينبغي لذي الرأي مع ذلك أنْ يظنّ أنّ الموتور الحَقود ناسٍ ما وُتر بهِ ولا مصروفٌ عنهُ فِكرهُ فيهِ * وذو الرأي يتخوّف المَكْر

والخديعة والحِيَل . ويعلم أَنَّ كثيرًا من العدوّ لا يستطاع بالشِدَّة والمكابرة . حتى يُصاد بالرِفق والملاينة . كما يُصاد الفيل الوحشيّ بالفيل الداجن *
قال الملك : إِنَّ العاقل الكريم لا يترُك إِلفَهُ . ولا يقطع إِخوانهُ . ولا يُضيع الحِفاظ وإِنْ هو خاف على نفسهِ . حتى أَنَّ هذا الخُلُق يكون في اوضع الدوابّ منزلةً *
فقد علمتَ أَنَّ اللعّابين يلعبون بالكلاب ثمّ يذبحونها ويأكلونها . ويرى الكلبُ الذي قد أَلِفهم ذلك فلا يدعوهُ الى مفارقتهم . ولا يمنعهُ من أُلفتِهِ ايّاهم * قال فنزّة : إِنَّ الأَحقادَ مخوفةٌ حيثما كانت . وأَخوفُها واشدُّها ما كان في انفس الملوك . فانَّ الملوكَ يُدينون بالانتقام . ويرون الدَّرْك والطَّلَب بالوِتر مكرُمةً وفخرًا . وإِنَّ العاقل لا يغترُّ بسكون الحِقد اذا سكَن . فانّما مَثَلُ

الحِقد في القلب اذا لم يجِدْ محرِّكًا مَثَلُ الجَمْر المكنون ما لم يجد حطبًا . فليس ينفكُّ الحِقد متطلّعًا الى العِلَل كما تبتغي النارُ الحطب * فاذا وجد عِلّةً . أستعرَ أستِعارَ النار . فلا يُطفِئهُ حُسْن كلامٍ ولا لِينٌ ولا رِفقٌ ولا خضوع ولا تضرُّع ولا مُصانَعة ولا شيءٌ دونَ تلَفِ الانفس . مع أنّهُ رُبَّ واترٍ يطمَعُ في مراجعة الموتور بما يرجو أنْ يَقدِرَ عليهِ من النفْعِ لهُ والدفع عنهُ * ولكنّي انا اضعفُ عن أنْ اقدِرَ على شيءٍ يذهب بهِ ما في نفسك . ولو كانت نفسك منطوِيةً لي على ما تقول . ما كان ذلك عنّي مُغنِيًا . ولا ازال في خوفٍ ووحشةٍ وسوءِ ظَنٍّ ما اصطحبنا . فليس الرأي بيني وبينك الّا الفِراقُ . وانا أقرَأُ عليك السلام *

قال الملك : لقد علمتَ أنهُ لا يستطيع احدٌ ضرًّا ولا نفعًا . وكما أنَّ خلقَ ما يُخلَق وولادةَ ما يُولَد وبَقاءَ ما يبقى ليس الى الخلائق منهُ شيءٌ . كذلك فَنَاءَ ما يفنى وهلاك ما يهلك * وليس لك في الذي صنعتَ بابني ذنبٌ . ولا لابني في ما صنع بابنك ذنب • انما كان ذلك كلّهُ قدَرًا مقدورًا . وكلانا لهُ عِلّة . فلا نُؤاخَذُ بما اتانا بهِ القدر * قال فنّزة : إنَّ القدَرَ لا يمنع الحازمَ من توقّي المخاوِف والاحتراس من المكاره . ولكنّهُ يجمع تصديقًا بالقدَر وأخذًا بالحَزم والقوّة * وانا اعلم أنّك تكلّمني بغير ما في نفسك . والامرُ بيني وبينك غيرُ صغير . لانَّ ابنك قتل ابني . وانا فقأتُ عينَ ابنك . وانتَ تريد أَنْ تشتفي بقتلي وتخاتِلني عن نفسي . والنفس تأبى الموت *

وقد كان يقال: الفاقة بلآءٌ. والحُزن بلآء. وقُرب العدوّ بلآء. وفِراقُ الاحبّة بلآء. والسُّقم بلآءٌ. والهَرَمُ بلآء. ورأسُ البلايا كلّها الموت * وليس احدٌ بأَعلمَ بما في نفس الموجَعِ الحزين ممّن ذاق مثل ما بهِ. فانا ممّا في نفسي عالمٌ بما في نفسك للمِثْل الذي عندي من ذلك * ولا خيرَ لي في صُحبتك. فانّك لن تتذكّرَ صنيعي بابنك ولا اتذكّرَ صنيع ابنك بابني الّا ويُحدِث ذلك لقلوبنا تغييرًا * قال الملك: لا خيرَ في مَن لا يستطيعُ الإعراضَ عمّا في نفسهِ وينساهُ ويهملهُ حتى لا يذكر منهُ شيئًا ولا يكونَ لهُ في نفسهِ موقع *

قال فَنزة: إِنّ الرجل الذي في باطن قَدَمهِ قُرحةٌ. إِنْ هو حَرِص على المَشْي. فلا بدَّ أَنّهُ لا يزال يشتكي قُرحتهُ. والرجل الارمدُ العينِ اذا استقبل

بها الريح. فلا بُدَّ أنْ تزداد رَمَدًا * وكذلك الواتر
اذا دنا من الموتور. فقد عرض نفسهُ للهلاك * ولا
ينبغي لصاحب الدنيا الاَّ توقّي المهالكِ والمَتالفِ
وتقدير الامور وقِلّة الاتّكال على الحَوْل والقوّة وقلّة
الاغترار بمن لا يامن * فانّهُ مَن اتّكل على قوّتهِ فحملهُ
ذلك على أنْ يسلُك الطريقَ المخوف. فقد سعى في
حَتْفِ نفسهِ * ومَن لا يقدِّرْ لطاقتهِ طَعامَهُ وشَرابَهُ
وحمّل نفسَهُ ما لا تُطيق ولا تحمِل. فقد قتل نفسَهُ *
ومَن لم يقدّرْ لُقمتَهُ وعظّمها فوق ما يسَع فوهُ. فربّما
غَصّ بها فمات * ومنِ اغترّ بكلام عدوّهِ وانخدع لهُ
وضيّع الحَزْم. فهو أعْدَى لنفسهِ من عدوّهِ * وليس
لاحدٍ النظرُ في القَدَر الذي لا يدري ما يأتيهِ منهُ
ولا ما يصرِف عنهُ. ولكن عليهِ العملُ بالحَزْمِ والاخذُ

بالقوّة ومحاسَبةُ نفسهِ في ذلك * والعاقل لا يثِق باحدٍ ما استطاع. ولا يُقيم على خوفٍ. وهو يجد عنهُ مذهبًا * وانا كثيرُ المذاهب. وارجو أنْ لا اذهب وجهًا الاَّ أَصَبتُ فيهِ ما يُغنيني * فانَّ ثمَّ خِلالاً خمْسًا مَن تزوّدهنَّ. كَفَيْنَهُ في كلّ وجهٍ. وآنسنهُ في كلّ غُربة. وقرّبن لهُ البعيدَ. وأكسبنهُ المَعاش والإخوان: اولهنَّ كفُّ الاذى. والثانية حُسْنُ الادب. والثالثة مجانبة الرّيْب. والرابعة كَرَم الخُلُق. والخامسة النُّبْل في العمل * واذا خاف الانسان على نفسهِ شيئًا. طابت نفسهُ عن المال والاهل والولد والوطن. فانهُ يرجو الخَلَفَ من ذلك كلّهِ. ولا يرجو عن النفس خَلَفًا * وشرُّ المال ما لا إِنفاق منهُ. وشرُّ الأَزواج التي لا تُوَاتي بعلَها. وشرُّ الولد العاصي

العاقّ لوالديهِ . وشرّ الإخوانِ الخاذلُ لاخيهِ عند النَّكَباتِ والشدائد . وشرّ الملوك الذي يخافهُ البريء ولا يواظب على حِفْظ اهل مملكتهِ . وشرّ البلاد بلادٌ لا خِصْب فيها ولا أَمْن * وإنهُ لا أَمْنَ لي عندك ايّها الملك . ولا طُمَأْنينةَ لي في جِوارك * ثمّ ودّع الملك وطار * فهذا مَثَلُ ذوي الاوتار الذين لا ينبغي لبعضهم أَنْ يَثِقَ ببعض *

انقضى باب الملك والطائر *

الباب الثالث عشر

باب الاسد والشعهر الناسك وهو ابن آوي

قالَ دَبْشَليم الملك لبيدبا الفيلسوف قد سمعتُ هذا المَثَل. فاضرب لي مَثَلَ المَلِك الذي يراجع مَن اصابتهُ منهُ عقوبةٌ من غير جُرْمٍ او جَفوةٌ من غير ذنب * قال الفيلسوف: إنَّ الملك لو لم يراجعْ مَن اصابتهُ منهُ جَفوةٌ عن ذنبٍ او عن غير ذنبٍ. ظَلَمَ او لم يظلِم. لَأَضرَّ ذلك بالامور * ولكنَّ الملك حقيقٌ أَنْ ينظُرَ في حال مَن ابتُلي بذلك ويختبر ما عندهُ من المنافع. فإنْ كان ممَّن يُوثَق بهِ في رأيهِ وأَمانتهِ. فإنَّ الملك حقيقٌ بالحِرْص على مراجعتهِ. فانَّ المُلْك لا يُستطاع ضبطُهُ الَّا مع ذوي الرأي وهم الوزرآء والأَعوان. ولا يُنتفَع بالوزراء والأَعوان

الاّ بالمودّة والنصيحة. ولا مودّةَ ولا نصيحةَ الاّ لذوي الرأي والعَفَاف * وأعمالُ السلطان كثيرة. والذين يُحتاج اليهم من العُمّال والأعوان كثيرون. ومَن يجمع منهم ما ذكرتُ من النصيحة والعَفاف قليلٌ * والمَثَل في ذلك مَثَلُ الاسد وابن آوى. قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال الفيلسوف: زعموا أنّ ابن آوى كان يسكُنُ في بعضِ الدِحال. وكان متزهّدًا متعفّفًا مع بناتِ آوى وذئابٍ وثعالب. ولم يكن يصنع ما يصنعن. ولا يُغير كما يُغِرْن. ولا يُهَريق دمًا. ولا ياكُل لحمًا * فخاصمتْهُ تلك السِباع وقلن. لا نرضي بسيرتك ولا رأيك الذي انت عليهِ من تزهّدك. مع أنّ تزهّدَكَ لا يُغني عنك شيئًا. وانت لا تستطيع أنْ تكون الاّ

كأَحدنا. تسعى معنا وتفعل فعلنا. فما الذي كفَّك عن الدِماء وعن اكل اللحم * قال ابن آوى: إِنَّ صُحبتي اياكنَّ لا تُؤْثمني اذا لم أُوثِمْ نفسي. لانَّ الآثام ليست من قِبَل الاماكن والأَصحاب. ولكنها من قِبَل القلوب والأَعمال * ولو كان صاحب المكان الصالح يكون عملهُ فيهِ صالحًا وصاحب المكان السيِّئ يكون عملهُ فيهِ سيئًا. كان حينئذٍ مَن قتل الناسك في محرابهِ لم يأْثم. ومَن استحياهُ في معركة القِتال أَثِم * وإِنّي انما صَحِبتكنَّ بنفسي ولم اصحَبكنَّ بقلبي وأَعمالي. لانّي اعرِف ثمرةَ الأَعمال فلزِمتُ حالي * وثبت ابن آوى على حالهِ تلك. واشتهر بالنُسْك والتزهُّد. حتى بلغ ذلك اسدًا كان مَلِكَ تلك الناحية. فرغِبَ فيهِ لِمَا بلغهُ عنهُ من العَفاف والنَّزاهة والزُهْد

والأمانة . فارسل اليهِ يستدعيهِ * فلمّا حضِر . كلّمهُ وآنسهُ . ثمّ دعاهُ بعد أيّام إلى صُحبتهِ وقال لهُ : تعلم أنّ أعمالي كثيرةٌ . وأعواني جمٌّ غفيرٌ . وانا مع ذلك الى الأعوان محتاجٌ . وقد بلغني عنك عَفافٌ . فازددتُ فيك رغبةً . وانا مُوليكَ من عملي جسيمًا . ورافعك الى منزلةٍ شريفةٍ . وجاعلك من خاصّتي * قال ابن آوى : إنّ الملوك أحِقّاءُ باختيار الأعوان في ما يهتمّون بهِ من أعمالهم وامورهم . وهم احرى أن لا يُكرِهوا على ذلك احدًا . فإنّ المُكْرَه لا يستطيع المبالَغة في العمل * وإنّي لعمل السلطان كارهٌ . وليس لي بهِ تجرِبةٌ ولا بالسُّلطان رِفق * وانت مَلِكُ السِباع . وعندك من أجناس الوحوش عددٌ كثيرٌ . فيهم اهل نُبلٍ وقوّة . ولهم على العمل حِرصٌ . وعندهم

بهِ وبالسلطان رِفقٌ. فان استعملتهم. اغنوا عنك واغتبطوا لانفسهم بما اصابهم من ذلك * قال الاسد: دع عنك هذا. فاني غيرُ معفيك عن العمل * قال ابن آوى: انما يستطيع خِدمةَ السلطانِ رَجُلان لستُ بواحدٍ منهما: إمّا فاجرٌ مُصانعٌ ينال حاجتهُ بفجورهِ ويسلَم بمصانعتهِ. وإمّا مغفَّلٌ لا يحسُدُهُ احدٌ * فمَن اراد أَنْ يخدُمَ السلطانَ بالصِدقِ والعَفاف. فلا يخلُطْ ذلك بمصانعتهِ. وحينئذٍ قلَّ أَنْ يسلَمَ على ذلك. لانهُ يجتمع عليهِ عدوُّ السلطان وصديقهُ بالعداوة والحسد * امّا الصديق فينافسهُ في منزلتهِ ويبغي عليهِ ويعاديهِ لاجلها. وأمّا عدوُّ السلطان فيضطغن عليهِ لنصيحتهِ لسلطانهِ وإغنائهِ عنهُ * فاذا اجتمع عليهِ هُذان الصِنفان. فقد تعرَّض

للهلاك * قال الاسد : لا يكوننّ بَغْيُ أَصحابي عليك وحسدُهم اياك مما يَعرِضُ في نفسك . فانت معي . وانا أكفيك ذلك وابلُغُ بك من درجات الكَرامة والاحسان على قَدَرِ هِمّتك * قال ابن آوى : إِنْ كان الملك يُريدُ الإِحسان اليّ . فليدَعْني في هذه البرّيّة اعيشُ آمِنًا قليلَ الهمّ راضيًا بعيشي من الماء والحشيش . فانّي قد علمتُ أنّ صاحبَ السُّلطانِ يَصِل اليهِ من الاذى والخوف في ساعةٍ واحدةٍ ما لا يصل الى غيرهِ في طول عُمرهِ . وأَنّ قليلاً من العيش في أَمنٍ وطمأنينةٍ خيرٌ من كثير من العيش في خوف ونَصَب * قال الاسد : قد سمعتُ مَقالتك . فلا تَخَف شيئًا مما اراك تخاف منهُ . ولستُ أَجِدُ بُدًّا من الاستعانة بك في امري * قال ابن آوى :

أمَّا اذا ابى الملك الاَّ ذلك . فليجعل لي عهدًا إنْ بَغَى عليَّ احدٌ من أصحابهِ عندهُ ممَّن هو فوقي مَخافةً على منزلتهِ او ممَّن هو دوني لينازِعني في منزلتي فذكر عند الملك شيئًا بلسانهِ او على لسانِ غيرهِ ممَّا يُريد بهِ تحميلَ الملك عليَّ . أنْ لا يعجَل في امري . وان يتثبَّت في ما يُرفَعُ اليهِ ويُذكَرُ عندهُ من ذلك ويفحَصَ عنهُ . ثمَّ ليصنعْ ما بدا لهُ . فاذا وثِقتُ منهُ بذلك . أعَنْتُهُ بنفسي في ما يُحِبُّ . وعملتُ لهُ في ما اولاني بنصيحةٍ واجتهادٍ . وحرِصتُ على أنْ لا اجعل لهُ على نفسي سبيلاً * قال الاسد : لك ذلك عليَّ وزيادة *

ثمَّ ولاَّهُ خزائنَهُ . واختصَّ بهِ دونَ أصحابهِ . وزاد في كَرامتهِ * فلمَّا راى أصحاب الاسد ذلك . غاظهم

وساءهم . فأجمعوا كيدَهم . واتفقوا كلهم على أنْ يحملوا عليهِ الاسد * وكان الاسد قد استطاب لحمًا. فعزل منهُ مقدارًا . وأمرهُ بالاحتفاظ بهِ وأنْ يرفعهُ في أحصنِ موضعٍ لطعامهِ ويُحرِزَهُ ليعاد عليهِ. فأخذوهُ من موضعهِ. وحملوهُ الى بيت ابن آوى. فخبأوهُ فيهِ وهو لا علم لهُ بهِ. ثمّ حضروا يكذبونهُ أنْ: جرت في ذلك حالٌ * فلمّا كان من الغد ودعا الاسد بغدائهِ. فُقد ذلك اللحم. فالتمسهُ ولم يجدْهُ. وابن آوى لم يشعرْ بما صُنع في حقهِ من المكيدة * فحضرَ الذين عملوا المكيدة . وقعدوا في المجلس * ثمّ إنّ الملك سألَ عن اللحم وشدّد فيهِ وفي المسألة عنهُ . فنظر بعضُهم الى بعض . فقال احدهم قولَ المُخبرِ الناصح : إنّهُ لابدَّ لنا من أنْ نُخبرَ الملك بما يضرُّهُ وينفعهُ .

وإنْ شَقَّ ذلك على مَن يشُقّ عليهِ • وإنَّهُ بلغني أَنَّ ابنَ آوى هو الذي ذهب باللحم الى منزلِهِ * قال الآخَر: لا اراهُ يفعل هذا . ولكن انظُروا وافحصوا. فانَّ معرفةَ الخلائق شديدة * فقال الآخَر: لَعَمْري ما تكاد السرائرُ تُعرَف • واظنُّكم إنْ فحصتم عن هذا . وجدتمُ اللحمَ ببيت ابن آوى . وكلُّ شيءٍ يُذكَر من عيوبهِ وخيانتهِ. نحن احقُّ أَنْ نصدِّقَهُ * قال الآخَر: لَئنْ وجدنا هذا حقًّا . فليست بالخيانة فقط لكنْ مع الخيانة كُفرُ النِعمة والجرَاءَةُ على الملك * قال الآخَر: انتم اهل العدل والفضل لا استطيع أَنْ اكذِّبكم. ولكن سيبيِن هذا لو ارسل الملك الى بيتهِ مَن يفتِّشهُ * قال الآخَر: إنْ كان الملك مفتِّشًا منزِلَهُ . فليعجِلْ . فانَّ عيونَهُ وجواسيسهُ مبثوثةٌ بكلِّ مكان * ولم يزالوا

في هذا الكلام وأشباهِهِ . حتّى وقع في نفس الاسد ذلك . فامر بابن آوى فحضر * فقال لهُ : اين اللحم الذي امرتُك بالاحتفاظ بهِ * قال : دفعتهُ الى صاحب الطّعام ليقرّبَهُ الى الملك * فدعا بصاحب الطعام . وكان ممّن شايعَ وبايعَ مع القوم على ابن آوى * فقال : ما دفع اليّ شيئًا * فارسل الاسدُ امينًا الى بيت ابن آوى ليفتّشهُ . فوجد فيهِ ذلك اللحم * فأتى بهِ الاسدَ . فدنا من الاسدِ ذئبٌ لم يكن قد تكلّم في شيءٍ من ذلك . وكان يُظهِرُ أنّهُ من العُدول الذين لا يتكلّمون في ما لا يعلمون حتّى يتبيّن لهم الحقّ . فقال : بعد أنِ اطّلع الملك على خيانة ابن آوى . فلا يعفُونَّ عنهُ . فانّهُ إنْ عفا عنهُ . لم يطّلع الملِكُ بعدها على خيانة خائنٍ ولا ذنب مذنب * فامر الاسد بابن

آوى أَنْ يُخرَج ويُحتفظ بهِ . فقال بعض جُلَساءِ الملك : إِنّي لأَعْجَبُ من رأي الملك ومعرفتهِ بالامور كيف يخفى عليهِ امر هذا . ولم يعرِف خَبَّهُ ومخادعتهُ . وأَعجبُ من هذا أَنّي أَراهُ سيصفح عنهُ بعد الذي ظهر منهُ * فارسل الاسد بعضهم رسولاً الى ابن آوى يلتمس منهُ العُذْر . فرجع اليهِ الرسول برِسالةٍ كاذبةٍ اخترعها . فغضب الاسد من ذلك وامر بابن آوى أَنْ يُقتَل * فعلمت أُمُّ الاسد أَنَّهُ قد عجَّل في امرهِ . فارسلت الى الذين أُمروا بقتلهِ أَنْ يُؤخّروهُ . ودخلت على ابنها فقالت : يا بُنيَّ بايّ ذنب امرتَ بقتل ابن آوى . فاخبرَها بالامر * فقالت : يا ابني عجّلتَ . وانّما يسلَمُ العاقل من النَّدامة بترك العجَلة وبالتثبُّت . والعجَلة لا يزال صاحبها يجتني ثمرةَ النَّدامة بسبب

ضَعف الرأي. وليس احدٌ احوج الى التُّؤَدة والتثبُّت من الملوك * فانَّ المرأة بزوجها. والولد بوالدهِ. والمتعلِّم بالمعلِّم. والجُند بالقائد. والناسك بالدِين. والعامَّة بالملوك. والملوك بالتقوى. والتقوى بالعقل. والعقل بالتثبُّت والأَناة. ورأس الكلّ الحَزم. ورأس الحَزْم للمَلك معرفةُ أَصحابهِ وإِنزالُهم منازِلَهم على طَبَقاتهم. واتّهامهُ بعضهم على بعض. فانهُّ لو وجد بعضهم الى هلاك بعض سبيلاً. لفعل * وقد جرَّبتَ ابن آوى وبلوتَ رأيهُ وامانتهُ ومُرُوءَتهُ. ثمَّ لم تزَلْ مادحًا لهُ. راضيًا عنهُ * وليس ينبغي للملك أَنْ يخوِّنهُ بعد ارتضائهِ اياهُ وائتمانهِ لهُ. ومنذ مجيئهِ والى الآن لم يطَّلعْ لهُ على خيانة. بل على العِفَّة والنصيحة * وما كان من رأي الملك أَنْ يعجِّل عليهِ لاجل طابِق لحم *

وانت ايها الملك حقيقٌ أنْ تنظر في حال ابن آوى لتعلم أنّهُ لم يكن ليتعرّض للحم استودعتهُ اياهُ * ولعلّ الملك إنْ فحص عن ذلك. ظهر لهُ أنّ ابن آوى لهُ خُصماء. هم الذين أئتمروا بهذا الامر. وهم الذين ذهبوا باللحم الى بيتهِ فوضعوهُ فيهِ. فانّ الحدأة اذا كان في رجلها قِطعةُ لحمٍ. اجتمع عليها سائر الطير. والكلب اذا كان معهُ عظمٌ. اجتمعت عليهِ الكلاب * وابن آوى كان الى اليوم نافعًا. وكان محتملًا لكلّ ضررٍ في جنب منفعةٍ تصل اليك ولكلّ عناءٍ يكون لك فيهِ راحة. ولم يكن يَطوي دونك سِرًّا *

فبينما امّ الاسد تقصّ عليهِ هذه المَقالة. اذ دخل على الاسد بعضُ ثِقاتهِ. فاخبرهُ ببرآءة ابن آوى * فقالت امّ الاسد: بعدَ أنِ اطّلع الملك على برآءة ابن

آوى. فهو حقيقٌ أنْ لا يرخّص لمن سعى بهِ. لئلاّ يتجرّأوا على ما هو اعظم من ذلك. لكنْ يُعاقبهم عليهِ لكيلا يعودوا الى مثْلهِ * فانّهُ لا ينبغي للعاقل أنْ يراجع في امر من الامور الكَفورَ للحُسْنى. الجريَّ على الغَدْر. الزاهد في الخير. الذي لا يُوقِنُ بالاخرة. وينبغي أنْ يُجزَى بعملهِ * وقد عرَفْتَ سُرعةَ الغضب وفَرْط الهَفْوة. ومَن سَخِط باليسير. لم يبلُغْ رضاهُ بالكثير. والأَوْلى لك أنْ تراجع ابن آوى وتعطِفَ عليهِ * ولا يُوئِسنَّكَ من مناصحتهِ ما فرَط منك اليهِ من الإساءَة. فانَّ من الناس مَن لا ينبغي تركهُ على كلّ حالٍ من الأحوال. وهو مَن عُرِف بالصّلاح. والكَرَم. وحسن العهد. والشكرِ. والوفاء. والمحبّةِ للناس. والسلامة من الحَسَد. والبعْدِ من الاذى. والاحتمال للإخوان

والأصحاب وإنْ ثقلت عليهِ منهم المؤونة * وأمّا من ينبغي تركهُ فهو من عُرف بالشراسة . ولُؤمِ العهد . وقِلّة الشكر والوفاء . والبُعْد من الرحمة والورَع . واتّصف بالجُحود لثواب الآخِرة وعِقابها * وقد عرفتَ ابن آوى وجرّبتَهُ . وانت حقيقٌ بمواصلتهِ *

فدعا الاسد بابن آوى . واعتذر اليهِ ممّا كان منهُ . ووعدهُ خيرًا . وقال : إنّي معتذرٌ اليك . ورادُّك الى منزلتك * فقال ابن آوى : إنّ شرّ الأخلاء من التمس منفعة نفسهِ بضُرّ اخيهِ . ومَن كان غير ناظرٍ لهُ كنظَرِهِ لنفسهِ . او كان يريد أنْ يُرضيهُ بغير الحقّ لاجل اتّباع هواهُ . وكثيرًا ما يقع ذلك بين الاخلاء * وقد كان من الملك اليَّ ما علم . فلا يغلظنّ على نفسهِ ما أُخبرهُ بهِ من أنّي بهِ غير واثقٍ . وأنّهُ لا ينبغي لي أنْ أصحبهُ .

فانَّ الملوك لا ينبغي لهم أَنْ يصحبوا مَن عاقبوهُ اشدَّ العقاب . ولا ينبغي لهم أَنْ يَرفُضوهُ اصلاً . فانَّ ذا السُّلطان اذا عُزِل . كان مستحقًّا للكرامة في حالة إبعادهِ والاقصاءِ لهُ * فلم يلتفِت الاسد الى كلامهِ . ثمَّ قال لهُ : انّي قد بلوتُ طِباعك وأَخلاقك . وجرَّبتُ أَمانتك ووفاءَك وصِدقك . وعرَفتُ كَذِبَ مَن تحمَّل الحِيَل لتحميلي عليك * وإنّي منزّلُك من نفسي منزِلةَ الأَخيار الكرماء . والكريمُ تُنسيهِ الخَلَّة الواحدة من الإِحسان الخِلاَلَ الكثيرةَ من الإِساءة . وقد عُدنا الى الثقة بك . فعُد الى الثِقة بنا . فانَّهُ كائنٌ لنا ولك بذلك غِبطةٌ وسرور * فعاد ابن آوى الى وِلاية ما كان يلي . وضاعف لهُ الملك الكرامة . ولم تزِدهُ الايام الاَّ تقرُّبًا من السلطان * انقضى باب الاسد وابن آوى *

الباب الرابع عشر

قصّة ايلاذ وبلاذ وايراخت

قالَ دَبْشَليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المَثَل. فاضرِب لي مثَلاً في الاشياء التي يَجِب على الملك أنْ يُلزِم بها نفسَهُ ويحفَظَ مُلكهُ ويثبت سُلطانهُ. ويكونُ ذلك رأسَ امرهِ وملاكَهُ. أَبالحِلم ام بالمُروءة ام بالشَّجاعة ام بالجود * قال بيدبا: إنَّ احقّ ما يحفظ بهِ المَلِك مُلكَهُ الحِلمُ. وبهِ تثبُت السلطنة. والحِلم رأس الامور ومِلاكُها. واجْوَدُ ما كان في الملوك * كالذي زعموا من أنَّهُ كان ملكٌ يُدعَى بَلاذ. وكان لهُ وزيرٌ يُدعَى إيلاذ. وكان متعبّدًا ناسكًا * فنام الملك ذاتَ ليلةٍ. فرأى في منامِهِ ثمانيةَ أحلامٍ افزعتهُ. فاستيقظ مرعوبًا. فدعا

بالبراهمة. وهم النسّاك ليعبّروا روياهُ * فلمّا حضروا بين يديهِ. قصّ عليهم ما رأى. فقالوا باجمعهم: لقد رأى الملك عجبًا. فإن امهلتنا سبعة ايامٍ جئناهُ بتاويلهِ * قال الملك: قد امهلتكم. فخرجوا من عندهِ * ثمّ اجتمعوا في منزلِ احدِهم وأتمروا بينهم. وقالوا: قد وجدتم علمًا واسعًا تدرِكون بهِ ثأركم وتنتقمون من عدوِّكم. وقد علمتم أنّهُ قتل منّا بالامس اثنَيْ عشر الفًا. وها هو قد اطلعنا على سرِّهِ وسألنا تفسير روياهُ. فهلمّوا نغلّظ لهُ القول ونخوّفهُ. حتّى يحمِلهُ الفَرَق والجزَع على أنْ يفعلَ الذي نرِيد ونامرهُ. فنقول: أدفع الينا أحبّاءَك ومَن يكرُمُ عليك حتّى نقتلهم. فإنّا قد نظرْنا في كُتُبنا. فلم نرَ أنْ يُدفعَ عنك ما رأيتَ لنفسك وما وقعتَ فيهِ من هذا الشرّ الّا بقتل مَن نسمّي

لك * فإنْ قال المَلِك : ومَن تريدون أنْ تقتلوا . سَمُّوهم لي . قلنا : نريد المَلِكةَ إيراخت أمَّ جُوَيرَ المحمودةَ أكرَمَ نِسائك عليك . ونريد جُوَيرَ أحَبَّ بنيك اليك وافضلَهم عندك . ونريد ابنَ اخيك الكريمَ . وإيلاذ خليلَك وصاحِبَ امرك . ونريد كَمالَ الكاتبَ صاحبَ سِرِّك . وسيفَك الذي لا يوجد مثلُهُ . والفيلَ الابيضَ الذي لا تلحقهُ الخيل . والفرسَ الذي هو مركبُك في القِتال . ونريد الفيلَين الآخرَين العظيمين اللّذين يكونان مع الفيل الذَّكَر . ونريد البُختيَّ السريعَ القويَّ . ونريد كَبَاريونَ الحكيمَ الفاضل العالم بالامور لننتقم منهُ بما فعل بنا * ثمَّ نقول لهُ : إنَّما ينبغي لك ايها الملك أنْ تقتُل هؤلاء الذين سمَّيناهم لك . ثمَّ تجعلَ دِماءهم في حوضٍ تملأهُ . ثمَّ

تقعدَ فيهِ • فاذا خرجتَ من الحوض . اجتمعنا نحن معاشرَ البراهمة من الآفاق الاربعة . نجول حولك فنرقيك . ونَتفِل عليك ونمسح عنك الدم . ونَغسِلك بالمآء والدُّهن الطيّب . ثمّ تقوم الى منزِلك البهيّ . فيدفع الله بذلك البلآء الذي نتخوّفهُ عليك * فانْ صبرتَ ايّها الملك . وطابت نفسك عن أحبّائك الذين ذكرنا لك . وجعلتَهم فِدًى لك . تخلّصتَ من البلآء . واستقام لك مُلكك وسُلطانك . واستخلفتَ من بعدِهم مَن احببتَ • وإنْ انت لم تفعل . تخوّفنا عليك أنْ يُغصَبَ مُلكك او تَهلَك * فإنْ هو اطاعنا في ما نأمرهُ . قتلْناهُ ايَّ قتلةٍ شِئْنا *

فلمّا اجمعوا امرهم على ما ائتمروا بهِ . رجعوا اليهِ في اليوم السابع وقالوا لهُ : ايّها الملك إنّا نظَرْنا في

كُتُبنا في تفسير ما رأيتَ. وفحصنا عن الرأي فيما بيننا. فليكن لك ايها الملك الطاهر الصالح الكرامةُ. ولسنا نقدر أَنْ نعلمك بما رأينا الّا أَن تخلو بنا * فأخرج الملكُ من كان عندهُ. وخلا بهم * فحدَّثوهُ بالذي أئتمروا بهِ. فقال لهم: الموتُ خيرٌ لي من الحيوة إِنْ انا قتلتُ هؤلآء الذين هم عديلُ نفسي. وانا ميتٌ لا محالةَ. والحيوة قصيرةٌ. ولستُ كلَّ الدهر ملكًا. وإِنَّ الموتَ عندي وفراقَ الاحبآء سوآءٌ * قال لهُ البرهميون: إِنْ انت لم تغضبْ. اخبرناك • فأذِن لهم. فقالوا: ايها الملك إِنّك لا تقول صوابًا حين تجعل نفس غيرك اعزَّ عندك من نفسك. فاحتفظْ بنفسك وملكك. واعمل هذا الذي لك فيهِ الرجآء العظيم على ثقةٍ ويقينٍ. وقرَّ عينًا بملكك

فِي وجوهِ اهل مملكتك الذين شَرُفتَ وكَرُمتَ بهم. ولا تدعِ الامرَ العظيم وتاخُذ بالضعيف. فتهلِكَ نفسك إيثارًا لمن تُحِبّ * واعلم ايها الملك. انّ الانسان انّما يحبُّ الحيوة محبّةً لنفسهِ. وأنّهُ لا يحبُّ مَن احبَّ من الأحباب الا ليتمتّع بهم في حياتهِ. وانّما قِوامُ نفسك بعدَ الله تعالى بمُلكك * وانّك لم تنَلْ مُلكَكَ الّا بالمشقّة والعناء الكثير في الشهور والسنين. وليس ينبغي أنْ ترفُضَهُ ويَهُونَ عليك. فاستمع كلامَنا وانظُر لنفسك مُناها. ودَع ما سِواها. فانّهُ لا خَطَر لهُ * فلمّا راى الملك أنّ البَرَهْمِيّين قد اغلظوا لهُ في القول. واستجرأُوا عليهِ في الكلام. اشتدّ غمُّهُ وحُزنهُ. وقام من بينِ ظَهرانَيهم. ودخل الى حُجرتهِ. فخرّ على وجههِ يبكي ويتقلّب كما تتقلّب السمكة اذا خرجت

من المآء . وجعل يقول في نفسهِ : ما أَدري ايُّ الامرين اعظم في نفسي. المَلَكةُ ام قتل احبّائي. ولن انال الفرحَ ما عِشتُ. وليس مُلكي بباقٍ عليَّ الى الابد . ولستُ بالمُصيبِ سُؤْلي في مُلكي * وانّي لزاهدٌ في الحيوة اذا لم أَرَ إِيراخت. وكيفَ أَقدِرُ على القِيام بمُلكي اذا هَلِك وزيرى إِيلاذ. وكيف اضبطُ امري اذا هلك فيليَ الابيض وفَرَسي الجَوَاد. وكيف أَدعَى مَلِكًا وقد قتلتُ مَن أَشار البراهمة بقتلهِ. وما اصنع بالدُّنيا بعدهم * ثمّ انَّ الحديث فشا في الارض بحُزن الملك وهَمّهِ. فلمّا رأى ايلاذُ ما نال المَلِكَ من الهمّ والحُزن. فكّر بحِكمتهِ ونظر وقال : ما ينبغي لي أَنْ استقبل الملك فاسأَلهُ عن هذا الامر الذي قد نالهُ. من غيرِ أَنْ يدعُوَني * ثمّ انطلق الى ايراخت .

فقال : إِنّي مُنْذُ خدمتُ المَلِك والى الآن لم يعمل عملًا الّاَ بمَشُورتي ورأيي • واراهُ يكتُم عنّي امرًا لا اعلم ما هو. ولا أَراهُ يُظهِرُ منهُ شيئًا * وانّي رايتهُ خاليًا مع جماعة البَرَهْميّين مُنذ ليالٍ. وقد احتجب عنا فيها . وانا خائفٌ أَنْ يكون قد اطلعهم على شيءٍ من أَسرارهِ. فلستُ آمنهم أَنْ يُشيروا عليهِ. بما يضرُّهُ ويدخُل عليهِ منهُ السوء * فقومي وادخلي عليهِ فاسأَليهِ عن امرهِ وشأنهِ . وأَخبريني بما هو عليهِ واعلميني . فانّي لستُ اقدِرُ على الدخول عليهِ. فلعلَّ البَرَهْميّين قد زيّنوا لهُ امرًا وحمّلوهُ على خِطّةٍ قبيحة * وقد علمتُ أَنَّ مِن خُلْق المَلِك أَنّهُ اذا غضب. لا يسئل احدًا . وسِواءٌ عندهُ صغيرُ الامور وكبيرُها * قالت ايراخت : انهُ كان بيني وبين الملك بعض العِتاب.

فلستُ بداخلةٍ عليهِ في هذه الحال* فقال لها ايلاذ: لا تَحمِلي عليهِ الحِقْدَ في مِثل هذا . ولا يخطُرَنَّ ذلك على بالكِ . فليس يقدر على الدخول عليهِ احدٌ سِواكِ* وقد سمعتهُ كثيرًا يقول : ما اشتدَّ غَمّي ودخلتُ على ايراخت الأَسرَى ذالك عنّي . فقومي اليهِ واصفَحي عنهُ . وكلّميهِ بما تعلمين أَنَّهُ تَطيب بهِ نفسهُ ويذهب الذي يَجِدهُ . وأَعلميني بما يكون من جَوابِهِ . فانَّهُ لنا ولاهل المملكة اعظمُ الراحة *

فانطلقت ايراخت فدخلت على الملك . فجلست عند راسهِ . وقالت : ما الذي بك ايّها الملك المحمود . وما الذي سمعتَ من البراهمة . فانّي اراك محزونًا . فأَعلِمْني ما بك . فقد ينبغي لنا أَنْ نَحزَن معك ونُوَاسيك بانفسنا * فقال الملك : ايّتها المرأة

لا تسئليني عن امري فتزيديني غمًّا وحُزنًا . فانَّهُ امرٌ لا ينبغي ان تسئليني عنهُ * قالت : أَوَنزَلتُ عندك منزلة من يستحقّ هذا . انَّما احمَدُ الناسِ عقلاً من اذا نزلتْ بهِ النازلة . كان لنفسهِ اشدَّ ضبطًا واكثَرَهم استماعًا من اهل النُّصح . حتَّى ينجو من تلك النازلة بالحيلة والعقل والبحث والمشاورة . فعظيم الذنب لا يقنُط من الرحمة * ولا تُدخِلنَّ عليك شيئًا من الهمّ والحُزن . فانهما لا يُردَّان شيئًا مقضيًّا . الاَّ أنَّهما يُنحِلانِ الجِسْم ويشفيان العدوّ * قال لها الملك : لا تسئليني عن شيء . فقد شفقْتُ عليكِ . والذي تسئليني عنهُ لا خير فيهِ . لانَّ عاقبتهُ هلاكي وهلاككِ وهلاك كثيرٍ من اهل مملكتي ومَن هو عديل نفسي * وذلك أنَّ البراهمة زعموا أنَّهُ لابُدَّ من قتلكِ وقتل

شفقت على (your importance me الحكم)

كثيرٍ من اهل مَوَدَّتي . ولا خيرَ في العيش بعدكم .
وهل يسمع احد بهذا الاّ اعتراهُ الحُزْن* فلمّا سمعت
ذلك ايراخت . جَزِعت ومنعها عقلُها أَنْ تُظهِر
للمَلِك جَزَعَها . فقالت : ايُّها الملك لا تجزع . فنحن
لك الفِداء . ولك فيَّ سِواي . ومِثْلى من الجواري . ما
تَقَرُّ بهِ عينُك* ولكنّي اطلُب منك ايها الملك
حاجةً يحملني علي طَلَبِها حُبّي لك وإيثاري لك
وهي نصيحةٌ لك* قال الملك : وما هي . قالت : اطلُب
منك أَنْ لا تَثِقَ بعدها بأحدٍ من البراهمة ولا تشاوِرَهم
في امرٍ حتّى تتثبّت في امرك . ثمّ تشاوِرَ فيهِ ثِقاتك
مِرارًا . فانّ القتلَ امرٌ عظيم . ولستَ تقدِرُ على أَنْ
تُحيي مَن قتلتَ . وقد قيل في الحديث : اذا القيتَ
جوهرًا لا خيرَ فيهِ . فلا تُلقِهِ من يدك حتّى تُرِيَهُ مَن

يَعرِفهُ * وانت ايها الملك لا تَعرِف اعدآءك . واعلم أَنَّ البراهمة لا يُحِبُّونك . وقد قتلت منهم بالامسِ اثنَيْ عشر الفًا . ولا تظُنَّ أَنَّ هؤُلآء ليسوا من اولئك * ولَعَمري ما كنتَ جديرًا أَنْ تُخبِرَهم برؤْياك . ولا أَنْ تُطلِعَهم عليها . وانَّما قالوا لك ما قالوا لاجل الحقد الذي بينك وبينهم . لعلَّهم يُهلِكونك ويُهلِكون احبَّآءك ووزيرك فيبلُغون قصدهم منك * فاظُنُّك لو قتلتَ مَن اشاروا بقتلهِ . ظفِروا بك وغلبوك على مُلكك . فيعود المُلْك اليهم كما كان * فانطلِقْ الى كَبَاريون الحكيم . فهو عالمٌ فَطِنٌ . فأَخبِرهُ عمَّا رأيتَ في رؤْياك . واسالهُ عن وجهها وتأْويلها *

فلمَّا سمع الملك ذلك . سرى عنهُ ما كان يَجِدهُ من الغمّ . فأَمر بفرسهِ فسُرِج فركِبهُ . ثمَّ انطلق الى

كبَاريون الحكيم * فلمَّا انتهى اليهِ . نزَل عن فرسهِ وسجد لهُ . وقام مطأطأ الرأس بين يديهِ * فقال لهُ الحكيم : ما بالُك ايُّها الملك . وما لي اراك متغيّرَ اللون * فقال لهُ الملك : إِنّي رأيتُ في المنام ثمانيةَ أَحلام . فقصصتُها على البراهمة . وانا خائفٌ أَنْ يُصيبَني من ذلك عظيمُ امرٍ مِمَّا سمعتُ من تعبيرهم لرؤْياي . واخشى أَنْ يُغصَب مني مُلكي او أَنْ أُغلَبَ عليهِ * فقال لهُ الحكيم : إِنْ شئت . فاقْصُصْ رؤْياك عليَّ * فلمَّا قصَّ عليهِ الملك رؤْياهُ . قال : لا يُحزِننَّك ايُّها الملك هذا الامر . ولا تخَفْ منهُ * أَمَّا السمكتان الحمراوان اللتان رأَيتَهما قائمتين على أَذنابهما . فإِنهُ ياتيك رسولٌ من مَلِكِ نَهاوَنْدَ بعلبةٍ فيها عِقْدان من الدُّرّ والياقوت الاحمر . قيمتُها اربعةُ

آلاف رَطْلٍ من ذهب . فيقوم بين يديك * وأمّا الوزّتان اللتان رأيتهما طارتا من وراءِ ظهرك . فوقعتا بين يديك . فانّهُ ياتيك من مَلِكِ بَلْخَ فَرَسان ليس على الارض مثلُها . فيقومان بين يديك * وأمّا الحيّة التي رايتها تَدِبُّ على رِجلك اليُسْرى . فانّهُ ياتيك من مَلِكِ صَنْجِينَ من يقوم بين يديك بسيفٍ خالص الحديد لا يوجد مثلُهُ * وأمّا الدمُ الذي رأيتَ كأنّهُ خُضِب بهِ جسدُك . فانّهُ ياتيك من مَلِكِ كازِرونَ من يقوم بين يديك بلباس مُعجِبٍ يسمّى حلّةَ أرْجُوانٍ يضيء في الظّلمة * وأمّا ما رأيت من غَسْلِك جِسمَك بالماء . فانّهُ ياتيك من مَلِكِ رَهزِينَ من يقوم بين يديك بثيابٍ كَتّانٍ من لِباسِ الملوك * وأمّا ما رأيتَ من أنّك على جبل

ابيضَ. فانهُ ياتيك من مَلِكِ كَيْدورَ مَن يقوم بين يديك بفيلٍ ابيضَ لا تلحقهُ الخيل * وأمَّا ما رايتَ على راسك شبيهًا بالنار. فانهُ ياتيك من مَلِكِ أرزُنَ مَن يقوم بين يديك بإكليلٍ من ذهبٍ مرصَّع بالدُّرّ والياقوت * وأمَّا الطيرُ الذي رأيتَهُ ضرب راسك بمنقارهِ. فلستُ مفسِّرًا ذلك اليوم. وليس بضارِّك. فلا تَوْجَلَنَّ منهُ. ولكنَّ فيهِ بعضَ السَّخَطِ والإعراضِ عمَّا تُحِبُّهُ * فهذا تفسيرُ رؤياك ايها الملك. وأمَّا هذه الرُّسُل والبُرُد فانهم ياتونك بعد سبعة ايَّام جميعًا. فيقومون بين يديك *

فلمَّا سمع الملك ذلك. سجد لكَبَاريونَ. ورجع الى منزلهِ * فلمَّا كان بعد سبعة أيَّام. جاءَت البشائر بقدوم الرسل. فخرج الملك فجلس على التخت. وأذِن

للأشراف. وجاءته الهدايا كما اخبره كباريون الحكيم * فلمّا رأى الملك ذلك. اشتدّ عَجَبهُ وفرحهُ من عِلمِ كباريون. وقال: ما وَفِقتُ حين قَصَصْتُ روياي على البراهمة فأمروني بما امروني بهِ • ولولا أنّ الله تعالى تداركني برحمتهِ. لكنتُ قد هلكتُ واهلكتُ * وكذلك ينبغي لكلّ احد أنْ لا يسمع الاّ من الأخلاّء ذوي العقول • وانّ ايراخت اشارت بالخير فقبلتهُ. ورأيتُ بهِ النجاح. فضعوا الهديّة بين يديها لتأخُذَ منها ما اختارت * ثمّ قال لايلاذ: خُذِ الإكليلَ والثياب. واحملها واتبعني بها الى مجلِس النِساء * ثمّ إنّ الملك دعا ايراخت وحُورَقْناه أكْرَمَ نسائهِ بين يديهِ. فقال لايلاذ: دَعِ الكُسوة والاكليل بين يدي ايراخت. لتأخُذَ أيّها شاءت * فوُضعت الهدايا

بين يدي ايراخت. فاخذت منها الاكليل. واخذت حُورَقْناه كُسْوةً من افخرِ الثياب واحسنها * وكان من عادة الملك أنْ يتعشّى ليلةً عند ايراخت وليلةً عند حُورَقْناه. وكان من سُنّة الملك أنْ تهيّي له المرأة التي يتعشّى عندها أَرُزًّا بحلاوة. فتطعمه اياه في آخرِ العشاء *

فاتى الملكُ ايراخَتَ في نوبتها. وقد صنعت لهُ ارُزًّا. فدخلت عليهِ بالصَّحْفةِ والاكليلُ على رأسها * فعلمت حورَقْناه بذلك. فغارت من ايراخت. فلبست تلك الكُسوة. ومرّت بين يدي الملك. وتلك الثيابُ تُضِيءُ عليها مع نور وجهها كما تضيء الشمس * فلمّا رآها الملك. اعجبته. ثمّ التفت الى ايراخت فقال: إنّكِ جاهلةٌ حيث اخذتِ الاكليل وتركتِ الكُسوة

التي ليس في خزائننا مِثلُها * فلمّا سمعت ايراخت مدح الملك لجورقناه وثناءَهُ عليها وتجهيلها هي وذمّ رأيها . اخذها من ذلك الغَيْرة والغَيْظ . فضربت بالصَّحفة رأسَ الملك . فسال الأرُزْ على وجهِهِ * فقام الملك من مكانهِ . ودعا بايلاذ فقال لهُ : ألَا ترى وانا مَلِكُ العالم كيف حقرتني هذه الجاهلة وفعلتْ بي ما ترى . فانطلِقْ بها فاقتلْها ولا ترحَمْها * فخرج ايلاذُ من عِندِ الملك . وقال : لا اقتُلُها حتى يسكُن عنهُ الغضب . فالمرأة عاقلةٌ سديدة الرأي من المِلَكات التي ليس لها عديل في النساء . وليس المَلِكُ بصابرٍ عنها . وقد خلّصتهُ من الموت وعملتْ أعمالاً صالحة . ورَجاؤُنا فيها عظيم * ولستُ آمِنًا أنْ يقول : لِمَ لَمْ تُؤَخِّر قتلَها حتى تراجعني . فلستُ قاتِلَها حتّى انظر

رأي الملك فيها ثانيةً • فانْ رأيتهُ نادمًا حزينًا على ما صنع . جئتُ بها حيةً . وكنتُ قد عملتُ عملاً عظيمًا . وأنجيتُ ايراخت من القتل . وحفظتُ قلبَ الملك . واتخذتُ عند عامة الناس بذلك يدًا • وإنْ رأيتهُ فرِحًا مستريحًا مصوِّبًا رأيهُ في الذي فعلهُ وأمرَ بهِ . فقتلُها لا يفوت * ثمَّ انطلق بها الى منزلِهِ . ووكّل بها خادمًا من أُمنائهِ . وامرهُ بخدمتها وحِراستها حتى ينظُر ما يكون من امرها وامرِ الملك . ثمَّ خضَب سيفَهُ بالدم . ودخل على الملك كالكئيب الحزين . فقال : ايها الملك إنّي قد امضيتُ امرك في ايراخت * فلم يلبثِ المَلِك أنْ سكن عنهُ الغضب . وذكَرَ جمال ايراخَتَ وحُسنها . واشتدَّ اسفهُ عليها * وجعل يعزّي نفسَهُ عنها ويتجلّد . وهو مع ذلك يستحي أنْ

يسئَل ايلاذَ أَحقًّا امضي امرهُ فيها ام لا * ورَجَا لِمَا عرَف من عقلِ ايلاذ أَنْ لا يكون قد فعَل ذلك .
ونظر اليهِ ايلاذُ بفضل عقلهِ . فعلم الذي بهِ . فقال لهُ : لا تهتمّ ولا تحزن ايها الملك . فانهُ ليس في الهمّ والحُزن منفعة . ولكنّها يُنحِلان الجِسم ويُفسِدانهِ . فاصبِر ايها الملك على ما لستَ بقادرٍ عليهِ ابدًا ٠ وإن احبّ الملك . حدَّثتُهُ بحديثٍ يسلّيهِ * قال : حدّثني *
قال ايلاذ : زعموا أَنَّ حمامتين ذكرًا وأُنثى ملأا عُشّها من الحِنطة والشعير . فقال الذكَر للأُنثى : إِنّا اذا وجَدنا في الصحارى ما نَعيش بهِ . فلسنا ناكُل ممّا هاهنا شيئًا ٠ فاذا جاءَ الشتاءُ ولم يكن في الصحارى شيءٌ . رجعنا الى ما في عُشّنا فاكلناهُ * فرضيتِ الأُنثى بذلك . وقالت لهُ : نِعمَ ما رأيت ٠ وكان

ذلك الحَبّ نديًا حين وضعاهُ في عُشّها * فانطلق الذكَر فغاب * فلمّا جاءَ الصيف . يبِس الحَبّ وانضمر . فلمّا رجع الذكَر . رأى الحَبّ ناقصًا . فقال لها : الم نكن قد جمعنا رأينا على أنْ لا ناكُل منهُ شيئًا . فلمَ اكلتِهِ * فجعلتْ تحلِف أنّها ما اكلتْ منهُ شيئًا . وجعلت تعتذر اليهِ . فلم يصدّقها . وجعل ينقُرها حتى ماتت * فلمّا جاءَت الأمطار ودخل الشتاءَ . تندّى الحَبّ . وامتلأ العُشّ كما كان . فلمّا رأى الذكَر ذلك . ندم . ثمّ اضطجع الى جانب حمامتهِ وقال : ما ينفعني الحَبّ والعيش بعدكِ اذا طلبتكِ فلم اجدكِ ولم اقدر عليكِ . واذا فكرتُ في امركِ وعلمتُ أنّي قد ظلمتُكِ ولا اقدر على تدارُكِ ما فات * ثمّ استمرّ على حُزنهِ . فلم يطعمْ طعامًا ولا شرابًا حتى مات الى جانبها *

والعاقل لا يعجّلُ في العَذاب والعقوبة . ولاسيّما مَن يخاف النّدامة كما نَدِمَ الحمامُ الذكّر * وقد سمعتُ ايضًا أنّ رجلاً دخل الغيضة وعلى رأسهِ كارةٌ من العدس . فوضع الكارةَ على ظهرهِ ليستريح . فنزَل قِرْدٌ من شجرةٍ . فاخذ ملءْ كفّهِ من العدس . وصعد الى الشجرة . فسقَطت من يدهِ حبّةٌ . فنزَل في طلبها فلم يجدها . وانتثر ما كان في يدهِ من العدس اجمع * وانت ايضًا ايها الملك عندك سِتّةَ عشَرَ الفَ امرأةٍ تدَع أنْ تلهو بهِنّ وتطلُب التي لا تجد * فلمّا سمع الملك ذلك . خشِي أنْ تكون ايراخت قد هلكتْ . فقال لايلاذ : لِمَ لا تأنّيت وتثبّتّ . بل اسرعت عند سَماع كلمةٍ واحدةٍ . فتعلّقتَ بها وفعلتَ ما امرتك بهِ من ساعتك * قال ايلاذ :

إنّ الذي قوله واحدٌ لا يختلف هو الله الذي لا تبديلَ لكلماتهِ ولا اختلاف لقولهِ. قال الملك : لَقد افسدتَ امري وشدّدتَ حُزني بقتل ايراخت * قال ايلاذ : اثنان ينبغي لهما أنْ يحزنا : الذي يعمل الإثم في كلّ يوم . والذي لا يعمل خيرًا قطّ . لانّ فرحهما في الدنيا ونعيمها قليل . وندامتَهما اذا عاينا الجزآء طويلةٌ لأيستطاع إحصاؤها * قال الملك : لَئِن رأيتُ ايراخت حيّةً . لا احزن على شيءٍ ابدًا * قال ايلاذ : اثنان لا ينبغي لهما أنْ يحزنا . المجتهد في البِرّ كلّ يوم . والذي لم يأثَم قطّ * قال الملك : ما انا بناظرٍ الى ايراخت اكثرَ ممّا نظرتُ * قال ايلاذ : اثنان لا ينظُران . الاعمى . والذي لا عقل لهُ . وكما أنّ الاعمى لا ينظر السمآء ونجومَها وارضها . ولا ينظر القُرب والبُعد .

كذلك الذي لا عقل لهُ لا يَعرِف الحُسْن من القُبح ولا المُحسِن من المُسِيء * قال الملك : لو رأيتُ ايراخت . لاشتدَّ فرحي * قال ايلاذ : اثنان هما الفَرِحان : البصير والعالِم . فكما أنَّ البصير يُبصِر امور العالم وما فيهِ من الزيادةِ والنُقصان والقريبَ والبعيد . فكذلك العالِم يُبصِر البِرَّ والإثم . ويعرف عمل الآخرة . ويتبيَّن لهُ نجاتهُ . ويهتدي الى الصِراط المستقيم * قال الملك : ينبغي لنا أنْ نتباعد منك يا ايلاذ وناخُذَ الحَذَر . ونلزَم الاتقاءَ * قال ايلاذ : اثنان ينبغي أنْ يُتباعَد منهما : الذي يقول لا بِرَّ ولا إثم ولا عِقاب ولا ثَواب ولا شيء عليَّ مما انا فيهِ . والذي لا يكاد يَصرِف بَصَرَهُ عمَّا ليس لهُ بجُرْم . ولا أُذُنهُ عن استماع السوء . ولا قلبهُ عمَّا تَهِيم بهِ نفسهُ من الإثم والحِرْص * قال

الملك: صارت يدي من ايراخت صِفرًا. قال ايلاذ: ثلاثة اشياء أصفار: النهر الذي ليس فيهِ ماءٌ. والارض التي ليس فيها مَلِك. والمرأة التي ليس لها بعل * قال الملك: إنك يا ايلاذ لتلقى بالجواب. قال ايلاذ: ثلاثة يُلقَون بالجواب: الملك الذي يعطي ويَقسِم من خزائنهِ. والمرأة المُهَدَّاة الى مَن تهوَى من ذوي الحَسَب. والرجلُ العالِمُ الموفَّق للخير * ثمَّ إنَّ ايلاذ لمَّا رأى الملك اشتدَّ بهِ الامر. قال: ايها الملك إنَّ ايراخَت بالحيوة * فلمَّا سمع الملك ذلك. اشتدَّ فرحهُ. وقال: يا ايلاذ إنَّما منعني من الغضب ما اعرِفُ من نصيحتك وصِدق حديثك. وكنتُ ارجو لمعرفتي بعلمك أنْ لا تكون قد قتلتَ ايراخت. فانها وإنْ كانت أتت عظيمًا. واغلاظت في القول. فلم

تاتهِ عداوةً ولا طلبَ مضرّةٍ . ولكنّها فعلت ذلك للغَيرة . وقد كان ينبغي لي أنْ أُعرِضَ عن ذلك واحتملهُ . ولكنّك يا ايلاذ أَردتَ أنْ تختبرني وتتركني في شَكٍّ من امرها . وقد اتّخذتَ عِندي افضلَ الايدي . وانا لك شاكرٌ . فانطلِق فأْتِني بها *

فخرج ايلاذُ من عند الملك . فاتى ايراخت . وامرها أنْ تتزيّن . ففعلت ذلك * وانطلق بها الى الملك . فلمّا دخلت . سجدت لهُ . ثمّ قامت بين يديهِ : وقالت احمدُ اللهَ تعالى ثمّ احمدُ الملكَ الذي احسن اليّ وقد اذنبتُ الذنبَ العظيم الذي لم اكن للبقاء أهلاً بعدهُ فوسعهُ حِلمهُ وكَرَم طبعهِ ورأفتهُ . ثمّ احمدُ ايلاذَ الذي أخّرَ امري . وأنجاني من الهلكة لعلمهِ برأفة الملك وسعة حِلمهِ وجودهِ وكَرَم

جوهرهِ ووفاء عهدهِ * وقال الملك لايلاذ : ما اعظمَ يدَك عندي وعند ايراخت وعند العامة . اذ قد احييتَها بعدما امرتُ بقتلها * فانت الذي وهبها لي اليوم . فاني لم ازَلْ واثقًا بنصيحتك وتدبيرك . وقد ازددتَ اليومَ عندي كرامةً وتعظيمًا * وانت محكَّمٌ في مُلكي تعمل فيهِ بما ترى . وتحكُمُ عليهِ بما تريد . فقد جعلتُ ذلك اليك ووثِقتُ بك * قال ايلاذ : ادام الله لك ايها المَلِك المُلكَ والسرور . فلستَ بمحمودٍ على ذلك . فانما انا عبدك . لكنْ حاجتي أنْ لا يعجّل الملكُ في الامر الجسيم الذي يندم على فعلهِ وتكون عاقبتهُ الغمّ والحُزن . ولاسيما في مِثل هذه المرأة الناصحة المُشفِقة التي لا يوجد في الارض مِثلُها * قال الملك : بحقٍّ قلتَ يا ايلاذ . وقد قبِلتُ

قولك. ولستُ عاملاً بعدها عملاً صغيرًا ولا كبيرًا
فضلاً عن مثل هذا الامر العظيم الذي انّما سلِمتُ
منهُ بك الاَّ بعد المؤامرة والنظر والتردّد الى ذوي
العقول ومُشاوَرة اهلِ المَودّة والرأي * ثمّ احسن
الملك جائزةَ ايلاذ. ومكّنهُ من اولئك البراهمة
الذين اشاروا بقتل احبّائهِ. فأطلق بهم السيف *
وقرّت عين الملك وعيون عظمآء اهل مملكتهِ.
وحمدوا الله. واثنوا على كباريون لِسعة عِلمهِ وفضل
حِكمتهِ. لانهُ بعِلمهِ خلّص الملك ووزيرهُ الصالح
وامرأتهُ الصالحة *

انقضى باب ايلاذ وبلاذ وابراخت

الباب الخامس عشر

قصة اللبوة والاسوار والشعهر فيهِ مثل الذي يدع ضر غيرهِ لما اضربه

قال دَبْشَليم الملك لبيدبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المَثَل. فاضرِب لي مَثَلاً في شأن مَن يَدَعُ ضُرَّ غيرهِ اذا قَدِر عليهِ لِمَا يُصيبهُ من الضرر. ويكون لهُ في ما ينزِل بهِ واعظٌ وزاجرٌ عن ارتكاب الظُلم والعداوة لغيرهِ * قال الفيلسوف: إِنَّهُ لا يُقدِمُ على طلب ما يُضِرُّ بالناس وما يسوءهم الاَّ اهلُ الجهالة والسَّفهِ وسوء النظر في العواقب من امور الدنيا والآخِرة وقِلَّةِ العِلم بما يدخُل عليهم في ذلك من حلول النِّقمة. وبما يلزمهم من تَبِعة ما اكتسبوا ممَّا لا تُحِيطُ بهِ العقول. وإِنْ سَلِم بعضهم من ضرر بعضٍ

بمنيّة عرضت قبل نزول وبال ما صنعوا اعتفرتهم الاخرى بما ينقطع فيه الكلام و الوصف في الشدة و عظم الهول و ربما اتعظ ××

بَمنيّةٍ عرضتْ لهُ قبل أَنْ ينزِلَ بهِ وَبالُ ما صنع * فإنّ مَن لم يفكّرْ في العواقب. لم يأمَنِ المصائبَ. وحقيقٌ أَنْ لا يسلَمَ من المعاطِب. وربّما اتّعظ الجاهلُ واعتبر بما يصيبهُ من المَضَرّة من غيرهِ. فارتدع عن أَنْ يغشَى احدًا بمِثل ذلك من الظُلم والعُدوان. وحصَل لهُ نفعُ ما كفّ عنهُ من ضررهِ لغيرهِ في العاقبة * فنظير ذلك حديثُ اللّبُوَة والأُسْوارِ والشَّعْهَر. قال الملك: وكيف كان ذلك * قال الفيلسوف: زعموا أَنّ لَبُوَةً كانت في غَيضةٍ ولها شِبْلان. وإنّها خرجت في طلب الصيد. وخلّفتهما في كهفها. فمرّ بهما أُسوارٌ. فحمل عليهما ورماهما. فقتلهما وسلخ جلدَيْهما. فاحتقبهما وانصرف بهما الى منزلِهِ * ثمّ إنّها رجعت. فلمّا رأت ما حلّ بهما من

الامر الفظيع . اضطربت ظَهرًا لبطنٍ وصاحت وضجّت * وكان الى جَنبها شَعْهَر . فلمّا سمع ذلك من صياحها . قال لها : ما هذا الذي تصنعين . وما نزَل بكِ . أَخبريني بهِ * قالت اللَّبوَة : شِبلايَ مرَّ بهما أُسوار فقتلهما . وسلخ جلديهما . فاحتقبهما ونبذهما بالعَرَآء * قال لها الشعهر : لا تضجّي . وأَنصِفي من نفسكِ . واعلمي أَنَّ هذا الأُسوار لم يأتِ اليكِ شيئًا الَّا وقد كنتِ تفعلين بغيركِ مثلَهُ . وتأْتين الى غيرِ واحدٍ مثلَ ذلك مِمَّا كان يَجِدُ بِحَمِيمِهِ . ومَن يعِزُّ عليهِ . مثلَ ما تجدين بشِبلَيْكِ * فاصبِري على فِعل غيركِ كما صبر غيرُكِ على فعلِكِ . فانَّهُ قد قيل : كما تَدِين تُدانِ . ولكلِّ عَمَلٍ ثمرةٌ من الثَّواب والعِقاب . وهما على قَدَرِهِ في الكَثرة والقِلَّة . كالزرع

اذا حَضِرَ الحصاد . اعطى على حَسَب بَذْرِهِ * قالت اللَّبُوَة : بيّنْ لي ما تقول . وأَفصِحْ لي عن إشارتِهِ * قال الشعهر : كم اتى للكِ من العُمر * قالت اللبوّة : مائةُ سنةٍ * قال الشعهر : ما كان قُوتُكِ . قالت اللَّبُوَة : لحمُ الوحوشِ * قال الشعهر : مَن كان يُطعمكِ اياهُ . قالت اللبوّة : كنتُ أَصيدُ الوحش وآكُلهُ * قال الشعهر : ارأيتِ الوحوش التي كنتِ تاكُلين . أَمَا كان لها آباءٌ وأُمهاتٌ . قالت : بلَى * قال الشعهر : فما بالي لا أَرى ولا اسمع لتلك الآباء والأُمهات من الجزَع والضجيج ما أَرى واسمع لكِ . أَمَا إِنَّهُ لم يَنزِلْ بكِ ما نزَل الّا لسوء نظركِ في العواقب وقلّة تفكّرك فيها وجَهالتكِ بما يرجعُ عليكِ من ضرّها * فلمّا سمعت اللَّبُوَة ذلك من

كلام الشعهر. عرفت أنَّ ذلك مما جنتْ على
نفسها وأنَّ عملها كان جورًا وظلمًا. فتركت الصيد
وانصرفت عن اكل اللحم الى اكل الثمار والنُّسك
والعبادة * فلمَّا رأى ذلك ورشانٌ (وكان صاحبَ
تلك الغيضة) وكان عيشُهُ من الثمار. قال لها: قد
كنتُ اظنُّ أنَّ الشجرَ عامَنا هذا لم تحمل لقلة المآء.
فلمَّا ابصرتُكِ تاكلينها وانتِ آكِلة اللحم. فتركتِ
رزقكِ وطعامكِ وما قسم الله لكِ. وتحوَّلتِ الى
رزق غيركِ فانتقصتِهِ ودخلتِ عليهِ فيهِ. علمتُ
أنَّ الشجرَ العامَ اثمرتْ كما كانت تُثمِرُ قبل اليوم.
وانَّما اتتْ قِلَّةُ الثمر من جهتكِ * فويلٌ للشجر.
وويلٌ للثمار. وويلٌ لمن عيشُهُ منها. ما اسرعَ هلاكَهم
اذا دخل عليهم في أرزاقهم وغلبهم عليها مَن ليس لهُ

فيها حظٌّ ولم يكن معتادًا لاكلها * فلمّا سمعت اللبوَّة ذلك من كلام الوَرَشانِ. تركت اكلَ الثِمارِ. واقبلتْ على اكل الحشيش والعِبادة * وانّما ضربتُ لك هذا المثل لتعلم أنّ الجاهل رُبّما انصرف بضُرٍّ يُصيبهُ عن ضُرِّ الناس. كاللبوّة التي انصرفت لِمَا لقِيت في شِبلَيها عن اكل اللحم ثمّ عن اكل الثمار بقول الوَرَشان. واقبلت على النُسك والعِبادة * والناسُ احقّ بحُسن النظر في ذلك. فانّهُ قد قيل: ما لا ترضاهُ لنفسك لا تصنعهُ لغيرك. فانّ في ذلك العدلَ. وفي العدل رِضاءَ الله تعالى ورضى الناس *

انقضى باب اللبوة والاسوار والشعهر *



الباب السادس عشر

باب الناسك والضيف

قالَ دَبْشَليم الملك لبِيد با الفيلسوف: قد سمِعتُ هذا المَثَل. فاضرِب لي مثَلَ الذي يدَعُ صُنعهُ الذي يليق بهِ ويشاكلهُ. ويطلب غيرَهُ فلا يُدرِكهُ. فيبقى حيْرانَ متردِّدًا * قال الفيلسوف: زعموا أنَّهُ كان بارض الكَرْخ ناسكٌ عابدٌ مجتهِدٌ. فنزَل بهِ ضيفٌ ذاتَ يوم. فدعا الناسكُ لضيفهِ بتَمْرٍ ليُطرِفَهُ بهِ. فاكلا منهُ جميعًا * ثمَّ قال الضيف: ما احلى هذا التَمْر واطيبَهُ. فليس هو في بلادي التي اسكُنها. وليتَهُ كان فيها * ثمَّ قال: أرى أنْ تساعدني على أنْ آخُذَ منهُ ما اغرِسهُ في أرضنا. فانّي لستُ عارفًا بثِمار ارضكم هذه ولا بمواضعها * فقال له

الناسك : ليس لك في ذلك راحة . فانّ ذلك يثقُل عليك . ولعلّ ذلك لا يوافق ارضكم . مع أنّ بلادكم كثيرة الأثمار . فما الحاجة مع كَثرة ثِمارها الى التّمر مع وَخامتهِ وقِلّة مُوافقتهِ للجسد * ثمّ قال لهُ الناسك : إنّهُ لا يُعَدّ حكيمًا مَن طلب ما لا يجِد . وإنّك سعيدُ الجَدّ اذا قنِعت بالذي تجِد . وزَهِدتَّ في ما لا تجد * وكان هذا الناسك يتكلّم بالعِبرانيّة . فاستحسَنَ الضّيفُ كلامَهُ وأعجبهُ . فتكلّف أنْ يتعلّمهُ . وعالج في ذلك نفسهُ أيّامًا * فقال الناسك لضيفهِ : ما أخلقَك أنْ تقع ممّا تركتَ من كلامك وتكلّفت من كلام العِبرانيّة في مِثْل ما وقع فيهِ الغراب . قال الضيف : وكيف كان ذلك * قال الناسك : زعموا أنّ غُرابًا رأى حَجَلَةً تدرُج وتمشي . فاعجبتهُ مِشيتها

وطمع أَنْ يتعلّمها * فراض على ذلك نفسَهُ . فلم يقدرْ على إحكامها ويَئِس منها . واراد أَنْ يعود الى مِشيتهِ التي كان عليها . فاذا هو قد اختلط وتخلّع في مِشيتهِ . وصار اقبحَ الطير مَشيًا * وإنّما ضربتُ لك هذا المثل لِمَا رأيتُ من أَنّكَ تركتَ لِسانك الذي طُبعتَ عليهِ . واقبلتَ على لِسان العبرانيّة وهو لا يشاكلك . واخاف أَنْ لا تُدركَهُ وتنسى لِسانك وتَرجعَ الى اهلك وانت اشرّهم لِسانًا . فانّهُ قد قيل إنّهُ يعدّ جاهلاً مَن تكلّف من الامور ما لا يشاكلهُ وليس من عملهِ ولم يؤدّبْهُ عليهِ آباؤُهُ وأجدادهُ من قبلُ *

انقضى باب الناسك والضيف

الباب السابع عشر

قصّة السائح والصائغ

قال دَبْشَليم الملك لبيدبا الفيلسوف : قد سمعتُ هذا المثل . فاضرِبْ لي مثلاً في شان الذي يضع المعروفَ في غير موضِعهِ ويرجو الشُكرَ عليهِ * قال الفيلسوف : ايّها الملك إنّ طبائعَ الخَلق مختلفةٌ . وليس ممّا خلقَهُ الله في الدنيا ممّا يمشي على اربع قوائم او على رِجلين او يَطير بجَناحين شيءٌ هو افضلُ من الانسان * ولكنْ من الناس البَرُّ والفاجر . وقد يكون في بعضِ البهائم والسِباع والطير ما هو أوفى منهُ ذِمّةً . واشدُّ محاماةً على حُرمةٍ . وأشكرُ للمعروف وأقوَمُ بهِ * وحينئذٍ يجب على ذوي العقل من الملوك وغيرهم أن يضَعوا معروفهم مواضِعَهُ . ولا يضيّعوهُ عند مَن لا

يحتمله ولا يقوم بشكره. ولا يصطفوا احدًا الاّ ابعد الخبرة بطرائقه والمعرفة بوفائه ومودّته وشكره * ولا ينبغي أنْ يختصّوا بذلك قريبًا لقرابته اذا كان غير محتمل للصنيعة. ولا ان يمنعوا معروفهم ورفدهم للبعيد اذا كان يقيهم بنفسه وما يقدر عليه. لانّهُ يكون حينئذٍ عارفًا بحقّ ما اصطُنع اليه. مؤدّيًا الشكر على ما أُنعِم به عليه. محمودًا بالنُّصح. معروفًا بالخير. صدوقًا. عارفًا. مؤثرًا الحميد الفعال والقول * وكذلك كلُّ مَن عُرف بالخصال المحمودة ووُثق منهُ بها. كان للمعروف موضعًا ولتقريبه واصطناعه اهلاً * فانّ الطبيب الرفيق العاقل لا يقدرُ على مداواة المريض الاّ بعد النّظر اليه والجسّ لعروقه ومعرفة طبيعته وسبب علّته. فاذا عرَف ذلك كلّهُ حقّ معرفته.

أَقدم على مداواتهِ * فكذلك العاقل لا ينبغي لهُ أَنْ
يصطفيَ احدًا ولا يستخلصهُ الأَّ بعد الخبرة. فانهُ مَن
اقدم على مشهور العَدالةِ من غير اختبار. كان مخاطِرًا
في ذلك ومُشرِفًا منهُ على هلاكٍ وفَساد * ومع ذلك
ربَّما صنع الانسانُ المعروفَ مع الضعيف الذي لم
يجرّبْ شُكرَهُ . ولم يعرِفْ حالَهُ في طبائعهِ فيقوم
بشُكر ذلك ويكافئ عليهِ احسنَ المكافأة * وربما
تحذَّر العاقل من الناس . ولم يأمَن على نفسهِ احدًا
منهم . وقد ياخُذ ابنَ عِرسٍ فيُدخِلهُ في كُمّهِ ويُخرِجهُ
من الاخرى . كالذي يحمِل الطائر على يدهِ . فاذا
صاد شيئًا. انتفع بهِ واطعمهُ منهُ * وقد قيل: لا ينبغي
لذي العقل أَنْ يحتقر صغيرًا ولا كبيرًا من الناس
ولا من البهائم . ولكنهُ جديرٌ بأَنْ يبلُوَهم . ويكون

ما يصنع اليهم على قَدَرِ ما يرى منهم * وقد مضى في ذلك مَثَلٌ ضربهُ بعض الحكمآء. قال الملك: وكيف كان ذلك *

قال الفيلسوف: زعموا أنّ جماعةً احتفروا رَكِيّةً. فوقع فيها رجلٌ صائغ وحيّةٌ وقِرْدٌ وبَبْر * ومرّ بهم رجلٌ سائح. فاشرف على الركيّة. فبَصُر بالرجل والحيّة والببر والقِرْد. ففكّر في نفسهِ وقال: لستُ اعمل لآخِرتي عَمَلاً افضل من أَنْ اخلّص هذا الرجل من بين هولآء الأعدآء * فاخذ حبلاً وادلاهُ الى البئر. فتعلّق بهِ القِرْد لخِفّتهِ فخرج * ثمّ دلاهُ ثانيةً. فالتفّت بهِ الحيّة فخرجت * ثمّ دلاهُ ثالثةً. فتعلّق بهِ البَبر فأخرجهُ * فشكرن لهُ صنيعهُ وقلن لهُ: لا تُخرجْ هذا الرجل من الركيّة. فانّهُ ليس شيءٌ اقلّ من

شُكر الانسان. ثمَّ هذا الرجلِ خاصَّةً * ثمَّ قال لهُ القِرد: إنَّ منزِلي في جبلٍ قريب من مدينة يقال لها نَوَادِرَخت. فقال لهُ البَبر: انا ايضًا في اَجمةٍ الى جانب تلك المدينة. قالت الحيَّة: انا ايضًا في سُور تلك المدينة. فإنْ انت مررتَ بنا يومًا من الدهر واحتجتَ الينا. فصوِّتْ علينا حتى ناتيك فنجزيَكَ بما اسديتَ الينا من المعروف * فلم يلتفت السائح الى ما ذكروا لهُ من قِلّة شُكر الانسان. وادلى الحبل فاخرج الصائغ * فسجد لهُ وقال لهُ: لقد اوليتني معروفًا. فإنْ اتيتَ يومًا الى نوادِرَخت. فاْسأل عن منزِلي. فانا رجلٌ صائغ. لعلّي اكافئك بما صنعتَ اليَّ من المعروف * فانطلق الصائغ الى مدينتهِ. وانطلق السائح الى وِجهتهِ * فعرَض بعد

ذلك انّ السائحَ اتّفقت لهُ حاجةٌ في تلك المدينة. فانطلق اليها. فاستقبلَهُ القِرْدُ فسجد لهُ وقبّلَ رجليهِ. واعتذر اليهِ وقال: إنّ القرود لا يَملكون شيئًا. ولكن اقعُدْ حتّى آتيك. وانطلق القِرْد واتاهُ بفاكهةٍ طيّبة. فوضعها بين يديهِ. فاكل منها حاجتهُ * ثمّ إنّ السائح انطلق حتى دنا من باب المدينة. فاستقبلهُ البَبرُ فخرّ لهُ ساجدًا. وقال لهُ: إنّك قد اوليتني معروفًا. فاطمئِنّ ساعةً حتى آتيك* فانطلق البَبر فدخل في بعض الحيطان الى بنتِ الملك. فقتلها واخذ حَلْيَها. فاتاهُ بهِ من غيرِ انْ يعلم السائحُ من اين هو * فقال في نفسهِ: هذه البهائم قد اولتني هذا الجزاء. فكيف لو اتيتُ الى الصائغ. فانّهُ انْ كان مُعسِرًا لا يَملِك شيئًا. فسيَبيعُ هذا الحَليَ فيستوفي ثمنَهُ. فيُعطيني

بعضهُ ويأخذ بعضهُ . وهو أَعرَفُ بثمنهِ * فانطلق السائح فاتى الى الصائغ . فلمَّا رآهُ . رحَّب بهِ وادخلهُ الى بيتهِ . فلمَّا بَصُر بالحَلْي معهُ . عرَفهُ . وكان هو الذي صاغهُ لابنة الملك . فقال للسائح : اطمئِنَّ حتَّى آتيك بطَعام . فلستُ ارضى لك ما في البيت * ثمَّ خرج وهو يقول : قد أَصَبتُ فُرصتي : أَنطلِق الى المَلِك . وأَدُلُّهُ على ذلك . فتَحسُن منزِلتي عندهُ * فانطلق الى باب الملك . فارسل اليهِ أَنْ : الذي قتل ابنتَك واخذ حَلْيها عندي * فارسل الملك واتى بالسائح . فلمَّا نظر الحَلْيَ معهُ . لم يُمهِلْهُ . وأَمر بهِ أَنْ يُعذَّب . ويُطاف بهِ في المدينة ويُصلَب * فلمَّا فعلوا بهِ ذلك . جعل السائحُ يبكي ويقول باعلى صوتهِ : لو أَنّي أَطَعتُ القِرْد والحيَّة والببْر في ما امرتني بهِ واخبرتني من

قِلّة شكر الانسان . لم يَصِر امري الى هذا البلاء .
وجعل يكرّر هذا القول * فسمعت مقالتَهُ تلك
الحيّةُ . فخرجت من غارها . فعرَفتهُ فاشتدَّ عليها
خَطبُهُ . فجعلت تحتال في خلاصهِ * فانطلقت حتى
لدغت ابن الملك . فدعا الملك اهلَ العلم . فرَقَوهُ
ليَشفوهُ . فلم يُغنُوا عنهُ شيئًا * ثمَّ مَضَتِ الحيّةُ الى
أُختٍ لها من الجِنّ . فاخبرتها بما صنع السائح اليها
من المعروف وما وقع فيهِ . فرَقَتْ لهُ . وانطلقت الى
ابن الملك وتخايلت لهُ وقالت لهُ : إِنَّك لا تبرأُ حتى
يَرقِيَك هذا الرجل الذي عاقبتموهُ ظُلمًا * وانطلقت
الحيّة الى السائح . فدخلت اليهِ السِجنَ وقالت لهُ :
هذا الذي كنتُ نهيتُك عنهُ من اصطناع المعروف
الى هذا الانسان ولم تُطِعني . وأنتهُ بورَقٍ ينفع من

سمّها . وقالت لهُ : اذا جآءوا بك لترقيَ ابنَ الملك . فأسقِهِ من مآء هذا الورق . فانّهُ يبرأُ . واذا سئلك الملك عن حالك . فاصدُقْهُ . فانّك تنجو إِنْ شآء الله تعالى * وإِنّ ابن الملك أخبر الملك أنّهُ سمع قائلاً يقول : إِنّك لن تبرأ حتّى يرقِيَك هذا السائح الذي حُبس ظُلمًا * فدعا الملك بالسائح . وأمرهُ أنْ يرقِيَ ولدَهُ . فقال : لا أُحسِنُ الرُّقَى . ولكنْ أسقيهِ من مآء هذه الشجرة . فيبرأُ بإِذن الله تعالى . فسقاهُ فبرِئَ الغُلام * ففرح الملك بذلك . وسألهُ عن قِصّتهِ فأخبرهُ . فشكرهُ الملك واعطاهُ عطيّةً حَسَنةً * وامر بالصائغ أنْ يُصلَب . فصلبوهُ لكذبِهِ وانحرافِهِ عن الشُّكر ومجازاتهِ الفِعلَ الجميل بالقبيح *

ثمّ قال الفيلسوف للملك : ففي صنيع الصائغ

بالسائح وكُفرِهِ لهُ بعد استنقاذهِ اياهُ وشُكر البهائم لهُ وتخليص بعضِها اياهُ عِبرةٌ لمن اعتبر. وفكرةٌ لمن افتكر. وادبٌ في وضع المعروف والإحسان عند اهل الوفآء والكَرَم. قَرُبوا او بَعُدوا. لِمَا في ذلك من صَواب الرأي وجَلْب الخير وصرف المكروه *

انقضى باب السائح والصائغ

الباب الثامن عشر

باب ابن الملك واصحابهِ

قال دَبْشَليم الملك لبِيدْبا الفيلسوف: قد سمعتُ هذا المَثَل. فإِنْ كان الرجل لا يصيب الخير الاّ بعقلهِ ورأيهِ وتثبتّهِ في الامور كما يزعمون. فما بالُ الرجلِ الجاهلِ يُصيب الرِفعةَ والخير. والرجلِ

الحكيم العاقل قد يُصيبُ البلآءَ والضُرِّ * قال بيدبا: كما أنّ الانسانَ لا يُبصِرُ الاّ بعينيهِ . ولا يسمع الاّ باذنيهِ . كذلك العمل انّما هو بالحِلم والعقل والتثبّت * غير أنّ التدبير الربّانيّ يغلِب على ذلك . ومَثَل ذلك مَثَل ابن الملك واصحابه . قال الملك : وكيف كان ذلك * قال الفيلسوف : زعموا أنّ اربعة نَفَرٍ اصطحبوا في طريقٍ واحدةٍ . احدهم ابنُ مَلِكٍ . والثاني ابنُ تاجرٍ . والثالث ابن شريف ذو جَمال . والرابع ابن أكّارٍ * وكانوا جميعًا محتاجين . وقد اصابهم ضَرَرٌ وجُهدٌ شديدٌ في موضعِ غُربةٍ . لا يَملِكون الاّ ما عليهم من الثياب * فبينما هم يمشون . اذ فكروا في امرهم . وكان كلّ انسانٍ منهم راجعًا الى طِباعهِ . وما كان ياتيهِ منهُ الخير * قال ابن

الملك : إنّ امر الدُّنيا كلّهُ بالتدبير الربّانيّ . والذي دبّرتْهُ العِناية الآلهيّة للانسان . ياتيهِ على كلّ حالٍ . والصبرُ للعِناية الربّانيّة والاتّكالُ عليها افضلُ الامور * وقال ابن التاجر : العقلُ افضل من كلّ شيء * وقال ابن الشريف : الجَمال افضلُ ممّا ذكرتم * ثمّ قال ابن الاكّار : ليس في الدنيا افضلُ من الاجتهاد في العمل * فلمّا قرُبوا من مدينةٍ يقال لها مَطْرُون . جلسوا في ناحيةٍ منها يتشاورون . فقالوا لابن الاكّار : انطلقْ فاكتسِبْ لنا باجتهادك طَعامًا ليومنا هذا * فانطلق ابن الاكّار . وسأل عن عملٍ اذا عملهُ الانسان يكتسب فيهِ طعامَ اربعةِ نفر * فعرّفوهُ أنّهُ ليس في تلك المدينة شيءٌ اعزُّ من الحطَب . وكان الحطب منها على فرْسخ * فانطلق

آبنُ الاكّار فاحتطب طُنًّا من الحَطَب. واتى بهِ المدينةَ. فباعهُ بدِرهمٍ واشترى بهِ طعامًا. وكتب على باب المدينة: عملُ يومٍ واحد اذا أَجهَد فيهِ الرجلُ بَدَنَهُ. قيمتهُ درهم * ثمَّ انطلق الى أَصحابهِ بالطعام. فأَكلوا. فلمَّا كان بالغد. قالوا: ينبغي للّذي قال أَنهُ ليس شيءٌ اعزُّ من الجَمال أَنْ تكون نَوْبتهُ * فانطلق ابن الشريف ليأْتيَ المدينة. ففكر في نفسهِ وقال: انا لستُ أُحسِنُ عملاً. فما يُدخِلني المدينة. ثمَّ استحيا أَنْ يَرجع الى أَصحابهِ بغير طعامٍ وهَمَّ بمفارَقتهم * فانطلق حتّى أَسنَدَ ظهرهُ الى شجرةٍ عظيمة. فحملهُ النوم فنام. فمرَّت بهِ آمرأَةُ رجلٍ من عظماء المدينة وبصُرت بهِ. فاعجبها حُسْنُهُ * فارسلت خادِمتها وأَمرتْها أَنْ تأْتيَها بهِ. فانطلقت الجارية

الى الغُلام ِ وامرتْهُ أَنْ يتبعها الى مولاتها . فظلَّ نهارَهُ عندَها في اطيَبِ المآدِب * فلمَّا كان عند المساء . اجازَتْهُ بخمسِمائة دِرهَم . فخرج وكتب على باب المدينة : جَمالُ يومٍ واحدٍ يساوي خمسِمايَةِ درهَمٍ . واتى بالدراهم الى أصحابِهِ * فلمَّا اصبحوا في اليوم الثالث . قالوا لابن التاجر : انطلقْ انت فاطلبْ لنا بعقلك وتِجارتك ليومنا هذا شيئًا . فانطلق ابنُ التاجر . فلم يزَلْ حتى بصرَ بسفينةٍ من سُفُن البحر كثيرةِ المَتاع . قد قَدِمت الى الساحل * فخرج اليها جماعةٌ من التُجّار يريدون أَنْ يبتاعوا ممّا فيها من المَتاع . فجلسوا يتشاورون في ناحيةٍ من المركب . وقال بعضهم لبعض : أرجِعوا يومَنا هذا . لا نشتري منهم شيئًا حتّى يكسُدَ المَتاعُ عليهم فيرخّصوهُ علينا . مع

أَنَّنا محتاجون اليهِ وسيرخُص * فخالف الطريقَ وجآءَ الى أَصحاب المَرْكَب. فابتاعَ منهم ما فيها بمِائةِ دينارٍ نسيئةً. واظهر أَنَّهُ يُريد أَنْ ينقُلَ متاعهُ الى مدينةٍ اخرى * فلمَّا سمع التُّجَّار ذلك. خافوا أَنْ يذهب ذلك المَتَاعُ من ايديهم. فأَربحوهُ على ما اشتراهُ مِائةَ الفِ درهم. واحال عليهم أَصحاب المركبِ بالباقي. وحمل رِبحَهُ الى أَصحابهِ. وكتب على باب المدينة: عقلُ يومٍ واحدٍ ثمنهُ مائةُ الفِ درهم * فلمَّا كان اليوم الرابع. قالوا لابن الملك: انطلِقْ انت واكتسب لنا بتدبيرك الربَّانيِّ * فانطلق ابنُ الملك. حتَّى اتى الى باب المدينة. فجلس على متَّكأٍ في باب المدينة * فاتَّفق أَنَّ مَلِكَ تلك الناحية مات. ولم يخلِّف ولدًا ولا احدًا ذا قرابة * فمرّوا

عليهِ بجنازةِ الملك. فرأوهُ لا يَحزَن وكلُّهم يحزَنون. فانكروا حالَهُ. وشتمهُ البوّابُ وقال لهُ: مَن انت يا كَلبُ. وما يُجلِسُك على باب المدينة. ولا نراك تحزَنُ لموت الملك. وطردهُ البوّاب عن الباب * فلمّا ذهبوا. عاد الغُلام فجلس مكانَهُ * فلمّا دفنوا المَلِك ورجعوا. بَصُرَ بهِ البوّاب. فغضب وقال لهُ: الم أَنْهَك عن الجلوس في هذا الموضع. واخذهُ فحبسهُ * فلمّا كان الغدُ. اجتمع اهلُ تلك المدينة يتشاورون في مَن يملّكونهُ عليهم. وكلٌّ منهم يطتاول بنَظَر صاحبهِ ويختلفون بينهم * فقال لهم البوّاب: إنّي رأيتُ امسِ غُلامًا جالسًا على الباب. ولم أرَهُ يحزَن لحُزننا. فكلّمتهُ فلم يُجبني. فطردتهُ عن الباب. فلمّا عُدتُ. رأيتهُ جالسًا. فادخلتهُ السجنَ مخافةَ أنْ يكون عينًا *

فبعث أَشرافُ اهل المدينة الى الغلام . فجآءُوا بهِ وسأَلوهُ عن حالهِ. وما اقدمهُ الى مدينتهم * فقال: انا ابن مَلِكِ فُوِيران . وإِنَّهُ لمَّا مات والدي . غلبني اخي على المُلك . فهربتُ من يدهِ حذَرًا على نفسي . حتَّى انتهيتُ الى هذه الغاية * فلمَّا ذكر الغُلام ما ذكر من امرهِ . عرَفهُ مَن كان يغشى ارضَ ابيهِ منهم . وأَثنَوْا على ابيهِ خيرًا * ثمَّ إِنَّ الأَشراف اختاروا الغُلام أَنْ يملِّكوهُ عليهم ورَضُوا بهِ . وكان لاهل تِلك المدينة سُنَّةٌ : اذا ملَّكوا عليهم مَلِكًا . حمَلوهُ على فيلٍ ابيضَ . وطافوا بهِ حَوَالَيِ المدينة * فلمَّا فعلوا بهِ ذلك . مرَّ بباب المدينة . فرأَى الكِتابة على الباب . فأَمر أَنْ يُكتَب : إِنَّ الاجتهادَ والجَمالَ والعقلَ وما اصابَ الرجلَ في الدنيا من خيرٍ وشرٍّ

إنما هو بتدبيرٍ ربانيٍّ من الله عزَّ وجلَّ . وقد ازددتُ في ذلك اعتبارًا بما ساق الله اليَّ من الكرامة والخير * ثمَّ انطلق الى مجلسهِ . فجلَس على سرير مُلكهِ . وارسل الى اصحابهِ الذين كان معهم فأحضرهم . فأشرك صاحبَ العقل مع الوزراء . وضمَّ صاحبَ الاجتهاد الى أصحاب الزرع . وامر لصاحب الجمالِ بمالٍ كثيرٍ . ثمَّ نفاهُ كي لا يَفتِن النساء * ثمَّ جمع علماء ارضهِ وذوي الرأي منهم . وقال لهم : أمَّا اصحابي فقد تيقنوا أنَّ الذي رزقهم اللهُ سبحانهُ من الخير انما هو بتدبيرٍ ربانيٍّ منهُ تعالى . وإنَّما أُحِبُّ أنْ تعلموا ذلك وتستيقنوهُ . فانَّ الذي منحني الله وهيَّأ لي انما كان بعنايتهِ عزَّ وجلَّ . ولم يكن بجمالٍ ولا عقل ولا اجتهادٍ . وما كنتُ ارجو اذ طردني اخي أنْ يُصيبني ما يعيشني من القوت

فضلاً عن أنْ اصيب هذه المنزلة * وما كنتُ آمل
ان اكون بها . لاني قد رأيتُ في هذه الارض مَن هو
افضلُ مني حُسنًا وجمالاً واشدُّ اجتهادًا وافضل رأيًا .
فساقتني العِناية الالهيّة الى أنْ اعتززتُ بالله *
وكان في ذلك الجمع شيخٌ . فنهض حتّى استوى
قائمًا وقال : إنّك قد تكلّمتَ بكلامِ كاملِ عقلٍ
وحِكمةٍ . وانّ الذي بلغ بك ذلك وُفورُ عقلك
وحُسن ظنّك . وقد حقّقتَ ظنّنا فيك ورجاءنا
لك . وقد عرفنا ما ذكرتَ وصدّقناك في ما
وصفتَ . والذي ساق الله اليك من المُلك والكرامة
كنتَ اهلاً له لِما قسم الله تعالى لك من العقل
والرأي * فانّ اسعدَ الناس في الدنيا والآخِرة مَن
رزقهُ الله رأيًا وعقلاً . وقد احسن الله الينا اذ وفّقك

لنا عند موت ملكنا وكرّمنا بك * ثمّ قام شيخ آخر سائحٌ. فحمد الله عزّ وجلّ. واثنى عليهِ وقال: إنّي كنتُ اخدمُ وانا غلامٌ قبل أنْ اكون سائحًا. رجلاً من أشراف الناس. فلمّا بدا لي رفضُ الدنيا. فارقتُ ذلك الرجل. وقد كان اعطاني من إجرتي دينارين * فاردتُ أنْ اتصدّق باحدهما واستبقيَ الآخر. فاتيتُ السّوقَ. فوجدتُ مع رجلٍ من الصيّادين زوجَ هُدهُدٍ فساومتهُ فيهما. فأبى الصيّاد أنَ يبيعَهما الاّ بدينارين * فاجتهدتُ أنْ يبيعَنيهما بدينارٍ واحدٍ فأبى. فقلتُ في نفسي: اشتري احدَهما وأترُك الآخر. ثمّ فكرتُ وقلتُ: لعلّهما أنْ يكونا أليفين متآلفَين فأفرّقَ بينهما * فادركني لهما رحمةٌ. فتوكّلتُ على الله وابتعتهما بدينارين. وأشفقتُ إنْ

ارسلتُهما في ارضٍ عامرة أَنْ يُصادا ولا يستطيعا أَنْ يَطيرا ممّا لَقِيا من الجُوع والهُزال . ولم آمَنْ عليهما الآفات * فانطلقتُ بهما الى مكانٍ كثير المرعى والأشجار بعيدٍ عن الناس والعُمّار . فارسلتُهما . فطارا ووقعا على شجرة مثمِرة * فلمّا صارا في اعلاها . شكرا لي . وسمعتُ احدهما يقول للآخَر : لقد خلّصنا هذا السائح من البلآء الذي كُنّا فيهِ . واستنقذَنا ونجّانا من الهلَكة . وإِنّا لخليقان أَنْ نكافئهُ بفعلِهِ * إِنَّ في اصل هذه الشجرة جرّةً مملوءَةً دنانيرَ . أَفلا ندُلّهُ عليها فيأخُذَها * فقلتُ لهما : كيف تدلّانِي على كَنزٍ لم تَرَهُ العيون . وانتما لا تُبصِران الشبَكة * فقالا : إِنَّ الارادة الالهيّة اذا نزَلت . صرفتِ العيون عن موضِع الشيء وغشّت البَصَر . وانّما صرفت العِناية الربّانية

اعيننا عن الشَّرَك . ولم تصرِفها عن هذا الكَنز * فاحتفرتُ واستخرجتُ البَرْنِيَّةَ وهي مملوءةٌ دنانير . فدعوتُ لهما بالعافية . وقلتُ لهما : الحمدُ لله الذي علَّمكما مِمَّا رأى وانتما تطيران في السمآء . وأخبرتماني بما تحت الارض * فقالا لي : ايُّها العاقل أمَا تعلم أنَّ العِناية الربَّانيَّةَ غالبةٌ على كلِّ شيء . لا يستطيعُ احدٌ أنْ يتجاوزها . وانا أُخبِرُ الملك بذلك الذي رأيتهُ . فانْ أمر الملكُ . اتيتهُ بالمال . فاودعتهُ في خزائنهِ * قال الملك : ذلك لك وموفَّرٌ عليك *

انتهى باب ابن الملك واصحابهِ

الباب التاسع عشر

باب الحمامة والثعلب وملك الحزين

وهو باب مَن يرى الرأي لغيرهِ ولا يراهُ لنفسهِ *

قال الملك للفيلسوف: قد سمعتُ هذا المثل. فاضرب لي مَثَلاً في شأن الرجل الذي يرى الرأيَ لغيرهِ ولا يراهُ لنفسهِ * قال الفيلسوف: إنَّ مَثَلَ ذلك مَثَلُ الحمامة والثعلب ومَلِكِ الحزين * قال الملك: وما مَثَلهم * قال الفيلسوف: زعموا أنَّ حمامةً كانت تفرّخ في رأس نخلةٍ طويلةٍ ذاهبة في السماء. فكانت الحمامةُ اذا شرعت في نقل العُشّ الى رأس تلك النخلة. لا يُمكِنُها ذلك الاَّ بعد شِدّةٍ وتعبٍ ومَشَقَةٍ لطول النخلة وسحوقها. فاذا فرِغت من النقل. باضت. ثمَّ حضنت بيضَها. فاذا فقست وادرك

فِراخُها . جآءها ثعلبٌ قد تعاهد ذلك منها لوقتٍ
عَلِمَهُ بقَدَر ما ينهضُ فِراخُها . فيقِف باصل النخلة
فيَصيح بها ويتوعَّدُها أنْ يرقَى اليها . فتلقِي اليهِ فراخها *
فبينما هي ذاتَ يومٍ قد ادرك لها فرخان . اذ اقبل
مَلِكُ الحزينِ فوقع على النخلة . فلمَّا رأى الحمامةَ كئيبةً
حزينةً شديدةَ الهمّ . قال لها : يا حمامة ما لي اراكِ
كاسفةَ اللون سيّئةَ الحال * فقالت لهُ : يا مَلِكَ
الحزينِ إنَّ ثعلبًا دُهيتُ بهِ كُلَّما كان لي فرخان .
جآءني يهدّدني ويَصيح في اصل النخلة . فأَفرَقُ منهُ
فاطرح اليهِ فرخيَّ * قال لها ملك الحزين : اذا اتاكِ
المرَّةَ ليفعل ما تقولين . فقولي لهُ : لا أُلقي اليك
فرخيَّ . فارقَ اليَّ وغرِّرْ بنفسك . فاذا فعلتَ ذلك
واكلتَ فرخيَّ . طِرْتُ عنك ونجوتُ بنفسي * فلمَّا

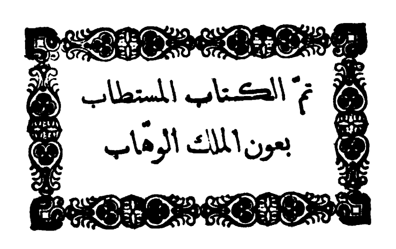
علّمها مَلِكُ الحزين هذه الحيلة . طار فوقع على شاطئ نهرٍ * فأقبل الثعلب في الوقت الذي عرَف . فوقَف تحتها . ثمَّ صاح كما كان يفعل . فاجابتهُ الحمامة بما علّمها مَلِك الحزين* فقال لها الثعلب : أَخبريني مَن علّمكِ هذا . قالت : علّمني ملك الحزين * فتوجَّه الثعلبُ حتى اتى مَلِكَ الحزين على شاطئ النهر . فوجدهُ واقفًا . فقال لهُ الثعلب : يا مَلِكَ الحزين اذا اتتك الريحُ عن يمينك . اينَ تجعل راسك . قال : عن شِمالي * قال : فاذا اتتك عن شِمالك . اين تجعل راسك قال : اجعلهُ عن يميني او خلفي * قال : فاذا اتتك الريحُ من كلّ مكان وكلّ ناحية . اين تجعلهُ . قال : اجعلهُ تحت جَناحي * قال : وكيف تستطيع أَنْ تجعلهُ تحت جَناحك . ما اراهُ

يتهيأ لك . قال : بلى * قال : فأرني كيف تصنع .
فلعمري يا معشرَ الطير لقد فضّلكمُ اللهُ علينـا .
إنّكنّ تدرين في ساعةٍ واحدة مثلَ ما ندري في
سنةٍ . وتبلُغن ما لا نبلغ . وتُدخلن رؤوسكنّ تحت
اجنحتكنّ من البَرْد والريح . فهنيئاً لكُنّ . فأرني كيف
تصنع * فادخل الطائرُ رأسهُ تحت جناحهِ . فوثب
عليهِ الثعلب مكانَهُ . فأخذهُ فهزهُ هزة دقّ بها
قلبهُ . ثمّ قال لهُ : يا عدوّ نفسهِ . ترى الرأيَ للحمامة .
وتعلّمها الحيلة لنفسها . وتعجزُ عن ذلك لنفسك .
حتّى يستمكنَ منك عدوّك * ثمّ قتلهُ واكلهُ *

فلمّا انتهى المنطق بالملك والفيلسوف الى هذا
المكان . سكت الملك * فقال لهُ الفيلسوف : ايها
الملك عِشتَ الفَ سنةٍ . وملكتَ الاقاليمَ السبعة .

وأُعطيت من كلّ شيءٍ سببًا مع وفور سرورك وقرّةِ عين رعيّتك بك ومساعَدة العِناية الربّانيّة لك * فانّهُ قد كَمَل فيك الحِلم والعِلم. وزكا منك العقل والقول والنيّة. فلا يوجد في رأيك نقصٌ. ولا في قولك سِقطٌ ولا عيبٌ * وقد جمعتَ النَّجدةَ واللِين. فلا توجد جبانًا عند اللِقآء. ولا ضيّقَ الصدر عندَ ما ينوبك من الأشيآء * وقد جمعتُ لك في هذا الكتاب شَمْلَ بيان الامور. وشرحتُ لك جوابَ ما سألتني عنهُ منها. فأبلغتُك في ذلك غايةَ نُصحي. واجتهدتُ فيهِ برأيي ونظري ومبلغَ فِطنتي. التماسًا لقضآء حقّك وحُسْن النيّة منك بإعمال الفِكرة والعقل * فجآء كما وصفتُ لك من النصيحة والموعِظة. مع أنّهُ ليس الأمرُ بالخير بأسعدَ

من المُطيع لهُ فيهِ . ولا الناصح بأَولى بالنصيحة من المنصوح . ولا المعلِّمُ للخير بأَسعدَ من متعلّمِهِ منهُ * فأفهمْ ذلك أيُّها الملك . ولا حولَ ولا قوَّةَ الَّا باللهِ العليّ العظيم *



فهرست الكتاب

(وهو مشتمل على تسعة عشر بابًا)


ASHMOLEAN
OXFORD
MUSEUM

